مكة المكرمة
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

رحلات تجارية إسلامية في بلاد المغرب الأدنى في عهد الأغالبة

١٨٤ - ٢٩٦ هـ
٨٠٠ - ٩٠٨ م

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٩٦٤

إعداد
فوزية محمد عبد الحميد نوح

إشراف
الدكتور أحمد السيد دراج

١٠٠٢٩٨٢
٩٦٤



١٤٠٤ - ١٤٠٥ هـ
١٩٨٤ - ١٩٨٥ م



شكر وتقدير

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله حمداً كثيراً .

إنه ليسرني كثيراً أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الدكتور أحمد السيد دراج - أمده الله بالصحة والعافية - الذي كان له الشرف الكبير أن يكون مشرفاً على رسالتي هذه ، إذ لم يبخل عليّ بالإرشاد والتوجيه المستمر ، كما أعطاني الكثير من وقته الثمين . وكان لإرشاده ونقده خير معين لي على إنهاء هذه الرسالة على الوجه الذي خرجت به ، فله مني كل آيات الشكر والتقدير والعرفان .

كما يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني في إخراج هذه الرسالة بالصورة التي هي عليها ، والله ولي التوفيق

الطالبة

فوزية محمد نوح

مكة المكرمة

في / /١٤٠٥هـ

المقدّمة

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونشكره على نعمه الكثيرة الــتى أنعمها علينا . ونستغفره ونستهديه فهو الهادى الى سواء السبيل . نصلى ونسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، النبى الأمى ، محمد بن عبد اللـــه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فان البحرية الاسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة تعتبر من الموضوعات الهامة الجديرة بالبحث . لما كان لبحرية الأغالبة مـن دور كبير فى فتح جزر الحوضين الأوسط والغربى للبحر الأبيض المتوسط وجنـوب ايطاليا . وماتبع ذلك من بسط السيادة الاسلامية على هذه الجهات ونشـر الاسلام بها ، بل ان بحرية الأغالبة بعد نجاحها في غزو هذه المناطق وفتحها مالبثت أن ورثت البحرية البيزنطية في السيطرة على الحوض الأوسط للبحـر الأبيض المتوسط ، كما ورثت عن البحرية البيزنطية التجارية النشاط التجـارى البحرى بين حوضى البحر الأبيض المتوسط الشرقى والغربي .

هذا ولم تكن هذه الدراسة بالأمر اليسير ، ذلك أن مصادر التاريـخ الاسلامي العامة ، ومصادر تاريخ المغرب بصفة خاصة لم تقدم لنا الا اشـارات بسيطة وموجزة عن بحرية الأغالبة ، وذلك في سياق حديثها عن فتوحـات الأغالبة لجزيرة صقلية وماجاورها من جزر الحوض الأوسط للبحر الأبيض المتوسط ولجنوب ايطاليا . بل ان حديثها عن هذه الفتوحات - التى استمرت قرابة قرن من الزمان والتى برز دور بحريةالأغالبة فيها - اتسم في كثير من الأحيـان بالايجاز ، بل وأحيانا أخرى بالتناقض مع بعضها البعض .

كما أن المراجع العربية والمعربة تركزت دراساتها عن البحريـة الاسلامية في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، وعن البحريـة الاسلامية في المغرب والأندلس بصفة عامة . بل إن تلك المراجع الـتى

تحدثت عن البحرية الاسلامية في بلاد المغرب والأندلس لم تعط لموضوع بحرية الأغالبة ودورها ما تستحقه من البحث . هذا بالاضافة الى أن الدراسات الحديثة التى تناولت تاريخ الأغالبة عالجت بصفة موجزة فتوحات الأغالبة لجزيرة صقلية وماجاورها من جزر الحوض الأوسط للبحر الأبيض المتوسط ولجنوب ايطاليا .

ومن ثم يتضح لنا أهمية موضوع البحرية الاسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة واختيارى له كرسالة أتقدم بها لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى وأرجو من خلال هذا البحث - أن أكون قد وفقت في ابراز هذه الواجهة المشرقه من تاريخ دولة الأغالبة التى قامت بفضل اهتمامها بالبحرية بدور رئيسى في الجهاد الاسلامي في الحوض الأوسط للبحر الأبيض المتوسط وفي جنوب ايطاليا ورفعت راية الاسلام خفاقة في هذه المناطق لفترة زمنية طويلة .

والبحث يتكون من مقدمة وأربعة فصول ثم خاتمة أبين فيها أهم ماتوصل اليه البحث من نتائج ومعلومات عن بحرية الاغالبة (١٨٤هـ - ٢٩٦ هـ ٨٠٠م - ٩٠٨م) .

ففي المقدمة : تحدثت عن أهمية الموضوع الذى أنا بصدد بحثة بينت فيها سبب اختيارى له ، ثم استعرضت خطة البحث مع تلخيص بسيط لكل فقرة من فقراتها .

وبعد ذلك تحدثت عن أهم المصادر والمراجع التى رجعت لها والتى استخجرت منها اكثر المادة العلمية لهذا الموضوع .

وفي الفصل الأول : تحدثت عن تاريخ البحرية في المغرب قبل ظهور دولة الأغالبة . وتناولت فيه الأسباب التى أدت بالقائد العظيم حسان ابن النعمان الى بناء دار الصناعة في تونس ، مع بيان تفاصيل انشاء

هذه الدار منذ أن كانت فكرة حتى أصبحت أول دار لصناعة السفن بافريقية والتى بينت فيها أول قوة بحرية اسلامية في افريقية يدافع بها المسلمون عن شواطئهم ضد غارات الروم دون الحاجة الى البحرية الاسلامية في شرق البحر الابيض المتوسط . ثم انتقلت للحديث عن فترة دفاع المسلمين عن شواطئ افريقيه منذ ولاية موسى بن نصير الى ولاية آخر وال من ولاة افريقية من قبل الخلافة الأموية والعباسية . وفى الفترة الاخيرة من عصر ولاة الأمويين والعباسيين في افريقية اتسم نشاطهم البحرى في الدفاع عن شواطئ افريقية بالخمول واقتصر الأمر في هذا الصدد على المحارس والأربطه التى كانت مقامة على شواطئ افريقية للدفاع عنها الى أن جاء العهد الأغلبى الذى سيجعل للبحرية الاسلامية في بلاد المغرب الأهمية التى تجعل دولة عظمى كالدولة البيزنطية تخشاها وتخاف منها .

أما الفصل الثاني : فقد خصصته لأبين فيه مدى اهتمام ولاة الأغالبة بالبحرية . وبدأت حديثى في هذا الفصل عن مدى توفر المواد اللازمة لانشاء دور الصناعة ، مع اعطاء امثلة لبعض المدن التى تتوفر فيها هذه المواد .

ثم تحدثت عن دور الصناعة في دولة الاغالبة ، فقد اضاف الأغالبة الى دار صناعة مدينة تونس ثلاث دور للصناعة ، وهى دار صناعة مدينة سوسه ، ودار صناعة مدينة طرابلس ، ودار صناعة مدينة مسينا في صقليه ، بالاضافة الى دار صناعة جزيرة مالطه ، واخيرا دار صناعة جزيرة قوصره .

وبعد ذلك انتقلت الى الحديث عن التحصينات البحرية الدفاعية التى قام بها الأغالبة للساحل الافريقى ، والتى تتمثل في المحارس والأربطه وتحصينات أسوار المدن البحرية الهامة التى قام بها ولاة افريقيه ثم امراء الاغالبة . فتحدثت أولا عن معنى كلمة (رباط) بمناسبة بناء الوالى هرثمه بن أعين لرباط المنستير في سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م وبينت فائدته ووظائفه بالنسبة لسكان افريقيه . وبعد ذلك انتقلت لتعداد منشآت الأغالبة فتحدثت عن رباط سوسة وعن تدعيمهم لرباط المنستير ، وعن سور سوسه وسور سفاقس . وأخيرا تحدثت عن مدى اهتمام أمراء الأغالبه باقامة المحارس والأربطة على طول الساحل الأفريقى .

وفى الفقرة الرابعة من هذا الفصل تحدثت عن القواعد البحرية والمراسى في دولة الأغالبة . وفي البداية ذكرت أهمية الساحل التونسى لسكانه ومايفرضه عليهم من حياة بحريه ، وبينت مدى طول هذا الساحل وعدد المراسى التى يحتويها شاطئه .

ثم تحدثت في الفقرة الاخيرة من هذا الفصل عن حجم وقوة البحرية الأغلبية ، وذلك من واقع مانستطيع أن نستخلصه من بعض النصوص التاريخيه التى أشارت في بعض الغزوات البحرية التى قام بها الأغالبة عن عدد السفن التى اشتركت في كل غزوة من هذه الغزوات وقد أتبعت ذلك بما أستطعت استخراجه من المصادر التاريخيه المعاصرة التى روت لنا هذه الغزوات البحرية للأغالبة وفتوحاتهم في جزر الحوض الأوسط للبحر الأبيض المتوسط وفي جنوب ايطاليا عن أنواع السفن التى كانت تتكون منها البحرية الأغلبية ، وهى الشوانى ، والحراقات ، والشلنديات ، والسفن الحربية ، والنواشي والفتاشى .

وأما الفصل الثالث : فقد خصصته لأبيه الدور الذى لعبته البحرية في عهد الأغالبة .

وفي البداية ذكرت فتح الأغالبة لجزيرة قوصرة وهى أقرب جزيرة للساحل التونسى .

ثم انتقلت بحديثىعن أهم حدث في تاريخ البحرية الاسلامية في ذلك الوقت الا وهو فتح جزيرة صقلية التى تعتبر من أهم جزر البحر الأبيض المتوسط وقد استمر فتحها قرابة القرن من الزمان أى منذ عهد ثالث ولاة الأغالبة زيادة الله حتى نهاية دولة الأغالبة .

وفي الفقره الثالثة من هذا الفصل تحدثت عن فتح الأغالبة لجنوب ايطاليا ووصول غاراتهم الى روما - قلب ايطاليا ومركز البابوية الرئيسى - عدةمرات وتهديدها .

وذكرت أيضا ما أنشأه المسلمون في جنوب ايطاليا من ولايات مستقلة التي رغم قصر مدة بقائها الا أنها تدل على قوة مسلمي افريقية ومدى ماوصلت اليه بحريتهم من قوة في ذلك الوقت .

أما الفقرة الرابعة من هذا الفصل فقد تحدثت فيها عن فتح الأغالبة لبقية جزر البحر الابيض المتوسط التي وقعت تحت سيطرتهم كجزيرة مالطه وغيرها من الجزر الصغيرة التي تقع في وسط البحر الأبيض المتوسط . إلى جانب المحاولات التي قاموا بها للإستيلاء على جزيرة سردانيه

هذا وقد خصصت الفصل الرابع والاخير: للحديث عن النشاط التجاري لبحرية الاغالبة . وفي هذا الفصل بينت أهمية هذا النشاط الذي أعطى للمسلمين دورا كبيرا في تجارة البحر الأبيض المتوسط بين المشرق والمغرب بالمقارنة بماكانت عليه هذه التجارة عندما كانت السيادة البحرية لهذا البحر في يد بيزنطه وعندما كانت تفرض رقابتها على طرق التجارة به .

وفي الخاتمة : استعرضت أهم النتائج والمعلومات التي توصلت اليها في بحثي هذا عن البحرية في عهد الأغالبة . وقد زودت البحث ببعض الخرائط التوضيحية .

التعريف بأهم المصادر والمراجع
التي أعتمد عليها البحث

أولا : المصادر :

١) ابن عذارى المراكشي (ت ٦٩٥ هـ/١٢٩٥م)

هو مؤرخ من مؤرخي القرن السابع الهجرى ، كتابه الذى رجعت اليه هو " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " في أربعة أجزاء . ويعتبر من المصادر المهمة في تاريخ المغرب

والأندلس ، وذلك لما يحويه من معلومات على درجة كبيرة من الأهمية .
وقد امتاز بن‌عذارى بالأمانه العلمية فهو في أثناء كتابته يقوم بذكر
المصدر الذى أخذ منه هذه المعلومات .

وقد اعتمدت على الجزء الأول من هذا الكتاب ، اذ وجدت به
شرحا مفصلا ووافيا عن‌المغرب واحواله والدول الموجودة فيه كالادارسة
والرستميين والأغالبة والفاطميين . أما بالنسبة للأغالبة فقد ذكر
ابن عذارى فيما كتبه عنهم معلومات هامة جدا أمدتنى بمادة علمية
جيدة استفدت منها كثيرا في بحثي هذا .

٢) أبو عبيد البكرى : (ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م) :

وقد رجعت لكتابه " المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب "
وهو كتاب من كتب الجغرافيا والمسالك والممالك يتحدث فيه موءلفه
أبو عبيد البكرى عن المدن والقرى في الطريق من مصر الى برقة
والمغرب . فهو يذكر جميع المدن الساحلية والمراسى الموجودة في
الساحل الافريقى ، وكذلك يذكر المدن الداخلية بهذه البلاد . وفي
نهاية كتابه يأتى الى ذكر بلاد السودان ومدنها المشهورة واتصال
بعضها ببعض والمسافات بينها ومافيها من الغرائب وسير أهلها .
وقد استفدت كثيرا من هذا المصدر القيم ووجدت فيه مادة علمية
ذات أهمية كبيره بالنسبة لبحثى .

٣) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي

المعروف بابن الأبار : (ت ٥٩٥ - ٦٥٨هـ/١١٩٩-١٢٦٠م)

وقد رجعت لكتابه " الحلة السيراء " الجزء الأول . وهو
من كتب التراجم ويحتوى على تراجم أهل المئات الأولى والثانية
والثالثة والرابعة ، حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين موءنس ، وهو
كتاب قيم به تراجم في غاية الأهمية والفائدة لعدد كبير من الشخصيات

التاريخيه في المغرب والأندلس من القرن الأول الهجرى الى منتصف القرن السابع الهجرى مع مادة تاريخية لابأس بها عن أعلام مشارقة من أهل القرن الأول كان لهم نصيب في فتوح المغرب والأندلس. وقد استفدت كثيرا من هذا المصدر في كتابة مادة هذا البحث .

٤) أبوزيد عبدالرحمن بن محمد الانصارى الاسيدى . الدباغ :

(ت : ٦٠٥/٦٩٦هـ) :-

كتابه " معالم الايمان في معرفة أهل القيروان " . أكمله وعلق عليه أبو الفضل ابو القاسم بنعيسى بن ناجى التنوخى (ت ٨٣٩ هـ) يتكون من أربعة اجزاء .

وهو من كتب التراجم ، وقد احتوى على تراجم لأهل القيروان سواء كانت تراجم لولاة أو قضاة او شيوخ وقد احتوى على مادة تاريخيه جيدة .

وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على الجزء الثانى منه الذى بدأه موءلفه بترجمة الامير القاضى أسد بن الفرات بن سنان قاضى القيروان وأمير الحملةالبحرية التى قامت بفتح جزيرة صقلية في عهد زيادةالله بن ابراهيم بن الأغلب . وقد احتوى هذا الجزء على شخصيات أهل القيروان في عهد دولة الأغالبة ، ولهذا كان ذا فائدة كبيرة لبحثى هذا .

٥) ابن الاثير الجزرى : (ت : ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) :

كتابه " الكامل في التاريخ " يتكون من تسعة أجزاء، وهو كتاب جمع فيه ابن الاثير خلاصة الكتب التى سبقته ولكنه هذبها ونقحها فاستحق أن يسمى بالكامل . فقد أخذ كل ماكتبه أبو جعفر الطبرى مع التعليق عليه والزيادة عليه حقائق أخرى استخرجها من كتب تاريخيه

أخرى ، هذا بالاضافة لأحداث الفترة التى تلت تاريخ الطبرى .

وطريقه ابن الأثير في سرد الأحداث هى الحوليات ، ففي كل سنة يذكر احداثها . الا أنه في بعض الأحيان يشذ عن هذه القاعدة فعندما تأتى أحداث معينه لموضوع معين في سنة معينة لا يستطيع فصلها كان يذكر معها أحداث السنوات التى تليها والتى تكمل هذا الموضوع .

وقد استفدت في بحثى من الجزئين الخامس والسادس فقد وجدت بها مادة علمية غزيرة وبخاصة عن فتح الأغالبة لصقلية .

٦) ابن خلدون :

(ت : ٨٠٨ هـ) :

كتابه هو " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر " وهو في سبع مجلدات .

وهو مصدر قيم يعتبر ثروة من ثروات الكتب العربية والاسلامية التى تؤرخ تاريخ العالم أجمع منذ بدء الخليقة الى ماقبل وفاة مؤلفه بعدة سنوات .

أما بالنسبة لتاريخ المغرب والاندلس فهو كتاب قيم لابد لكل باحث من الرجوع اليه والتزود من علمه .

وقد استفدت في بحثى هذا من المجلد الرابع الذى تحدث فيه عند دولة الاغالبة ، وكذلك عن الفترة التى قبلها من ولاة بنى أمية وولاة بنى العباس .

٧) الناصرى : (ت ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧م) :

كتابه " الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى " ، حققه

وعلق عليه ولدا المؤلف الاستاذ جعفر الناصرى - والاستاذ محمد الناصرى ، وهو يتكون من تسعة أجزاء .

وهو كتاب قيم استفدت من الجزء الأول منه في بحثي هذا ، وهو يحتوى على تاريخ الفتح الاسلامي للمغرب وفترة ارتباط المغرب بالخلافة الاسلامية ، ثم الدولة الادريسيه والدول الاخرى التى قامت في بلاد المغرب منذ منتصف القرن الثانى الهجرى .

وقد كانت استفادتى منه في الفصل الأول حيث أخذت منه مادة علمية جيدة عن بداية عهد زهير بن قيس البلوى وماتلاه من ولاة من قبل الدولة الاموية ومن تلاهم من ولاة لافريقيه في خلافة العباسيين .

٨) ابن حوقل : (ت : ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) :

كتابه " صورة الأرض "

مؤلفه عاش في القرن الرابع الهجرى ، وهو من التجار الرحالة المثقفين الذين اتخذوا التجارة وسيلة لتفهم خصائص الأقاليم ، وطبائع الشعوب ، وتدوين مايتعرفون اليه من ميزات الناس ونوادرهم وغرائبهم .

فكانت نتيجة رحلاته هذا الكتاب الذى بين أيدينا وهو يتكون من جزئين .

وقد استفدت في بحثي من الجزء الأول منه وهو يحتوى على معلومات قيمة عن صورة الأرض . ففى القسم الأول منه يتحدث عن ديار العرب وعن بحر فارس والمغرب والاندلس وصقلية ومصر والشام وبحر الروم والجزيرة والعراق . وفى القسم الثانى منه يتحدث عن بلاد المشرق الاسلامي وقد استفدت من القسم الأول كثيرا وخاصة في التعريف بالكثير من المدن التى ورد ذكرها في الفصلين الثانى والثالث .

٩) المقدسي : (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)

كتابه " احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " ويعتبر من الكتب الجغرافية القيمة ذات الفائدة الجمة فقد ذكر فيه مؤلفه الأقاليم الاسلامية بمافيها من مغاوز وبحار وبحيرات وأنهار وقام فيه بوصف أمصار هذه الأقاليم ومدنها المشهورة والطرق المؤدية اليها ومابها من خيرات زراعية ومعدنية وذكر تجاراتها وعادات أهلها وتقاليدهم ولغتهم وألوانهم وغير ذلك من معلومات ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة بهذه الأقاليم الا وذكرها .

وقد استفدت منه كثيرا فيما أورده من معلومات عن مدن المغرب وصقلية .

١٠) ياقوت الحموى : (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) :

كتابه " معجم البلدان " يتكون من خمسة اجزاء ويعتبر من المصادر المهمة ومن المعاجم التى يعتمد عليها كثيرا . وقد استفدت منه كثيرا في بحثى في التعريف بالمدن التى ورد ذكرها في الفصل الثانى خاصة .

١١) الحميرى : (ت : ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) :

كتابه " الروض المعطار في خبر الأقطار " ، وهو من المعاجم الجغرافية القيمه التى تحتوى أيضا على سرد عام لبعض الأحداث التاريخية وقد استفدت منه كثيرا في بحثى التعريف بالمدن التى ورد ذكرها في فصول هذه الرسالة ومابها من ثروات ومعادن .

١٢) لسان الدين ابن الخطيب : (٧١٣-٧٧٦هـ/١٣١٣-١٣٧٤م)

" كتابه اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام ،

ومايجر ذلك من شجون الكلام " .

وهو آخر انتاج علمي لابن الخطيب ، وهو عبارة عن تاريخ عام للعالم الاسلامي وينقسم الى ثلاثة أقسام :-

القسم الأول : يتناول المشرق الاسلامي من السيرة النبوية حتى عصر المماليك وهو لا يزال مخطوطا لم ينشر بعد .

القسم الثاني : عباره عن تاريخ عام للاندلس من الفتح العربى حتى عصر المؤلف أى حتى القرن الثامن الهجرى . وقد أضاف اليه ابن الخطيب مختصرا لتاريخ الممالك المسيحيه الأسبانيه مثل قشتاله وأرجوان والبرتغال فهو أول تاريخ شامل لاسبانيا وقد نشره المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال سنه ١٩٣٤م .

والقسم الثالث : وهو المهم لبحثى هذا فقد تناولت فيه ابن الخطيب تاريخ المغرب العربي من أحواز برقه شرقا الى المحيط الاطلسي غربا حتى بداية عصر الموحدين ، وهى نهاية غير طبيعية بالنسبة للقسمين الأول والثاني التى بلغت عصرا لموءلف نفسه ممايجعلنا نعتقد ان ابن الخطيب قد قتل قبل ان يتم هذا القسم الثالث والأخير من كتابه .

وقد استفدت من هذا القسم الاخير كثيرا في كتابه موضوع بحثى .

ثانيا : المراجع العربية والمعربة :

١) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى :

الكتاب " تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس " .

وهو من الكتب المهمة في البحرية الاسلامية كما يحتويه من معلومات جيدة صاغها مؤلفاه الفاضلان في اسلوب سهل مع التحليل المستمر لكل مايعترضها من اختلاف في آراء المؤرخين .

وينقسم الكتاب الى قسمين : القسم الأول يتحدث فيه الدكتور السيد عبدالعزيز سالم عن البحريه الاسلامية في المغرب والاندلس في القرون الخمسة الاولى للهجرة .

أما القسم الثاني فيتحدث فيه الدكتور احمد مختار العبادى عن البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس منذ قيام دولة المرابطين حتى سقوط مملكة غرناطة .

ومايهمنا في هذا الكتاب هو ماكتبه الدكتور السيد عبدالعزيز سالم والذى يتحدث فيه عن قيام البحرية العربية في المغرب حتى نهاية الخلافة الاموية ثم عن أسباب تفوق البحرية المغربية والاندلسية في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، وبعد ذلك عن فتح المسلمين في المغرب والاندلس لجزر البحر الابيض المتوسط الأوسط والغربي وتهديد مسلمى غرب البحر الابيض المتوسط لسواحل ايطاليا وفرنسا الجنوبية في القرنين الثالث والرابع للهجرة .

وهذه المعلومات مهمةجدا بالنسبة لموضوع بحثي ولذلك فقداستفدت كثيرا من هذا المرجع القيم .

٢) السيد عبد العزيز سالم :

الكتاب " المغرب الكبير " الجزء الثانى ، العصر الاسلامى .
يتحدث موءلفه في القسم الاول منه عن المغرب في ظل الوندال والبيزنطيين ، أما القسم الثانى منه فيحتوى على أربعة أبواب يتكلم فيها عن المغرب في العصر الاسلامي .

ففي الباب الاول يتكلم عن فتح العرب لبلاد المغرب .

أما الباب الثانى فيتحدث فيه عن المغرب الاسلامى في عصر الدولتين الأموية و العباسية ، وفي الباب الثالث يتحدث عن المغرب في ظل الفاطميين ، والمغرب الادنى والاوسط في ظل بنى زيرى وبنى حماد الصنهاجيين . أما الباب الرابع فيتناول فيه المغرب الاسلامي في ظل دولتى المرابطين والموحدين . وأخيرا في الخاتمة يتحدث عن ورثة الموحدين في المغرب من بنى مرين في المغرب الاقصى ، وبنى عبد الواد في المغرب الاوسط ، وبنى حفص في المغرب الادني .

وهو من المراجع المهمة جدا لتاريخ المغرب والتى لابد لمن يبحث في تاريخ المغرب من ان يطلع عليه لما له من أهمية علمية قيمة سواء من الناحية التاريخية أو الناحية الحضارية . وقد أفادنى كثيرا البابالثانى من القسم الثانى بصفة خاصة والذى يتحدث فيه عن المغرب الاسلامى في عصر الدولتين الاموية والعباسية .

٣) سعد زغلول عبد الحميد :

كتابه " تاريخ المغرب العربي " في جزئين وهو من المراجع المهمة في تاريخ المغرب اذ يحتوى على معلومات هامة يعتمد عليها كثيراكل باحث في تاريخ هذه المنطقة من وطننا العربي .

و قد استفدت من كلا الجزئين ، ففي الجزء الأول يتحدث المؤلف عن تاريخ المغرب العربى من الفترة التى سبقت الفتح الاسلامي

وحتى نهاية اسرة الفهريين بافريقية .

أما الجزء الثاني فيتحدث فيه مؤلفه عن الفترات التي تلت ذلك .

وقد أفادني الجزء الاول من هذا الكتاب في كتابه الفصل الأول من بحثي هذا . اما الجزء الثاني فقد أفادني كثيرا الفصل الثاني منه والذي يتحدث فيه مؤلفه عن صقليه الاغلبية واستقرار العرب في جنوب ايطاليا من الفتح الى نهاية الاغالبة " ٢١٢هـ/٨٢٧م - ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م " . وقد أفادني هذا الفصل بمعلومات مهمة للفصل الثالث من هذا البحث .

٤) محمود شيت خطاب :

كتابه " قادة فتح المغرب العربي . الجزء الاول "

وهو من الكتب المهمة التي تحدثت عن قادة فتح المغرب العربي الذين حملوا رايات الاسلام الى المحيط الاطلسي . وقد تحدث مؤلفه في مقدمته عن البلاد والسكان والتاريخ قبل الفتح الاسلامي وفي ايامه فاعطانا بذلك صورة واضحة عما عاناه الفاتحون سواء كانوا قادة او جنودا في جهادهم وجهودهم لاستكمال الفتح .

ثم بعد ذلك تناول كلا من قادة هذا الفتح على حدة من بداية تولية ولاية افريقية والجهاد بها الى ذكره كأنسان وكقائد كل ذلك بنظرة تحليلية فاحصة وباسلوب سهل قوى جميل ثم بعد ذلك يتحدث عنه من حيث المكانة التي تربع عليها في التاريخ الاسلامي .

والشخصيات التي تناولها بالدراسة هي عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، ومعاوية بن حديج السكوني ، وعقبة بن نافع الفهري

القرشي ، وابو المهاجر دينار ، وزهير بن قيس البلوى ، وحسان بن النعمان الأزدى الغساني ، وأخيرا موسى بن نصير اللخمي .

و قد استفدت كثيرا من هذا المرجع ومن نظرة مؤلفه العسكرية الفاحصة لكل معركة من معارك الفتح الاسلامي ، وذلك في كتابه الفصل الأول من بحثي هذا .

٥) احمد توفيق المدني :

كتابه " المسلمون في صقليه وجنوب ايطاليا " وهو كتاب مهم لتاريخ صقلية وجنوب ايطاليا تحدث فيه مؤلفه في القسم الأول عن وصف جزيرة صقلية ، وأما القسم الثاني فهو موجز عن تاريخ صقلية .

وفي القسم الثالث تحدث عن أمهات المدن والمعالم والآثار بصقلية ، وفى القسم الرابع تحدث عن الحكم الاسلامي الأغلبى بها منذ نشأة دولة الأغالبة وحتى نهايتها .

وأما القسم الخامس فتحدث فيه عن الحكم الاسلامي الفاطمي بها .

وفي القسم السادس تحدث عن عصر الاستقلال الذاتي .

أ ما القسم السابع فتناول فيه صقلية الاسلامية تحت الحكم النورماني ، وأما القسم الثامن فتحدث فيه عن التمدن والعمران بها .

واخيرا تناول في القسم التاسع العلوم والاداب في صقلية والمؤلف يذكر فتوح المسلمين في جنوب ايطاليا في أثناء ذكره لفتوحهم في صقلية وجزر البحر الابيض المتوسط وقد استفدت من هذا المرجع كثيرا فيما يخص المادة العلمية للفصل الثالث من بحثي هذا ، وكذلك استفدت من تعريبه للفصل الثاني من كتاب" غارات الهمج" تأليف المؤرخ فرديناند لوط والذى ضمنه كتابه هذا لما حواه من خلاصة لتدخل المسلمين في البلاد الايطاليه .

و الكتاب يعتبر بحق تاريخا شاملا لصقلية وجنوب ايطاليا منذ دخول المسلمين بهما حتى استيلاء النورمان عليها ، كما يبرز أوجه الحضارة والتمدن التى تركها المسلمون بهذه البلاد والتى لا زالت آثارها باقية الى وقتنا الحاضر .

٦) ابراهيم علي طرخان :

كتابه " المسلمون في أوربا في العصور الوسطى"

وهو من المراجع المهمة التى تتحدث عن عالم البحر الابيض المتوسط ، فقد ذكر البحر الابيض المتوسط والقوى التى كانت مسيطرة عليه حتى بداية الفتوح الاسلامية ، ثم تحدث عن الفتوح الاسلامية والبحرية الاسلامية ، وعن النفوذ الاسلامي فيجزر البحر المتوسط، وفي ايطاليا . وبعد ذلك تحدث عن نهايةالنفوذ الاسلامي في أوربا الجنوبية ، كما ذكر بعض الملاحق في اخر كتابه . وقد استفدت من هذا المرجع كثيرا فى كتابة معظم فصول بحثى هذا .

٧) ارشيبالد لويس :

كتابه " القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط "

ترجمة احمد محمد عيسى ، وراجعه وقدم له محمد شفيق غربال . هذا المرجع مهم جدا في دراسة القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط وذلك لانه يتميز بجمعه بين الحرب البحرية والتجارة في دراسة واحدة ، وهذه الدراسة تشمل الفترة الممتدة من سنة ٥٠٠م وحتى سنة ١١٠٠م ، وقد حاول موءلفه ان يتبين فيها أولا : كيف كانت حالة القوة البحرية اوائل العصور الوسطى ، وليتبين فيها ثانيا : مدى تأثير تلك القوة على تجارة البحر المتوسط وتاريخه .

و عموما هذا المرجع يعتبر اضافة قيمة للدراسات التاريخية

تهم كل دارس لهذه الفترة من تاريخ الأمم ، وتهم بالذات الباحث العربي لان بها مادة قيمه عن بحرية المسلمين وتجارتهم في البحر الأبيض المتوسط .

وقد استفدت من هذا المرجع استفادة كبيرة في جمع معلومات كبيرة عن بحثي وبخاصة الفصل الرابع منه الذى اتحدث فيه عن النشاط التجارى لبحرية الاغالبة .

٨) صابر محمد دياب:

كتابه هو سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجرى حتى نهاية العصر الفاطمي . وهو يعتبر بحق مرجع مهم للبحرية الاسلامية في هذه الفترة الزمنية من التاريخ الاسلامي

فتناول المؤلف موضوعه هذا في خمسة أبواب تحدث في الباب الأول عن البحرية الاسلامية في حوض البحر المتوسط حتى قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب .

وفي الباب الثاني ذكر الفاطميون بالمغرب ونشاطهم في البحر المتوسط .

أما الباب الثالث فتحدث فيه عن ~~الفاطميون~~ الفاطميين بمصر والشام ونشاطهم في حوض البحر المتوسط .

وفي الباب الرابع اوضح المؤلف العلاقات بين الدولة الفاطمية في مصر والدولة البيزنطية والمدن الايطالية .

واخيرا في الباب الخامس كان حديثه عن مدى انحلال الدولة الفاطمية واثره على نشاطها البحرى في شرق البحر المتوسط .

وقد قام المؤلف بهذا الجد الكبير الذى يشكر عليه في اسلوب واضح سلس . فأحتوى على معلومات قيمة ، استطعت الاستفادة منها في بحثي هذا .

هذه أهم المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها في كتابة هذه الرسالة ، وسيجد القارىء الكريم في نهايتها ثبتا كاملا لكل مارجعت اليه من مصادر ومراجع .

والله الموفق ،، ،،

الطالبة

مكة المكرمة في : / / ١٤٠ هـ

فوزيه محمد عبد الحميد نوح

الفصل الأول

البحرية الإسلامية في بلاد المغرب قبل قيام دولة الأغالبة

١- إنشاء دار الصناعة في تونس

٢- دور البحرية الإسلامية الناشئة في الدفاع عن شواطئ بلاد المغرب.

١- انشاء دار الصناعة في تونس(١)

كان المسلمون يفتقرون الى القوة البحرية في فتح المغرب ، مما جعل البيزنطيين يستغلون نقطة الضعف هذه لدى المسلمين ، فأرسلوا حملاتهم البحرية لمهاجمة السواحل الافريقية لشد أزر الحاميات البيزنطية في أفريقيه ولاضعاف المسلمين وكسر شوكتهم .

وبقيت سيطرة الروم هكذا على البحر الأبيض المتوسط الذى سمي لذلك ببحر الروم - ، حتى حملة حسان بن النعمان الذى استطاع ان ينشىء قاعدة بحرية للمسلمين ويبنى بها دار صناعة للسفن فكانت النواة لأسطول المغرب الذى سيكون له شأن عظيم في الفتوحات الاسلامية في جزر البحر الأبيض المتوسط وفي جنوب ايطاليا والذى سيجعل من الأجدر تسمية البحر الأبيض المتوسط ببحر المسلمين بدل بحر الروم.

ولكن قبل أن ندخل في تفاصيل فترة ولاية حسان بن النعمان وبخاصة فترة انشاء هذه القاعدة يجب ان نبين الأسباب التى دعت الى بنائها .

---

(١) تونس ، هي مدينة تونس الحالية عاصمة الدولة التونسة وهى مدينة كبيرة محدثه بافريقيه على ساحل بحر الروم ، عمرت من انقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها هى مدينة قرطاجنه ، وكان اسم تونس في القديم ترشيش ، وهى على ميلين من قرطاجنه ، ويحيط سورها واحد وعشرون الف ذراع ، وهى قصبة بلاد افريقية بينها وبين صفاقس ثلاثة ايام ومائه ميل بينها وبين القيروان . وهى خصبة واسعه المياه والزروع (لمزيد من المعلومات عن تونس في العصر الاسلامي ارجع الى ياقوت الحموى : معجم البلدان ، م٢ ، ص٦٠- ٦١-٦٢- البكرى : المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب ، ص٣٧ - ٣٨ - ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ٨٧ - الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣ - ابوبكر احمد بن ابراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٧٩ .

ولعل أهم هذه الأسباب الحادث الذى كان ضحيته القائد المسلم زهير بن قيس البلوى ومن معه من أشراب العرب ، عقب انتصاره على كسيلة ومن كان يناصره من البربر في معركة (ممس)[1] من نواحى القيروان . وقد كانت معركة حاسمة حقا ، استطاع زهير بن قيس أن يقضى فيها على مقاومة البربر البرانسى . وكان لهذا الانتصار الأثر العظيم في مستقبل الفتوح الاسلامية ، لأن البربر الرانس هم الذين حملوا وقتذاك لواء المقاومة وكان الروم يمدونهم بالعون ، فعندما انتصر عليهم زهير بن قيس البلوى قضى على مقاومة البربر ، وفى نفس الوقت قضى على آمال الروم في الاستعانة بهم ضد العرب .

وقد ذكر لنا السلاوى كيف قضى العرب على مقاومة البربر وكسروا شوكتهم ، فقال " واتبعهم العرب الى مرماجنه[2] ، ثم الى وادى ملوية . وفي هذه الوقعه ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم ، وحضدت شوكتهم ، وأضمحل امر الفرنجه فلم يعد ، وخاف البربر من زهير والعرب خوفا شديدا ، فلجأوا الى القلاع والحصون وكسرت شوكة أوربه من بينهم ، وأستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى ، وملكوا مدينة وليلى وكانت فيما بين موضع فاس[3]، ومكناسة[4] بجانب

---

(١) ممس، بالفتح ثم السكون والسين المهمله قرية بالمغرب بالقرب من القيروان (ياقوت : معجم البلدان ، م٥ ، ص١٩٨)

(٢) مرماجنه : قرية بافريقية لهوارة قبيلة من البربر، بينها وبين الأربس مرحلة (ياقوت : المصدر السابق ، م٥ ، ص١٠٩) .

(٣) فاس : مدينة مشهورة كبيره على بر المغرب من بلاد البربر ، وهى حاضره البحر وأجل مدنه قبل ان تختط مراكش
(ياقوت : المصدر السابق ، م٤ ، ص٢٣٠)

(٤) مكناسة : مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البر الأعظم ، بينها وبين مراكش اربع عشرة مرحلة نحو الشرق ، وهى مدينتان صغيرتان على ثنيه بيضاء بينهما حصنُ جواد .
(ياقوت : المصدر السابق ، م٥ ، ص١٨١)

بجانب جبل زرهون ولم يكن لهم بعد هذه الوقعه ذكر" (١)

وعاد زهير بن قيس بعد انتصاره في موقعه ممس الى القيروان لفترة وجيزة نظم فيها إدارتها وترك فيها عدداً كثيراً من اصحابه ، ثم رحل عنها لأنه لم يكن يريد أن يقيم فيها واتجه الى برقة . (٢)

وقد أرجع المؤرخون سبب تركه القيروان واتجاهه الى برقه الى عدة أسباب فكل من ابن عذارى والسلاوى يقول : " وأما زهير فانه لما رأى مامنحه الله من الظفر والنصر، وساق اليه من العز والملك خشى على نفسه الفتنة - وكان من العباد المخبتين - فترك القيروان آمن ماكانت وارتحل الى المشرق، وقال : انما جئت للجهاد في سبيل الله . وأخاف على نفسي ان تميل الى الدنيا " (٣)

---

(١) الناصرى السلاوى : الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى، حـ ١ ، ص ٩١ .

(٢) برقة : هى مدينة وسطة ليست بكبيرة ، وحواليها كورة عامرة كبيرة ، وهى في مستوى من الأرض خصبة ، ويطيف بها من كل جانب بادية يسكنها طوائف من البربر
(الاصطخرى : المصدر السابق، ص٣٣ - ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٦٩) .
ويذكر ابن الفقيه " ان من الفسطاط الى برقه ستمائه وستون ميلا ، وبرقة مدينة حسناء في صحراء ، وقد فتحت صلحا صالح عليها عمرو بن العاص وجبر أهلها على الجزية وهى خصبة ممتعه ، ومنها الى القيروان ستمائه وثمانية وثلاثون ميلا .
(ابن الفقيه : المصدر السابق، ص ٧٨ - ٧٩) .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب فى ذكر اخبار المغرب، جـ ١ ، ص ٣٢ - الناصرى السلاوى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٩١ .

هذا ويحلل السيد عبد العزيز سالم الرأى الذى أورده ابن عذارى والسلاوى في صدد رحيل زهير بن قيس من القيروان الى برقه بقوله (هذا التفسير لا يقوم على أساس قوى ، فان افريقيه كانت من أصلح الاقطار في العالم للجهاد والمثاغرة ، وقد كانت افريقية حتى أيام حسان بن النعمان دار حرب وجهاد ، اذا فهناك سبب آخر دفع زهيرا الى هذا الرحيل السريع . وأعتقد أن مهمة زهير انتهت باسترداد العرب للقيروان (١) ، والثأر من كسيلة الذى ترصد لصاحبة عقبه وقتله . وكان زهير يزهد في الامارة . لذلك آثر العودة الى مصر. (٢)

أما ارشيبالد لويس فيذكر ان سبب تقهقر زهير بن قيس البلوى الى برقية هو نشاط الاسطول البيزنطى في البحر المتوسط.(٣)

وأما محمود شيت خطاب فيذكر أيضا تحليلا آخر لرجوع زهير بن قيس الى برقه ، فيقول : " وربما يتبادر الى الاذهان ، السؤال الاتى : كيف نوفق بين معرفة زهير بوجود قوات الروم في تلك المنطقة ،

---

(١) القيروان : هى مدينة مشهورة بين تونس وتوزر ، تعتبر اجل مدينة بارض المغرب ، منها الى الساحل ثلاث مراحل ، وهى كانت دار ملك المسلمين بافريقيه منذ الفتح ، لم يزل الخلفاء من بنى أميةوبنى العباس يولون عليها الأمراء من قبلهم حتى جاء حكم الأغالبة وهو بنو الأغلب بن محمد ابن ابراهيم بن الاغلب التميمى ، فاتخذوا القيروان دار ملكهم ولم يزالوا به حتى اخرجهم منها بنو عبيد الفاطميون (الاصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٤ - عبد الواحد المراكشى: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٤٤٠) .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، العصر الاسلامي ، ص ٢٣٧ .

(٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية، ص ٩٩ .

وكان ذلك من أهم أسباب عودته من القيروان الى برقه ، وبين أقدامه على التقدم الى تلك القوات على رأس ثلة من الفرسان فيتورط في معركة خاسرة ؟ وأبادر الى الجواب ، بأن مثل هذا السؤال قد يتبادر الى غير العسكريين . أما العسكريون الذين خاضوا غمار الحروب واصطلوا بنارها ، فيقدرون أن ماحدث امر طبيعي جدا بسبب ظروف الحرب غير الاعتيادية التي قد تفلت أحيانا من أيدي قادتها فتسير وتتطور على غير مايشتهون .

والى أولئك الذين يتبادر الى أذهانهم مثل هذا السؤال من المدنيين والى العسكريين النظريين غير المجربين ، أسوق هذا الجواب .

لست أشك أن حامية منطقة (برقة) التي خلفها زهير وراءه لحماية تلك المنطقة من العدو ، ولحماية خطوط مواصلاته ، لا يمكن أن تكون في ظلام دامس بعيدة عن الاحداث لا تهتم بالحصول على المعلومات عن نيات العدو المتربص بها ، فلابد أن يكون لها مصادر مختلفة مهمتها الحصول على المعلومات عن العدو من البربر والروم : دوريات استطلاعية برية وبحرية ، ومراكب تمخر عباب البحر ، وعيون وارصاد في مختلف الأماكن والأصقاع . بل اذا حصل كل عربي مسلم وكل مسلم مسؤولا كان أو غير مسؤول على معلومات مفيده عن العدو ، فانه يرى نفسه مسؤولا عند الله وعقيدته وقومه عن ايصال تلك المعلومات الى المسؤولين بأسرع وقت وبأسرع وسيلة .

هذه الحامية الساهرة لمصالح المسلمين المرابطة دفاعا عن أرواحهم وأرضهم وكرامتهم وعزتهم ، أنذرت زهيرا - على اعتباره المسؤول الأول عن افريقيه - بتحركات الروم من القسطنطينيه

ومن صقلية ، وقد تكون هذه المعلومات - خاصة عن تحركات الروم من القسطنطينيه - وصلت اليها من المشرق أو حصلت عليها بوسائلها الخاصة أو حصل عليها زهير بوسائله الخاصة ، فعاد زهير بقواته الضاربة لحماية منطقة برقة المهددة بقوات الروم ، ثم تقدم زهير على رأس قطعاته الراكبة التي حرص على قيادتها بنفسه - وهذا من مميزات القائد الممتاز ، اذ يكون دائما في الامام قريبا من موطن الخطر - ، تقدم بنفسه لاستطلاع مواضع انزال الروم ، ومعرفة قوتهم وتسليحهم ، وذلك لاعداد الخطة المناسبة لمقاومتهم " . (١)

ويتفق المؤرخون على أن زهيرا بن قيس البلوى لقي مصرعه في برقة ، ولكنهم يختلفون في التفصيلات . فيذكر السيد عبد العزيز سالم عن ابن عبد الحكم قوله انه أقام بمصر ، واتفق أن أغار الروم على أنطابلس(٢) (برقة) ، واستولوا عليها ، فبلغ عبد العزيز بن مروان ذلك ، فأرسل في طلب زهير ، وأمره بالخروج لمحاربة الروم ، غير أنه لم يجتمع لزهير من أصحابه الا سبعون رجلا ، سار بهم الى برقة ، فلما وصل الى درنة (٣) من طبرق (٤) بإقليم أنطابلس ، لقي الروم

----

(١) محمود شيت خطاب : قادة فتح المغرب العربي ، جـ١ ، ص ١٦٦-١٦٧ .

(٢) أنطابلس : يذكر ياقوت ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٦ (معناه بالروميه خمس مدن ، وهي مدينة بين الاسكندرية وبرقة ، وقيل : هي مدينة ناحية برقة ، وقد ذكر أمرها في برقة (ص ٣٨٨) فقال : واسم مدينتها انطابلس .

(٣) درنه : (موضع بالمغرب قرب انطابلس ، قتل فيه زهير بن قيس البلوى وجماعة من المسلمين وهي من عمل باجه بينها وبين طبرقة) . المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٤٥٢ .

(٤) طبرق : هي مدينة بالمغرب من ناحية البر البربرى على شاطىء البحر قرب باجه وفيها آثار للأول وبنيان عجيب =

وهو في سبعين رجلا ، فتوقف حتى يتمكن من جمع بعض المسلمين في هذه النواحي لمحاربة الروم ، ولكن الروم لم يمهلوه ، فلقيهم، واستشهد هو وأصحابه جميعا في سنة ٧٦هـ . ثم يكمل السيد عبد العزيز سالم قول ابن عبد الحكم فيقول ويضيف ابن عبد الحكم أن رجلا من مذحج يقال له عطية بن يربوع كان مقيما ببلدة أملس من برية أنطابلس، استغاث بجماعة من المسلمين ، فاجتمع اليه سبعمائه رجل ، زحف بهم الى الروم ، فقاتلهم ، وهزمهم ، فركبوا سفنهم وولوا هاربين . (١)

ويعلق السيد عبد العزيز سالم على رواية ابن عبد الحكم هذه بأن هذه الرواية ينفرد بها ابن عبد الحكم ، وتتضمن خلطا بين أعمال حسان بن النعمان وأعمال زهير ، فتجعل اغارة الروم على أنطابلس بعد عودة حسان بن النعمان الى دمشق ، وتشير الى ان زهيرا عاد مع حسان من افريقيه ، فاستقر بمصر الى أن أمره عبد العزيز ابن مروان بالنهوض الى الروم ، ولو أن ذلك كان صحيحا ، لكان عبد العزيز قد أمده بجيش كبير لمقاتلة الروم . ولكن زهيرا - وفقا لهذه الرواية - لم يجمع أكثر من سبعين رجلا وأنه اختلف مع عبد العزيز ابن مروان ، ومضى برجاله السبعين لملاقاة الروم ، وهذا لا يمكن اعتباره الا عملا انتحاريا من جانب زهير . ثم ان تاريخ مقتل زهير وفقا لهذه الرواية (سنة ٧٦هـ) غير صحيح لان هذا التاريخ

= وهي عامرة لورود التجار اليها ، وفيها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج في بحر طبرقه . (ياقوت، المصدر السابق ، م٤ ، ص١٦) . ويذكر (ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٧٦) انها عدوة لأهل الأندلس اليها ينتهون ومنها الى الاندلس يركبون ، وهي صحيحه الهواء كثيرة الرخاء واسعة الفضاء غزيرة الدخل - اما (الاصطخرى المصدر السابق ، ص٣٤) فيقول ان بها عقارب قاتله ، وبها في البحر معدن المرجان ، وليس يعرف في الارض معدن المرجان الا بها .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٨

يسجل عودة حسان بن النعمان من افريقية الى برقة في معظم المصادر. (١)

ولكن بقية المصادر والمراجع العربية تتفق على أن زهيرا رحل الى المشرق في عدد كبير من الجنود ، فبلغ الروم خروجه من افريقيه الى برقة ، وكان هذا مايريدونه ، فجهزوا أنفسهم وخرجوا الى برقه في مراكب كثيرة وقوة عظيمة من القسطنطينيه وجزيرة صقلية ، فأغاروا على برقة وأصابوا بها سبيا كثيرا ، وقتلوا ونهبوا ، وفي هذه الاثناء وصل عسكر زهير ، فأمر عسكره بالمسير الى الساحل طمعا بأن يدرك سبى المسلمين ، فيعملوا على انقاذهم فاشرف على الروم ، فاذا هم في خلق عظيم ، فلم يستطع التراجع وخاصة وقد استغاث به المسلمون وصاحوا ، والروم يدخلونهم المراكب ، فنادى على أصحابه - وكان اكثرهم من أشراف العرب المجاهدين التابعين - أن ينزلوا للقتال فنزلوا فتلقاهم الروم بعدد عظيم من جندهم ، والتحم الفريقان واشتدت المعركة وتكاثر عليهم الروم ، فقتل زهير ومن معه من اشراف العرب ، وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ، وأما من نجا من العرب فقد توجهوا الى دمشق ، فدخلوا على عبد الملك بن مروان ، فاخبروه بمأساة زهير وأشراف العرب ، فعظم ذلك عليه لفضل زهير ودينه ، وكانت مصيبة مثل مصيبة عقبه قبله . (٢)

ويحلل لنا محمود شتيت خطاب هذه المعركة بخبرته العسكرية فيقول : وكان هدف الروم من حملتهم هذه جيش زهير

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٨-٢٣٩

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣- الناصرى السلاوى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٩١-٩٢ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٩ ، محمود شيت خطاب ، المرجع السابق ، ص١٥٧-١٥٨ - ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، م١ ، ص٩٦٠ - عمر فروخ : العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط ص١٦٩ الا انه يذكر ان موته كان في سنة ٦٩هـ/٦٨٩م) .

بالدرجة الاولى لذلك جرى انزالهم في برقة لا في الموانى الافريقية الاخرى ، وهى على طريق عودته من القيروان الى مصر لاجل سحق جيش زهير وهو الهدف الاستراتيجيى الحيوى في الحرب ،لأن القضاء على الجيش معناه انتهاء كل مقاومة معادية . (١)

ومما يدل ايضا على ان خطة الروم كانت ترمى الىالقضاء على جيش زهير بالدرجة الأولى ، هو تحشيد جيش ضخم من القسطنطينيه ومن صقلية في آن واحد وتوقيت انزاله في برقة في وقت معين محدد هو موعد وصول جيش زهير الى تلك المنطقة ، ولو كانت نيات الروم مجرد غارة لمابذلوا كل هذه الاستعدادات الضخمة في اعداد الخطط الموقوته وتحشيد الجيوش الكبيرة ، ولما أجروا انزالهم في وقت وصول طلائع جيش زهير الى برقة أو قبله . (٢)

فمن الواضح اذا أن الروم أجروا انزالهم في برقة - مع كل ماذكر من ضخامة الجيوش ، وضخامة الاستعدادات - للقضاء على جيش زهير ليفوتوا عليه فرصة نجاحه الكبير فى معركة (ممس) وليستعيدواسلطتهم الكاملة على افريقية . (٣)

وهكذا سقط زهير وكثير من رجاله شهداء في ساحه الوغى لأن القوتين الرومية والعربية لم تكونا متكافئتين ، ولأن العرب كانوا مجهدين من سفرهم الشاق الطويل من القيروان آلاف الأميال ، ولضيق الوقت المتيسر لزهير لاعداد الخطة العسكرية الدقيقة لمقاومة الغزو ، ولتلقى الامدادات من المشرق . (٤)

---

(١) محمود شيت خطاب ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٨
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٥٨ - ١٥٩
(٣) نفس المرجع السابق والصفحه .
(٤) نفس المرجع السابق ، ص ١٦١

فاندفع زهير على رأس قواته مسيرين بعاطفتهم الدينيه المتأججة عندما رأوا الرجال والاطفال والنساء أسرى ياقدون قسرا الى سفن الروم ، فأدى هذا الى تحمسهم وأقدامهم دون تدبر وتقدير الى مهاجمة الروم دون خطة مناسبة ولا قوات كافية ، مما أدى الى تورط قواته وتورطه هو نفسه في معركة خاسرة دفع هو ورجاله حياتهم الغالية ثمنا لها . (١)

وهكذا كانت خاتمة حياة زهير ، اذ استشهد استشهادا لايقل روعة وجلالا عن استشهاد عقبة بن نافع الفهرى ، وقد أدى هذا الحدث الى اثارة ثائرة العرب المسلمين ، وحفزهم الى مواصلة الفتح لادراك ثأر زهير واصحابه ، فكان لمقتله اثر عظيم في مسير الفتوح ، اذ كان زهير قد حسب - بعد قتله كسيله - ، أن كل مقاومة للبلاد قد خمدت ، وأن البلاد أصبحت آمنه مطمئنه ، فكان مقتل زهير منبها للعرب الى ماينجم عن ترك الروم من خطر، والى مايمكن ان يسببوه للعرب من المتاعب اذ تركوا في مدائن الساحل يستعيدون ماضاع من قوتهم، ويستمدون العون من بيزنطه نفسها وكما كان مصرع عقبة محددا لمهمة زهير ، كان مقتل زهير محددا لمهمة حسان بن النعمان - من بعده - فانفق ماقدر عليهمن جهد في القضاء على الروم ، حتى تمكن من ذلك تماما . (٢)

وهكذا مماسبق ذكره من الاحداث نرى مدى أهمية انشاء

---

(١) محمود شتيت ، المرجع السابق، ص ١٦٦ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

قاعدة بحرية تكون نواة البحرية الاسلامية في بلاد المغرب المستقلة عن البحرية الاسلامية في مصر ولنقوم بحماية السواحل الافريقية والدفاع عنها من غارات البيزنطيين . وفى نفس الوقت ينفرد بحركاتها في البحر الأبيض المتوسط وبفتوحاتها في صقلية وغيرها من القواعد البيزنطية التى كانت تشكل خطراً مستمراً على هذه السواحل التونسية (١)

كان هذا أحد الاسباب التى أدت الى وجود هذه القوة البحرية ولكن يوجد سبب آخر يعتبر السبب الأساسى الذى من أجله قام حسان بن النعمان بانشاء دار الصناعة وبناء البحرية الاسلامية في بلاد المغرب .

فقد رأى حسان بن النعمان بخبرته الطويلة في قتال الروم ان مدينه قرطاجنه (٢) التى أصبحت في حوزة المسلمين رغم شهرتها

---

(١) عن انشاء دار الصناعة في تونس انظر :
السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس، ص٢٩ - ابراهيم العدوى ، الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٥٩ - احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٥٤ - ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، م ١ ، ص٩٧ - محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير، جـ ٢ ، ص ١١٥ - عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب، جـ ١ ، ص ١١٣ .

(٢) مدينة قرطاجنة : (يسميها أهل تونس اليوم بالمعلقة ، وكانت قرطاجنه مدينة عظيمة تضرب امواج البحر سورها وهى من مدينة تونس على اثنى عشر ميلا . وكان بينهما قرى متصلة عامرة . وكان البحر لم يخرق الى تونس ، وانما انخرق بعد ذلك . وفي هذه المدينة آثار عظيمة وأبنية ضخمة ، واعمدة ثابته غليظه ، تدل على عظم قدرة الامم الدائرة . وأهل تونس الى الان لا يزالون يطلعون في خرابها على اعاجيب و مصانع لا تنقطع بطول الامان لمتأمل) . وهذه المدينة التونسية لا تزال باقية الى يومنا هذا (ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٤ - ٣٥) .

الطويلة في عالم البحر الأبيض المتوسط لم تعد تصلح كقاعدة للأسطول العربى الذى يعتزم انشاءه وخصوصا بعد ان قام حسان بتخريبها بعد أن فتحها ولم يعجبه موقعها لأنها كانت عارية مكشوفة في البحر ليس لها الجبل أو الخندق الذى يحصن (تونس) فكان من السهل على العدو أن يهاجمها في غفلة من المسلمين فيدركوا غرضهم منها . (١) ولذلك رأى حسان ان يقيم تجاه قرطاجنة مدينة عربية اسلامية ، تقع على البحر وتشرف على مدخل قرطاجنة . (٢)

واليك نص ما أورده البكرى في بيان الحادثة التى أدت الى سرعة بناء قاعدة تونس " وأغارت الروم من البحر على من كان بقى من المسلمين بمدينة تونس خرجت اليهم في المراكب فقتلوا بها وسبوا وغنموا ولم يكن للمسلمين شئ يحصنهم من عدوهم انما كانوا معسكرين هناك. وبلغ حسان ذلك فرحل الى تونس وأرسل أربعين رجلا من أشراف العرب الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه بما نال المسلمين من البلاء . وأقام هناك مرابطا ينتظر رأى عبد الملك . فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه وكان التابعون اذ ذاك يتواجد بينهم اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنس بن مالك ، وزيد بن ثابت ، فقالا للمسلمين من رابط برادس يوما فله الجنة حتما . ونصحوا عبد الملك ايضا بنصرة هؤلاء القوم وأن يعمل على تأمين حياتهم من العدو وله الاجر والثواب لما لهذه البلد المقدسة من فضل" . (٣)

---

(١) محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١١٦

(٢) السيد عبد العزيز سالم :المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ٢٤٨- ابراهيم العدوى : الأمويون والبيزنطيون ، ص ٢٥٨ - محمد على دبوز : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ١١٥

(٣) البكرى : المصدر السابق ، ص٣٧- ٣٨

لكن الرقيق القيرواني يقول فيما كتبه علماء المشرق الى أهل افريقيه مانصه : " من رابط عنا يوما براد س حججنا عنه حجه وعظم قدر راد س عند العلماء وفضلها" .(١)

فكتب عبد الملك بن مروان الى اخيه عبد العزيز والى مصر أن يوجه الى معسكر تونس ألف قبطي بأهله ، وولده وأن يحملهم من مصر ويعدهم أحسن إعداد وأن يعمل على راحتهم في السفر وعلى أن يصلوا آمنين الى تونس وكتب الى حسان يأمره ببناء دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين لمهاجمة الجزر والسواحل الاوربيه و تكون دفاعا للسواحل الافريقية حتى آخر الدهر وكذلك ليجعل الروم ينشغلون بالدفاع عن سواحلهم بدلا من الهجوم على سواحل المسلمين .

وقد أمر حسان أن يجعل على البربر جلب الخشب من اعالي الجبال لانشاء المراكب التي سوف يتولى صناعتها المصريون . (٢)

وفي هذا نرى مثالا للسياسة الاسلامية التي تدعو الى التضامن البحري بين سائر الاقاليم الاسلامية المطلة على البحر الابيض المتوسط

---

(١) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقيه والمغرب ، ص ٦٥- ٦٦ - حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٦١-٦٢

(٢) البكري : المصدر السابق ، ص٣٨ - الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص٦٥- ٦٦ - ابراهيم العدوي : الأساطيل العربية ص ١٤١- ١٤٢ ، السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ٣٢- ٣٣ - حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٦١-٦٢ - محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص ٢١

وقد أدرك حسان بن النعمان بعبقريته وخبرته في محاربة الروم مزايا تونس (ترشيش أو طرشيش) وعرف أن بحيرتها تليق لتكون مرفأ لأسطول المسلمين في المغرب ، وأن المدينة تليق سكناً لعماله وللمسلمين الذين سيستوطنونها . لذلك اختار تونس (ترشيش) لهذا الغرض ، وهي موضع قديم يقال لبحرها بحر رادس وقيل آدس ، وكذلك يسمى مرساها رادس ، وهي مجرد قرية صغيرة تقع بجوار بحيرة الى الجنوب من مرسى رادس وعلى بعد نحو اثني عشر ميلا شرقي قرطاجنة ، وعلى بعد مائة ميل من القيروان وهي مدينة يونانية أضمحل أمرها ، ولم يبق من معالمها غير دير مقام به بعض الرهبان . (١)

وقد قيل في سبب تسميتها تونس أن العرب كانوا يسمعون أصوات بعض الرهبان طول الليل في صلواتهم ، فيتأنسون بهم ، فقالوا : هذه البقعة تؤنس وقيل : ان المسلمين سموها : تونس لجمالها ولما تدخله من الانس والبهجه على القلوب . (٢)

وهكذا وصل القبط الى تونس والتقوا هناك بحسان الذى قام بتنفيذ اوامر الخليفة عبد الملك فجعل معظم القبط في رادس فقاموا بحفر البرزخ الذى يفصل البحيرة عن البحر ، كما حفر في ماء

---

(١) ابراهيم العدوى : الامويين والبيزنطيون ، ص ٢٥٨-٢٥٩
محمد على دبوز : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ١١ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٤٨-٢٤٩
صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط ، ص ٣٨ .

(٢) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، حـ ١ ، ص ٢٠٢ .

البحيرة الضحلة قناة عميقة تستطيع السفن السير فيها حتى تصل الى تونس الميناء الجديد الذى قام القبط ببنائه وعمارته .

أما البربر فقد كانت مهمتهم جلب الاخشاب اللازمة لصناعة السفن من سفوح الجبال لدار الصناعة ليقوم القبط بتصنيعها الى سفن والتى عملوا على تعليم المسلمين البربر والعرب صناعتها فبرعوا فيها براعة القبط ، ولم يمض زمن طويل حتى انشأ حسان ثمانمائة سفينة . وهكذا اصبحت دار صناعة تونس متصلة بالميناء ، والميناء متصل بالبحيرة ، والبحيرة متصلة بالبحر . (١)

وهكذا نشأ الاسطول الاسلامي في المغرب ، وهكذا صار للمسلمين قاعدة بحرية قوية تنعم ببحيرة واسعة محمية من امواج البحر وبعيدة عن قوات البيزنطيين البحرية ، وأضمحل بذلك شأن قرطاجنة وانصرف الناس والتجار عنها ولم تعد مدينة يرغب البيزنطيون في استردادها .

وبذلك حقق حسان أول الخطوات الهامة في تكوين الأسطول الاسلامى في حوض البحر المتوسط الذى لم تقتصر مهمته على الدفاع عن شواطىء المسلمين فحسب وانما سيكون قاعدة للغزو والهجوم والجهاد في سبيل الله في الجزر البيزنطيه وفي مقدمتها صقلية وسردانية وغيرها من جزر البحر الابيض المتوسط، بل وفى جنوب ايطاليا . كماكان يستفاد من هذا الميناء في لجوء السفن الاسلامية

---

(١) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٩ - ابراهيم العدوى : الاساطيل العربية ، ص ١٤١ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٥ - سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى جـ ١ ، ص ٢٣٣ .

اليه في فصل الشتاء للاحتماء في مرساه عندما تهب العواصف والأنواء .
بالاضافة الى ذلك فهو دار صناعة تعمل على صناعة السفن والآلات الحربية
وتقوم بالصيانة اللازمة للسفن بعد رجوعها من جهادها . (١)

وهكذا اصبحت تونس مكانا مرغوبا فيه ، مليئا بالعمران بفضل
اقبال المسلمين الفاتحين على الاستقرار به واتخاذه موطنا لهم .
وبالاضافة الى ماسبق ذكره من استفادات فقد استفاد المغرب من تكوين
تلك القاعدة في امتزاج الدماء المصرية والبربرية في المغرب وذلك بعد
وصول العائلات المصرية القبطية لبناء القاعدة ، فقد اسلمت اكثر
هذه العائلات واستقرت في المغرب وامتزجت بالعائلات البربرية .
ان اقرب الناس الى سكان مصر الاقدمين انما هم البربر ، لأن كليهما
من حام بن نوح ، فجدهما واحد ، وتجاورهما قرونا قد جعل كلا منهما
يتأثر بالاخر ، فازدادوا تقاربا في كثير من النواحي ، فلا عجب ان يستطيب
المصريون المقام في بلاد الامازيغ ، لأنهم ابناء عمومتهم ولابد وأن يفتنهم
المغرب بجماله وتروقهم تونس بحسنها وتعجبهم شخصية حسان وعدله
فيؤثرون المغرب وطنا وتونس الجميله سكنا ، فتتوثق بهم العلاقات
بين مصر والمغرب . وقد وطد الله هذه العلاقات بسبب الدين
الاسلامي ، وبسبب امتزاج الدماء فاصبح البلدان وطنا واحدا للمسلمين (٢)

كما شيد حسان بن النعمان في تونس بجانب دار الصناعة
مسجدا جامعا ، ودارا للامارة ، وثكنات للجند للمرابطة (٣) .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .
(٢) محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٦ - ١١٧
(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ ٣ ، ص ٤ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

وقد اختلف موءرخو العرب في اسم موءسس دار صناعة تونس ، فبعضهم ينسبها الى حسان بن النعمان ، وبعضهم ينسبها الى موسى بن نصير ، وبعضهم الى عبيد الله بن الحجاب (١) . غير أن عمل ابن الحجاب في حقيقة الامر لم يكن يعدو ترميم بناء دار الصناعة وتجديدها ، ولذلك فان الخلاف يصبح منحصرا بين حسان ابن النعمان وموسى بن نصير . وللتوفيق بين الرأيين نرى أن حسان ابن النعمان هو الذى شرع في انشاء دار الصناعة بتونس وذلك بعد بعد اجرى البحر بين مرسى رادس وموضع دار صناعة السفن الواقع الى الشرق من تونس ، ثم استكمل موسى بن نصير بناءها من بعده ، ذلك لان موسى بن نصير تولى على افريقيه من قبل عبد العزيز بن مروان في اواخر سنة ٨٥ هـ ، وشُغل منذ بدء ولايته باستنزال ثوار البربر في افريقيه والمغرب الاوسط ، ولم يغزُ في البحر الا فى آخر سنة ٨٥ هـ الغزوة المعروفة بالاشراف ، فى الوقت الذى توفى فيه عبد العزيز ابن مروان وقبيل وفاة عبد الملك بشهور معدودة .

واذا كان موسى بن نصير هو الذى أسس تونس ودار صناعتها فكيف نعلل مقاطعة حسان بن النعمان لعبد العزيز بن مروان واتصاله مباشرة بعبد الملك بن مروان الذى امر اخاه عبد العزيز عبد العزيز بتسيير الاقباط الى تونس، وكيف نفسر قيام موسى بإنشاء دار الصناعة وإنتاج السفن في نفس السنة التى تولى فيها على المغرب وغزا فيها بالمراكب التى صنعت بتونس الى صقلية في غزوة الاشراف ؟

----

(١) الرقيق القيروانى : المصادر السابق ، ص ١٠٧

من هنا نجد أن الرأى الأقرب للصواب هو أن حسانا هـــــو موئسس دار صناعة تونس ، وأن موسى ماكان الا مجددا لـهـــا وموسعا لانتاجها . (١)

----

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٣١- ٣٢ .

٢- دور البحرية الاسلامية الناشئة في الدفاع عن شواطئ بلاد المغرب

بعد تأسيس مدينة تونس سنة ٨٤هـ/٧٠٣م أصبحت ولاية افريقية قوة بحرية بعد ان كانت قوة برية فقط منذ انشاء القيروان بعيدا عن الساحل (سنة ٥٠هـ/٦٧٠م) خشية الاسطول البيزنطي . وبفضل المراكب الحربية التى كانت تصنعها دار الصناعة في تونس، لم يعد عرب افريقية ينتظرون مجيء الأسطول الرومي من صقلية أو غيرها من سواحل القسطنطينيه لكي يقفوا له بالمرصاد ويصدوه عن ديارهم ، بل أصبحت مراكبهم تجوب البحر الأبيض المتوسط تعترض مراكب الروم ، وتغير على سواحل جزرهم في هذا البحر بصفة خاصة .

وهكذا قام أسطول تونس بغارات ناجحة على صقلية وسردانية وكورسيكا (قورشيقا) قبيل سنة ٩٠/ ٧٠٨م ، وكانت هذه الغارات على هذه الجزر التمهيد الحقيقى لعملية الغزو الكبرى لشبه جزيرة ايبريا (١)

وقد حال انشاء حسان بن النعمان لدار الصناعة في تونس بين الروم وبين افريقية ، فلم يستطيعوا بعد ذلك النزول الى أراضيها فأمن المسلمون شرّهم ، وأصبح حسان بن النعمان لا يغزو احداً ولا ينازعه احد ، وبذلك انصرف عن الجهاد الاصغر وهو قتال الأعداء ، الى الجهاد الاكبر وهو الاصلاح . فوطد اركان دولة الإسلام في المغرب ونشر الإسلام في ربوعه ، فاصبح الفتح الإسلامي هناك بحق فتحا مستمرا . (٢)

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٨٩
(٢) محمود شيت : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤

ولم تبدأ حملات المسلمين البحرية في البحر الأبيض المتوسط لفتح صقلية وجنوب ايطاليا الا فى عهد موسى بن نصير ، ولكن بعد ان اهتم بعمران مدينة (تونس) ، وعمل على توسيع دار صناعتها ، كما شق القناة التى توصل بين الميناء رادس وبين المدينة على طول اثنى عشر ميلا حتى دار الصناعة ، وبفضل هذه القناة أصبحت المدينة نفسها مشّتى للمراكب اذا هبّت الأنواء والأرياح ، ثم أمر بصناعة مائة مركب . (١)

وكانت أولى هذه الحملات تلك التى قام بها عبد الله بن موسى ابن نصير عندما دعى موسى بن نصير للتأهب لركوب البحر ، وأعلن انه راكب بنفسه فأسرع الناس للاشتراك في هذه الحمله ، فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب في المراكب التى جهزت لهذه الغزوة ، ثم عقد لواءها لولده عبد الله وولاه عليهم ، وأمره ان يتوجه الى هدفه . وأراد موسى بن نصير بما ذكره من انه راكب بنفسه ان يدفع أهل الجلد والشرف للاشتراك في هذه الغزوة ، ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة الأشراف . وسار عبد الله بن موسى ابن نصير فى مراكبه ، وكان المسلمون مابين الألف الى التسعمائة ونزل أرض صقلية ، فدحر قوتها الرومية ، وغنم منها مغانم كثيرة فقد بلغ سهم الرجل مائه دينار ذهباً . ثم انصرف عائداً سالماً ، وكان ذلك في سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م . (٢)

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٦ - محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

(٢) خليفه بن خياط : تاريخ خليفه بن خياط ، ص ٣٠٢ ، احمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، ص٥٣ محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٩٠

ويذكر لنا سعد زغلول عبد الحميد أن العدد السابق للمجاهدين في هذه الغزوة يعني أن عدد سفن الحملة كان حوالي عشر سفن. كذلك يذكر لنا أن تاريخ الحملة في الرواية السابقة كان ٨٥هـ/٧٠٤م ، الا انه لما كانت ولاية موسى للمغرب في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م ، فأغلب الظن أنه يجب تصحيح التاريخ الى سنة ٩٥هـ/٧١٤م ، وقتما كان عبد الله بن موسى ، قائد الحمله ، نائبا لوالدة على افريقية.(١)

ثم كانت الحملة الثانية وقد قام بها عياش بن أخيل (٢) وأغار فيها على مدينة سرقوسة (٣) بصقلية وكان هذا في سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م. (٤)

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٢) يذكره الضبى (بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ص ٤٣٠ - ٤٣٢) عباس بن أجيل ، وعياش بن سراحيل الحميرى ، وقد ولى عياش البحر زمن بنى أمية ، ودخل الاندلس في حملة موسى بن نصير ، ثم قدم بالسفن منها الى افريقيه سنة مائة هجرية.

(٣) سرقوسة : (أكبر مدينة بجزيرة صقلية ، وكان بها سرير ملك الروم قديما ..) (ياقوت : المصدر السابق ، م٣ ، ص ٢١٤.

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٢ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ٣٥ - سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ - محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ - ابراهيم على طرفان : المسلمون في اوربا في العصور الوسطى ، ص ٥٧ .

ويذكر خليفة بن خياط انه يسجل غارة على صقلية في نفس السنة قام بها المغيرة بن ابى بردة العبدى . (١)

وفي سنة ٨٨هـ/ ٧٠٧م وجه موسى بن نصير نظره الى السيطرة على جزيرة قوصرة (٢) ، وهى تعتبر من الجزر ذات الموقع الممتاز الذى يساعد على الدفاع عن بلاد المغرب ويستطيع من يمتلكها اتخاذها قاعدة للتوسع البحرى ، وذلك لقربها من صقلية التى كانت القاعدة الكبرى لاسطول الروم فى غرب البحر الأبيض المتوسط وبها مركز المقاومة لنشاط البحرية الاسلامية .

فعندما صمم موسى بن نصير على فتحها وعلى اتخاذها قاعدة ومركزا من أهم المراكز للاسطول الاسلامى لصد هجمات الروم أنتدب لهذه المهمة قائدا من القادة المسلمين الأبطال وهو عبد الملك بن قطن الفهرى ، الذى توجه على رأس أسطول قوى من القاعدة البحرية في تونس ، واستطاع فتح جزيرة قوصرة ، وضمها الى ولاية افريقية . (٣)

ولكن البكرى يذكر أن من أرسل عبد الملك بن قطن الفهرى لغزو قوصرة هو الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، فيذكر مانصه

---

(١) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص ٢٩٢

(٢) جزيرة قوصرة : هى جزيرة في بحر الروم بين المهدية وجزيرة صقلية (ياقوت : المصدر السابق ، م٤ ، ص ٤١٣)

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب : قصة جزيرة قوصرة العربية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى ، العدد الثانى ، ص٩٥ - ابراهيم العدوى : الاساطيل العربية ، ص ٧٢ - ٧٣ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ٣٥

" فاغزى عبد الملك بن مروان عبد الملك بن قطن في البحر ففتح ماكان هنالك من الجزائر والقصور خربها وقفل ظافرا " (١)

وكذلك وجه موسى بن نصير ولده عبد الله بالسفن المغربية الى جزيرتى منورقة (٢) وميورقة (٣) بالقرب من سواحل اسبانيا فانتصر على الروم الذين بها وغنم وسبى وعاد سالما ، وكان ذلك في سنة ٨٩هـ/٧٠٨م . (٤)

وكانت هذه الغزوات التى وجهها موسى بن نصير ضد جزيرة صقليه وقوصرة وميورقة ومنورقة تستهدف شل تهديد الاسطول البيزنطى الموجود في قواعده في هذه الجزر في زحفه لإتمام فتح المغرب

---

(١) البكرى : المصدر السابق ، ص ٤٥

(٢) منورقة : جزيرة عامرة في شرق الاندلس قرب ميورقة . (ياقوت : المصدر السابق ، م٥ ، ص ٢١٦) .

(٣) ميورقة : جزيرة في شرق الاندلس ، بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة (ياقوت : المصدر السابق ، م٥ ، ص ٢٤٦) .

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ١١٢ - المقرى التلمسانى : نفح الطيب ، م١ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ - ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر ، حـ٤ ، ص ١٨٧ - الناصرى السلاوى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٩٦ . - احمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٤٦ - ابراهيم العدوى الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٦٢ ، ابراهيم على طرخان المرجع السابق ، ص ٧٠

وبذلك استطاع موسى بن نصير أن يتجنب الخطأ الذى وقع فيه منذ عشرين سنة مضت عقبة بن نافع ، وكذلك زهير بن قيس ، ومن ثم كان تحركه من تونس الى سبته (١) سريعا ومكللا بالنصر .(٢)

ثم توجهت أنظار موسى بن نصير لفتح شبه جزيرة أيبيريا لكى تكون هذه الخطوة نقله جديدة في الفتوحات الاسلامية لاتمام سيادة المسلمين على البحر الأبيض المتوسط . ففى رمضان سنة ٩١ /يوليه سنة ٧١٠م وجه موسى بن نصير احد قادته من البربر ويدعى طريف بن مالك على رأس حملة بحرية قوامها اربعمائة راجل ومائه فارس ، فعبر البحر في اربعة مراكب حتى نزل ساحل البحر بالأندلس فيما يحاذى (طنجة) وهو المعروف اليوم بـ (جزيرة طريف) (٣) وقد سميت باسمه لنزوله فيها ، فأغار منها على مايليها الى جهة (الجزيرة الخضراء) (٤) وأصاب سبيا ومالا كثيرا ، ورجع سالما .

---

(١) سبته : هى بلده مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها اجود مرسى على البحر ، وهى على بر البربر تقابل جزيرة الاندلس على طرف الزقاق الذى هو أقرب مابين البر والجزيرة . وهى مدينة حصينة ضاربة في البحر . . . بينها وبين فاس عشرة ايام (ياقوت : المصدر السابق ، م٣، ص ١٨٢ - ١٨٣)

(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٠٢

(٣) جزيرة طريف . يذكر محمود شيت خطاب (المرجع السابق ، ص ٤٤٢) انها تقع على مقربة من مدينة طريف الحاليه ، التى سميت باسمة لنزوله فيها وتعرف هذه الجزيرة باسم لا سبالوماس (Isla de Las Balomas)

(٤) الجزيرة الخضراء هى مدينة مشهورة بالاندلس ، وقبالتها من البربر بلاد البربر سبته ، من اشرف المدن واطيبها ارضا ، وسورها يضرب به ماء البحر ، ومرساها من اجود المراسي للجواز واقربها من البحر الاعظم . (ياقوت : المصدر السابق ، م ٢ ، ص ١١٦) .

وكانت هذه الحملة تعتبر حملة استكشافية لاستطلاع احوال شبه جزيرة ايبيريا ومعرفة مدى قوتهم واستعدادهم . (١)

وفي الأثنين ٥ رجب سنة ٩٢ هـ/٢٧ ابريل سنة ٧١١م توجه طارق بن زياد مولى موسى بن نصير - وهو من البربر - لفتح الأندلس على رأس جيش قوامه ، سبعة الاف مقاتل من البربر باستثناء ثلاثمائة من العرب فركب هو وجنده في أربعة سفن أمدهم بها حاكم سبته يوليان (ليليان) لرغبته في مساعدة المسلمين لفتح شبه جزيرة ايبيريا انتقاما من ملكها لذريق (٢) . وقيل في رواية اخرى انه أبحر في مراكب تجار الروم التي كانت تختلف الى الاندلس . (٣) .

ولكن هذه الرواية التي ذكرت سابقا عن مساعدة يوليان للمسلمين بامدادهم بالسفن الاربع امر يدعو الى المناقشة وهو ماقام به السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى في كتابهما عن تاريخ البحرية الاسلامية فيناقشان هذه القضية على النحو التالي (ان قضية استعانة طارق بن زياد بسفن يوليان صاحب سبته ، الاربعة أو سفن التجار التي كانت تختلف بين ساحل طنجه وجبل طارق حتى لا يشعر الناس بحركة الغزو ، لامر بعيد عن الحقيقة . فمن المعروف ان دار الصناعة بتونس كانت تنتج سفنا اشتركت كما رأينا في كثير من الغزوات البحرية ضد الرووم ، فمن الطبيعي اذا ألا يغامر موسى ابن نصير بجيشه لينقله الى الاندلس بسفن اربعة لا يملك غيرها تنقل

---

(١) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢٤٤-٢٤٥ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس، جـ١ ، ص٤٠- احمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص٥٥ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٧٣- محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس، جـ١ ، ص ٤٠ - ٤١ - احمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص٥٦

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٦- ابن خلدون المصدر السابق جـ٤ ، ص١٨٨- ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص٢٠٤-ص٢٠٥- ٢٠٦- المقرى التلمساني : المصدر السابق م١ ، ص٢٣٠-٢٣١

فوجا بعد فوج ، وتختلف على هذا النحو بين ساحلي المجاز مرات عديدة قد تستغرق لنقل جيش طارق ومعداته اكثر من يومين حتى توافدت جموع المسلمين عند الجبل الذى عرف فيمابعد بجبل طارق واذا كانت هذه السفن حقا ملكا ليوليان فكيف يجوز لطارق أن يقوم بحرقها بقصد حث رجاله على الاستبسال في القتال ، فيقاتلون قتال الموت ولا يفكر احدهم في الفرار اعتمادا على وجود السفن ؟ ولسنا نصدق أن طارقاً يقدم على مثل هذا العمل الذى يدل على جهل بالقيادة ، لأنه بذلك يقطع على نفسه خط الرجعة . واذا افترضنا انه احرق السفن الأربعة ، فما الفارق بين أن يتركها راسية وبين ان يحرقها في حالة انهزامه ؟ اذ ليس من المعقول أن يتدافع جنده في تلك الحالة ليركبوا هذه السفن الأربعة التى لا تتسع لحمل عُشر الجيش اذا اعتبرا أن كل مركب منها كانت تتسع لما يقرب من مائة رجل . ونعتقد أن سفنا عديدة لا يقل عددها عن خمس وثلاثين سفينه بالاضافة الى مراكب اخرى لنقل المعدات والاقوات قد استخدمت في عملية النزول بالأندلس، وأن طارقا فيما يظهر احرق بعض هذه السفن حتى يدفع الحماس في جنوده فيوطنوا انفسهم على الاستشهاد او الفتح ، فحذف النساخ النقطة من الخاء ، وخرق السفن يختلف كثيرا عن حرقها لأن الخرق من الممكن مداواته وعلاجه عند الضرورة وقد يكون ذلك هو المقصود . ويبدو أن موسى بن نصير منذ وجه طارقا لوجهته ، أمر بصناعة مزيد من السفن لنقل دفعة جديدة من الجند عدتها خمسة آلاف مددا لطارق ،فصنع منها عدة كثيرة . كذلك نعتقد أن دار - الصناعة بتونس انتجت عددا آخر من السفن استخدمها موسى بن نصير في حملته على الأندلس في سنة ٩٣هـ/٧١١م وهى حملة أضخم بكثر من حملة طارق اذ كان جيشة يتألف في هذه المرة من ثمانية عشر

الفا من العرب ووجوه الناس . (١)

ومنذ أن وصلت هذه السفن الى الأرض الخضراء أرض شبه جزيرة ايبيريا تحولت جميع المعارك التى قام بها الفاتحون المسلمون الى معارك برية من النوع الذى ألفوه وتعودوا عليه في عصر الفتوح الاسلامية الأولى ، ولذلك توالت انتصارات المسلمين في شبة جزيرة ايبيريا . ولكن كان لهذا الأسطول الاسلامى أثر غير مباشر فى حماية خطوط مواصلاتهم الطويلة مع شمال افريقية ، والتى هى في مواجهة جزيرة صقلية والجزر الاخرى البيزنطية في غربي البحر الابيض المتوسط .

وبالرغم من عدم استخدام موسى بن نصير وطارق بن زياد للقوة البحرية في فتح اسبانيا الا انه كان لهذا الفتح نتائج عظيمة الخطر. ففيما بين عامى ٧٤- ٩٩هـ/ ٦٩٣-٧١٧م تمكن المسلمون من الالتفاف حول الجناح الايمن لقوة البيزنطيين البحرية ، وكان ذلك عن طريق اختراقهم لمراكز الدفاع البيزنطى ، في شمال افريقية هذا الى جانب امتداد فتوحاتهم في اسبانيا وجنوب فرنسا ، وبذا يكون الاسلام قد صار كالهلال على مايقرب من ثلثى شواطىء البحر المتوسط بين نهر الرون وبلاد أرمينية . (٢)

ثم بعد ذلك قرر موسى بن نصير فتح جزيرة سردانية وهى تعتبر فيما عدا جزيرة صقلية وجزيرة اقريطش من اكبر الجزائر في بحر الروم

---

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص٣٦ -٣٧ -٣٨ - عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٨٣- ٨٤ ، هامش رقم ٥ .

(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٠٢-١٠٣

ونلاحظ أن المؤرخين يذكرون هذه الغزوة مرة سنة ٨٩هـ/٧٠٧م ، ومرة اخرى سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م .

ومن ثم فانه من المحتمل أن يكون قد حدث لبس في الحديث عن هذه الغزوة أو أن تكون هذه الجزيرة قد غزيت مرتين ، مرة سنة ٨٩هـ ، ومرة ثانية سنة ٩٢ هـ .

وفي كتاب تاريخ البحرية الاسلامية نجد أن مؤلفيه السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى في روايتهما لهذه الغزوة يخلطان بين غزوها في سنة ٨٩هـ وغزوها في سنة ٩٢هـ فيدخلان أحداث الثانية في الأولى .

فبالنسبة لغزوة سنة ٨٩هـ/ ٧١٦م فقد عقد موسى بن نصير لواءها لعبد الله بن مرة فغزا سردانيه وافتتح مدائنها ، فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضه والمواد الاخرى (١) .

أما الغزوة الثانية لهذه الجزيرة في سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م فرغم أنها غزوة مشهورة بسبب ماتمخضت عنه من المغانم الهائله ، الا انها لم تنته نهاية سعيدة .

وقد عقد موسى بن نصير لواءها الى عطاء بن رافع الهذلي أو الى عطاء بن ابى نافع الهذلى وهو قائد اسطول مصر الذى أرسله عبد العزيز بن مروان . وقد خرج عطاء من مدينة سوسة (٢) قاصدا جزيرة سردانية ، وكان معه أبو عبد الرحمن الحبلى والتابع المشهور حنش ابن عبد الله الصنعانى (٣) . ونزل الجند العرب على عاصمة

---

(١) محمود شتيت خطاب : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٢٤٠

(٢) سوسه : هى مدينة صغيرة بنواحى افريقيه ، بينها وبين صفاقس يومان (لمزيد من المعلومات عنها ارجع الى ياقوت ، المصدر السابق ، م٣ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢- الحميرى ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص ٣٣١ .

(٣) حنش بن عبد الله الصنعانى ، يذكره (الضبى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩) انه حنش بن عبد الله بن عمرو ابن حنظله =

الجزيرة وكانت الكاتدرائية هدفهم بصفة خاصة ، فاستطاعوا الاستيلاء عليها وعلى مافيها من ذخائر من آنية الذهب والفضة ، وماكان يحتفظ به رجالها من اموال . وتذكر رواية هذه الغزوة ان المسلمين حينما رأوا هذه الكنوز اغواهم بريق الذهب ، فأخذوا يتفننون في اخفاء هذه المغانم عن قائدهم فمرة يضعونها فى اجفان السيوف ومرة اخرى في جوف القطط . ولكن الاقدار لم تشأ أن يتمتع الجند المسلمون بما أخذوه ، فلقيت سفنهم المصاعب في رحلة عودتهم الى تونس اذ أصابتهم رياح عاصفة أدت الى غرق كثير منهم قرب الساحل الافريقى فعثر على اكثر الغرقى وحول اوساطهم تلتف الدنانير التى استولوا عليها . (١)

لكن محمود شيت خطاب يذكر سببا اخر لغرقهم نقلا عن ابن قتيبه في كتابه الامامة والسياسة ، فيقول انه عندما أرسى عطاء في سوسة أخرج اليه موسى بن نصير مايحتاجه وكتب اليه " ان ركوب البحر قد فات في هذا الوقت وفي هذا العام ، فأقم لا تغرر بنفسك ، فانك في تشرين الاخر ، فأقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر" . فلم يكترث عطاء بنصيحه موسى ، وشحن مراكبه ثم رفع متوجهاً الى هدفه . (٢)

ولذلك كان نصيبهم الغرق بسبب عدم اختيار الموعد المناسب لهذه الغزوة وعدم انصياعهم لكتاب موسى الذى يعتبر اكثر خبره وحنكة

= بن فهد . . وهو الصنعانى ، يكنى ابارشدين من التابعين . غزا المغرب مع رويفع بن ثابت ، وغزا الاندلس مع موسى بن نصير . . ولمزيد من المعلومات انظر ايضا : الحميدى : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، ص ٢٠١-٢٠٢-٢٠٣-٢٠٣

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص١٢٤-١٢٥ - سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢٤٦-٢٤٧ السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص٣٥-٣٦

(٢) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢٣٩ - ٢٤٠

منه في هذا المجال .

وكان من الطبيعي الا يسكت موسى بن نصير على مثل هذا الامر فأرسل اعوانا من رجاله منهم عمر بن أوس، ويزيد بن مسروق ، يفتشون الناجين من رجال الحملة ، وقد اكتشفوا وسائل غريبة تفنن فيها الرجال لاخفاء الذهب ، والفضة منها وضع الدنانير في القصب وجعله كعصى للاتكاء عليها ، او دفنها في الزفت ، او اخفاؤها في اماكن اخرى في اجسامهم ، فحمل الأعوان ماعثروا عليه الى دار الصناعة في تونس . (١)

وقد تابع ولاة المغرب بعد موسى بن نصير سياسة الجهاد في البحر ضد البيزنطيين . ففي ولاية اسماعيل بن عبيد الله بن ابى المهاجر على افريقية قام هوأبوعقيل زهرة بن معبد بن عبد الله التميمى وابو عبد الرحمن الحبلي بغزو بحر افريقية سنة ١٠٠-١٠١هـ/٧١٨ - ٧١٩م. (٢)

أما في ولاية يزيد بن أبى مسلم فقد سير غزوة الى صقلية بقيادة محمد بن اوس الانصارى (٣) ، وعادت الحملة سالمة غانمة ، وكانت سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م (٤) . وفي نفس السنة اشترك محمد بن يزيد القرشى في غزوة اخرى لصقلية . (٥)

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ١ ، ص٢٤٧

(٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ص٣٨

(٣) محمد بن اوس الانصارى ، وهو من التابعين يروى عن ابى هريرة . . . معروفا بالفقه ، ولى بحر افريقيه سنة ثلاث وسبعين ، وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير . وكان على بحر تونس في سنة اثنتين ومائه . .
(الضبي : المصدر السابق ، ص٦٢ - الحميدى : المصدر السابق ص٤)

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٩ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢٦٧ - صابر دياب : المرجع السابق ، ص٣٩ محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، حـ١ ، ص٢٧٣ ، حامد زيان غانم : تاريخ الحضارة الاسلامية في صقلية واثارها على أوربا : ص١٦

(٥) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص٣٨ .

ثم كانت فترة ولاية بشر بن صفوان على المغرب مليئة بالغزوات البحرية الى جزر سردانية وكورسيكا وصقلية . وربما يرجع ذلك لوصول قائد الاسطول محمد بن أوس الانصاري الى منصب ولاية افريقية باختيار أهل الحل والعقد عقب اغتيال يزيد بن ابى مسلم في سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م - قبل تولى بشر بن صفوان - لأن تولى هذا القائد يعتبر علامة مميزة في تاريخ البحرية العربية الناشئة في تونس ، فقد وصلت تحت قيادته لها مع مطلع القرن الثاني الهجرى الى مرحلة الفتوة والقوة وذلك بعد استيلاء المسلمين على سواحل البحر الغربية في اسبانيا .

وقد كانت هذه الغزوات البحرية سنوية تقريبا مما يعني ان بشراً ابن صفوان كان يلح بالحرب الدورية على قواعد الروم القريبة في البحر بهدف ارهاب العدو ، وكذلك حماية لسواحل المغرب . (١)

وكانت اولى هذه الغزوات لسردانية وكورسيكا :-

ففي سنوات ١٠٣هـ/٧٢١م ، ١٠٤هـ/٧٢٢م، ١٠٦هـ/٧٢٤م، ١٠٨هـ/٧٢٦م، ١٠٩هـ/٧٢٧م - أى مدة حكم بشر بن صفوان - تتابعت غزوات الاسطول الاسلامي للمغرب لجزيرة سردانية . وكان قائد الحملة الاولى هو يزيد بن مسروق اليحصبى . (٢)

أما الغزوة الثانية فكانت بقيادة عمرو بن فاتك الكلبى . وكانت

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص ٣٢٨ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ص ٢٧٢ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

القيادة في الحملتين الاخيرتين لحسان بن محمد بن ابى بكر مولى بني جمح . وقد كان هدف غزوة سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م جزيرة كورسيكا . الا ان الغزوتين اللتين غزاهما المسلمون في سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م، ١٠٨هـ/٧٢٦م لا نعلم وجهتها على وجه التحديد ، وكانتا بقيادة عمرو بن فاتك الكلبى ، وقثم بن عوانة الكلبى اللذين عادا سالمين بالمغانم . وربما يكون الاسطول الاسلامى قد غزا فيهما سردانية وكورسيكا هذا اذا لم يكن قد عرج كذلك في طريقه على صقلية التى يذكر ان بشر بن صفوان خرج لغزوها سنة ١٠٧هـ /٧٢٥م . (١)

غزوة صقلية :

وكانت غزوة بشر بن صفوان لصقلية في الحقيقة من أهم اعماله ، وجميع الروايات التى تتحدث عن هذه الغزوة لا تذكر متى توجه بشر الى صقلية ، وانما تذكر انه توفي في القيروان بعد الرجوع منها سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م. والظاهر انه خرج سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م الى صقلية ، وذلك بعد أن وصلته أنباء عن استشهاد واليه في الاندلس عنبسه بن سحيم الكلبى (٢) في حملة على بلاد غالة ، فسار بنفسة في البحر متوجها الى صقلية بعد

---

(١) خليفه بن خياط : المصدر السابق ص ٣٣٦- ٣٣٨- ٣٣٩ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ١ ، ص ٢٧٢ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٨

(٢) عنبسه بن سحيم الكلبى . يذكر الضبى والحميدى انه كان امير الاندلس في سنه ست ومائه من قبل بشر بن صفوان أمير افريقيه في ايام هشام بن عبد الملك ومات سنه سبع ومائه ، وقيل سنه تسع والله اعلم) . الضبي : المصدر السابق ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ - الحميدى : المصدر السابق ، ص ٣١٩

بعد أن استخلف على القيروان العباس بن باضعه الكلبي . ويقال ان هذه الحملة انتهت نهاية تعسه نتيجة للظروف الجوية الصعبة حتى انه هلك كثير من أفراد جيشه . ورغم ذلك رجع بشر للقيروان محملا بسبي كثير ، ولكنه توفي بالقيروان متأثرا بمرض يقال له الدبيلة (وهو خراج أو دمل كبير يظهر في الجوف فيقتل صاحبه) وذلك في شوال سنة ١٠٩هـ/ديسمبر سنة ٧٢٧م - يناير ٧٢٨م . بعد أن طالت ولايته لمدة سبع سنوات . (١)

وفي فترة ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي لافريقيه كانت هناك ست غزوات بحرية كانت وجهتها صقلية على وجه الخصوص ، وربما غزوة واحده كانت على سردانيه ا وقد تمت هذه الغزوات على النحو التالي :-

اولى هذه الغزوات كانت في سنة ١١٠هـ/٧٢٨م ، وقد عقد لواءها عبيدة بن عبد الرحمن لعثمان بن ابى عبيدة الفهرى وكان قوامها حوالى ٧٠٠ (سبعمائه) مقاتل ، وكانت وجهتها سرقوسه عاصمة صقلية . ورغم علم الروم بخروج المسلمين لهم فقد نجحت هذه الحملة ودليل ذلك وقوع قائد عسكر الروم (بطريقهم) اسيرا بين يدى قائد المسلمين عثمان بن ابى عبيدة الفهرى .

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٩ - ابن الاثير: المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٢٠١ - ابن خلدون المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٨٨ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، جـ٣ ص١٠٩ الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص ١٠٢ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٩٦ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢٧٣ .

أما الغزوة الثانية فكانت في سنة ١١١هـ/٧٢٩م وايضا كانت وجهتها صقلية وقد عقد لواؤها للمستنير بن الحبحاب الحرشي. (١)

وكان قوامها ١٨٠ (مائة وثمانين) مركبا فأتى المستنير الى مدينة سرقوسة وحاصرها ، وبقى فصل الشتاء مجاهدا في صقليه، وعند ما عاد بالغنائم ، ثار البحر واشتدت الرياح مما أدى الى غرق معظم المراكب ولم يستطع النجاه منها الا ١٧ (سبعه عشر) مركبا ، وقد جرف الموج سفينه القيادة التى بها المستنير الى طرابلس ، وعند ما بلغت هذه المصيبة عبيده بن عبد الرحمن أرسل الى واليه على طرابلس ، وكان يزيد بن مسلم الكندى ، يأمره بشد وثاق المستنير وأن يبعثه له . فعند ما وصل المستنير الى القيروان قام عبيدة بن عبد الرحمن بجلده وأمر ان يطاف به على أتان كما أمر بحبسه - ونعتقد ان سبب غضب عبيدة بن عبد الرحمن وعقابه للمستنير ربما يرجع لخطأ في تقدير زمن الغزوة أو لانشغاله بالمغانم التى استهوته الى ان هجم عليه الشتاء الذى تكثر فيه العواصف والانواء مما يعرض حياة المسلمين للخطر اذا ابحروا فيه - فظل في حبسه هذا حتى افرج عنه الوالى الجديد عبيد الله بن الحبحاب . (٢)

---

(١) يذكر ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص١١٤ (بأن اسم المستنير هو المستنير بن الحرث الحريشى) .

(٢) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص٣٤١ - ابن الاثير : المصدر السابق حـ٤ ، ص٢١٤ - السيد عبد العزيز سالم : الجع السابق ، حـ٢ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ١ ، ص٢٧٦ - ٢٧٧ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص٣٨ - ٣٩ - صابر دياب : المرجع السابق ، ص٣٩ - ٤٠ - عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

واستمرت سياسة المسلمين البحرية هذه مستمرة ، واستمر الحاح الغزو الاسلامي البحرى على صقلية . ففى سنوات ١١٢هـ/٧٣٠م، ١١٤هـ/٧٣٢م، ١١٥هـ/٧٣٣م . أرسلت حملات بقيادة كل من ثابت بن خيثم (الاردنى) وعبد الملك بن قطن ، وبكر بن سويد . وكانت الحملتان الأولى والثانية موفقتين وعادت كل منهما محملة بالغنائم والسبى .

أما حملة بكر بن سويد (سنة ١١٥هـ/٧٣٣م) فقد لقيه الروم وقاموا بقذفه بالنار اليونانية ، ولا ندرى الى أى حد أثرت هذه النار على الاسطول الاسلامي . ثم كانت قبل حملة بكر بن سويد حملة اخرى في سنة ١١٤هـ/٧٣٢م . وكانت بقيادة عبد الله بن زياد الانصارى الى سردانية . (١)

ونأتى الآن للنشاط البحرى في عهد عبيد الله بن الحبحاب الذى كان أيضا على شكل صوائف دورية كل سنة . فقد كانت هناك حملات من سنة ١١٦هـ/٧٣٤م حتى سنة ١١٩هـ/٧٣٧م أى على مدى أربع سنوات متوالية . أما في سنة ١٢٠هـ/٧٣٧هـ فلم يذكر أن غزا فيها المسلمون ، وربما يرجع . ذلك الى احوال بلاد المغرب الداخلية في هذه السنة . (٢)

وقبل ان يبدأ عبيد الله بن الحبحاب هذا النشاط البحرى قم ببعض التغيرات في اعمال سلفه فأخرج اولا المستنير بن الحبحاب الحرشى من سجنه وولاه مدينة تونس (٣) ، ولا بد ان هذا التصرف

---

(١) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص٣٤٣ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق جـ١ ، ص ٢٧٧

(٢) نفس المرجع السابق جـ ١ ، ص ٢٧٩

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٢١٥ .

يعني توليته قياده الاسطول ايضا او الاشراف عليه . كذلك اولى عبيد الله عنايته بمدينة تونس وذلك باعتبارها قاعدة الاسطول الاسلامى الذى يقع عليه عبء هذا الكم الهائل من الغزوات البحرية الاسلامية الى ماوراء البحار ، فجدد في هذه المدينة وزاد عليها وعمرها . وينسب اليه انه هو الذى بنى مسجدها الجامع (١) الذى عرف فيما بعد بمسجد الزيتونه ، ولكن الاصح ان الذى بناه وخطط له هو حسان بن النعمان ولم يكن على عبيد الله سوى تكملته . (٢)

أما فيما يتعلق بالغزو البحرى فقد سير عبيد الله أولى صوائفه البحرية الى صقلية سنة ١١٦هـ/٧٣٤م بقيادة عثمان ابن ابى عبيدة الفهرى وقد نجحت هذه الحملة فى النزول على بعض نواحي الجزيرة وعادوا بماغنموه من غنائم وأسلاب ، ولكن في طريق عودتهم اعترض طريقهم وحدات من الاسطول البيزنطى . ورغم ماقيل من أن القتال انتهى بهزيمة الروم الا انه يقال ان البيزنطيين اصابوا المسلمين واسروا منهم عددا من كبار رجالهم مثل ابنى قائد الحملة وهما عمر وأبو الربيع سليمان ، وكذلك عبد الرحمن ابن زياد بن انعم (قاضى افريقية بعد ذلك في عهد المنصور) وأخاه المغيره بن زياد . (٣) ويذكر ابن الاثير ان عبد الرحمن بن زياد بقى أسيرا الى سنة ١٢١هـ/٧٣٨م (٤)

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ١٨٩ .

(٢) الناصرى السلاوى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١٠٥ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ، حـ١ ، ص ٢٨٠

(٣) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص ٣٤٧ - ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص ٢١٩ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ٢٩٨ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ١ ، ص ٢٨٠ - حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٦٥ .

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢١٩

ثم كانت حملة سنة ١١٧هـ/٧٣٥م . وقد تولى قيادتها أخو عثمان وهو حبيب ابن ابى عبيده الفهرى ، وتوجهت الى سردانية وقد كانت حملة موفقة استطاع حبيب ان يفاجىء أهل بعض قرى الجزيرة وأن يهزمهم هزيمة منكرة ، وعاد محملاً بالغنائم والسبى الكثير (١)

وفي سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م سير عبيد الله بن الحبحاب حملة بحرية اخرى نحو صقلية ، وكانت بقيادة قثم بن عوانه الكلبى ، الذى نزل على مدينة " أوليه " ولكن هذه الحملة لم يكن حليفها النجاح ولم تحقق اغراضها بسبب محاصرة الروم لقثم والاحاطة به الا أن حصارهم له لم يستمر طويلا ، فما لبثوا أن فكوا حصارهم عنه . (٢) هذا ويروى ان عبيد الله بن الحبحاب اغزى حبيبا ابن ابى عبيده الفهرى في هذه السنة نفسها ١١٨هـ/٧٣٦م الى جزيرة قوصرة لكنه لم يستولى عليها (٣) .

وخرج قثم بن عوانه للغزو مرة أخرى في السنة التالية ١١٩هـ / ٧٣٧م ولكن مازال الحظ السيء يلازمه فبعد وصوله سردانيه وهجومه على بعض قلاعها غرق وهو في طريق العودة في ظروف غير معروفة ، وقد نجا بعض مراكب المسلمين . أما عن سبب غرقهم فلا نعرف أكان بسبب هجوم اسطول بيزنطى عليهم فاغرقهم أم بسبب الاحوال الجوية . (٤)

---

(١) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص٢٤٨ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ١ ، ص ٢٨٠-٢٨١ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٩

(٢) خليفه بن خياط : المصادر السابق ، ص٢٤٩ سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ، حـ١ ، ص٢٨١ -

(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٩ - ابراهيم احمد العدوى : الاساطيل العربية ، ص٧٣-٧٤ .

(٤) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص٢٤٩ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ١ ، ص ٢٨١ .

وفي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م كانت هناك حملة كان الهدف منها محاولة الاستقرار في جزيرة صقلية وقد تولى قيادتها حبيب بن ابي عبيده بن عقبه بن نافع الفهري ، وكان بصحبته ابنه عبد الرحمن بن حبيب (وهو ميتولي افريقيه في سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م) . وما إن وصلت جيوش المسلمين أرض الجزيرة حتى حقق ابنه عبد الرحمن انتصارا ساحقا على الروم وهزمهم ، فكلما قابله جمع من جموع الروم كانت الهزيمة من نصيبهم ، حتى وصل مدينة سرقوسة فقاتل من بها من الروم وانتصر عليهم ، وقام بحصارهم حتى ازعنوا وصالحوا على الجزية ثم رجع عبد الرحمن الى القاعدة التي استقر بها جيش والده حبيب بن أبي عبيده ووجد والدة قد قرر المقام بجزيرة صقلية حتى يفتحها كلها . الا انه حدثت ثورة البربر الخارجيه في طنجه فأرسل عبيد الله بن الحبحاب يستدعيه الى افريقيه بسرعة لمواجهة هذه الثورة التي قام بها عامله على طنجه عمر بن عبد الله المرادى . وربما كانت الاضطرابات الداخليه بإفريقية هي السبب في عدم خروج صائفه سنة ١٢٠هـ/ ١٢١هـ/ ٧٣٧ - ٧٣٨م .(١)

كما قام عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيده الفهري بحملة ثانية على جزيرة قوصرة يريد ضمها لحيازة المسلمين لتكون قاعدة لهم ،

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٢٢٢ ، الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص١٠٨-١٠٩ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص٣٩-٤٠ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١٩٤-١٩٥ - حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، ص٦٥ - حامد زيان غانم - المرجع السابق ، ص١٧ .

وكذلك خوفا من الروم الذين بها على قاعدة المسلمين في تونس لقربها من سواحل افريقية ، وكانت هذه الحملة في سنة ١٣٠هـ /٧٤٧م فاستطاع السيطرة التامة على الجزيرة ، وجعلها قاعدة دائمة للأسطوال الاسلامي في غرب البحر الأبيض المتوسط. (١)

وسرعان ماظهر نشاط الاسطول الاسلامي من قاعدته الجديدة في جزيرة قوصرة ،اذ خرجت سفنة تباعا من تلك الجزيرة واغارت على صقلية وانزلت التخريب والتدمير باسطول الروم الراسى في موانيها . وقد ساعدت تلك الحملات البحرية على دراسة شواطئ صقلية دراسة تامة . وجعلت المسلمين على خبرة كبرى بقواعدها ، وخير الطرق للاستيلاء عليها . وظهرت نتائج حملات المسلمين البحرية التى خرجت من جزيرة قوصرة حين قامت اسرة الاغالبة فى تونس اتخذت من تلك الجزيرة قاعدة لتحقيق سياستها في الاستيلاء على جزيرة صقلية ، وبعث نشاط بحرى اسلامي حافل في وسط وغرب البحر الابيض المتوسط. (٢)

وفي سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م قام عبد الرحمن بن حبيب بالحملة البحرية الثانية بعد توليه أمور افريقيه . فالاولى كانت استيلاوء على جزيرة قوصرة. أما الثانية فقد كانت وجهتها جزيرة صقلية ، فغزاها عبد الرحمن وعاد منها بالسبى والغنيمة . وفى طريق عودته غزا جريرة سردانية . وصالح أهلها على أن يدفعوا له جزية سنوية. (٣)

---

(١) ابراهيم العدوى : الاساطيل العربية ، ص ٧٣- ٧٤ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢) ابراهيم العدوى : الاساطيل العربية ، ص ٧٤ .

(٣) الناصرى السلاوى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١١٧- ١١٨- سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ١٩٥

ونتيجة لغزوة سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م على صقلية شعر الروم بخطر المسلمين عليهم لانها كانت درسا قاسيا بالنسبة لهم ولأهل هذه الجزيرة فعملوا على حماية بلادهم وذلك باعمارها من جميع جهاتها ، وتجديد ماكان فيها من الحصون والمعاقل . وقد وصل بهم الامر اكثر من ذلك ، فقد كان الروم في عهد قسطنطين الخامس (١٢٤ - ١٥٩هـ/٧٤١ - ٧٧٥م) يأخذون احتياطاتهم العسكرية البحرية خوفا من أن يفاجأهم المسلمون فكانوا يخرجون في الصيف عند ما تتحسن الاحوال الجوية يطوفون في سفنهم حول الجزيرة فيما يسمى الآن بإسم دوريات الحراسة .

ووصل بهم الامر كذلك أنهم عند ما كانوا يصادفون مراكب تجار المسلمين كانوا يستولون عليها . وبهذه الطريقة جمع اسطولهم بين العمل على الدفاع عن الجزيرة وقطع طرق الملاحة الإسلامية. (١)

وكانت هذه الاحتياطات الروميه السابقة الذكر سبباً من أسباب توقف نشاط البحرية الاسلامية الذى قارب النصف قرن . وأما السبب الأساسي لذلك فهو ثورات البربر الخوارج من الصفرية والاباضية التى نشبت في افريقية والتى جعلت آخر ولاة الأمويين والولاة العباسيين ينشغلون عن غزو تلك الجزيرة فتجرأت سفن الروم على مهاجمة السواحل الإفريقية ، وتحول المسلمون الى مركز الدفاع بعد ان كانوا من قبل يأخذون موقف المبادأة ونقل العمليات الحربية سواء منها البرية أو البحرية الى أرض العدو. (٢)

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ح٢ ، ص ١٩٥- صابر دياب : المرجع السابق ، ص ٤١

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح٢ ، ص ١٩١ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ح٢ ، ص ٣٨٥- صابر دياب : المرجع السابق ، ص ٤١ - حسن محمود واحمد الشريف : المرجع السابق ، ص ٤١٦-٤١٧ - حامد زياد غانم : المرجع السابق ، ص ١٨ .

ومن خلال فترة الخمول البحرى هذه التى امتدت من ١٣٥ هـ حتى ١٨٥ هـ تقريبا / ٧٥٢ - ٨٠١ م قنع المسلمون بنظام الرباطات أو المناور المقامة على السواحل الافريقية (التونسية) كالشأن في رباطات فلسطين التى وصفها كل من البلاذرى والمقدسى. وقد اقترنت نشأة الرباطات في المغرب بعصر الفتوح ذلك لأن المغرب الاسلامي كان أرض جهاد ، وكان ساحله كله معرضاً للغارات البحرية المفاجئة التى يوجهها البيزنطيون من قواعدهم في صقلية وسردانية وجنوبي ايطاليا على السواحل الافريقية ، ولذلك اعتبره المسلمون ثغرا يعد الرباط فيه جهادا في سبيل الله وتقربا له . وكانت السواحل الافريقية اكثر سواحل المغرب تعرضا لاخطار الغزو البحرى البيزنطى ، وعلى هذا النحو نشأت الاربطة والمحارس أو المناور على طول ساحل افريقيه حتى برقه منذ عصر مبكر ، فاصبحت في طرابلس الغرب وما يليها غربا وفي صفاقس وسوسة والمنستير . ومن المعروف ان هرثمة بن أعين والى افريقية من قبل الرشيد زود المنستير بالقصر الكبير (الرباط) في سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦ م، واعاد بناء سور مدينة طرابلس من جهة البحر لتحصينها وحمايتها . (١) ثم كان الخوف من غارات الروم على السواحل الافريقيه والاستعداد الدائم للجهاد ضد الروم في صقلية حافزا على زيادة اهتمام الاغالبة بتحصين هذه السواحل بالرباطات والمحارس . وقد لعبت الرباطات دورا هاما في الحياة الدينية والحربية ببلاد افريقية ، وكان الرباط يزود عادة بمنار توقد فيه النار ليلاً للنذير بإقتراب سفن العدو ، وعن طريق هذه الإشارة

---

(١) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٦ - ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٩٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ١٩٥ .

تستعد الحاميات المرابطة وتتأهب لملاقاة العدو براً وبحراً . وقد ساعدت الاربطة على تكوين طبقة من الصالحين الذين كرسوا حياتهم للجهاد ضد الروم ، وكان الخروج لمدافعة الروم في صقلية وجزر البحر الابيض المتوسط الاخرى غاية مايشتهيه العابدون المرابطون . (١)

---

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ص ٤٠-٤١-٤٢ ، (ولمزيد من المعلومات عن الاربطة انظر الفصل الثاني فقره التحصيات الدفاعية للساحل الافريقى) . ص ٨٠

الفصل الثاني

اهتمام الأغالبة بالبحرية

١- توفر المواد اللازمة لصناعة السفن .
٢- تعدد دور الصناعة .
٣- التحصينات البحرية الدفاعية للساحل الإفريقي .
٤- القواعد البحرية والمراسى .
٥- البحرية الأغلبية .

بنهاية القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى أخذت الدولة البيزنطية تهمل الناحية البحرية في قوتها العسكرية . وهى في ذلك تحذو حذو الدولة العباسية التى انصرفت لدرجة ما عن البحرالأبيض المتوسط منذ قيامها متخذة لنفسها سياسة شرقية .

الا أن المغرب الاسلامي وخاصة امارة الاغالبة ، بعد استقلالها الذاتى عن الخلافة العباسية ، اتخذت لنفسها سياسة تركزت في الاهتمام بالبحر الابيض المتوسط والاهتمام بالبحرية مستفيدة من الحالة المضطربة التى كانت تسود الامبراطورية البيزنطية في الداخل بسبب حرب أهلية اساسها ثورة توماس الصقلبى بين عامى ٢٠٦-٢٠٨هـ/ ٨٢١ - ٨٢٣م . وقد أصابت هذه الحرب قوة الـ قسطنطينيه في البحار بالضعف البين .(١)

وقد مد الخليفة العباسى المأمون الثوار بالعون وبعث في الوقت ذاته جيوشه وأساطيلة الشامية للإغارة على جزر وشواطىء آسيا الصغرى تأييدا للجهود التى يقوم بها الثائر توماس. وإدعى توماس هذا - وكان ايقونيا -(أى يناصر عبادة الصور والايقونات) أن هدفه الأول عزل الامبراطور اللا ايقونى (يقصد الامبراطور ميخائيل الثانى) واعادة تقديس الصور بعد أن حظرها القانون منذ عهد ايرين . وأيدت توماس في ثورته هذه اساطيل ولايات بحر ايجه فأبحرت هى الاخرى صوب القسطنطينيه . وتركزت هذه القوة في آسيا الصغرى وتحولت الى ثورة شعبية يسندها الفلاحون . الا أن الأسطول الامبراطورى الرابض في القسطنطينيه ظل على ولائه لبيزنطه فكان حجر عثره فى طريق هذه الثورة واستطاع تشتيت شمل الأساطيل الاقليميه بالنار الاغريقيه

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

وطردها من بحر مرمرة . أما توماس فانه صادف الفشل في البـــــر والبحر، اذ هاجم البلغار قواته على الشاطئ الاوربى وأوقعوا بها هزيمة ساحقة واضاعوا عليها فرصة الظفر بهجوم برى على العاصمة . وفـــــي عام ٢٠٨هـ/٨٢٣م حلت به هزيمة اخرى وقتل أثناء المعركـــــــــة فانتهت بذلك ثورته . (١)

ومن أحداث هذه الثورة الداخلية يتضح لنا الخطر الخارجـــى الذى كان يهدد الامبراطورية البيزنطية والذى كان يستحوذ علـــــى اهتمامها وجهدها ألا وهو غارات الخلافة العباسية على القسطنطينيــة من جهة وعلى جزر وشواطئ اسيا الصغرى من جهة ثانية . هـــــذا الى جانب خطر البلغار ومشكلاتهم ببلاد البلقان منذ عهد الامبراطــور ليو الخامس ١٩٨ - ٢٠٥ هـ/٨١٣ - ٨٢٠م . (٢)

وأستمرت هذه الاضطرابات طيلة اول ثلاث سنوات من عهـــــد الامبراطور البيزنطى ميخائيل الثانى (٢٠٥ - ٢١٤هـ/ ٨٢٠-٨٢٩م) ، والتى كانت لها خطورتها الواضحة من النواحى الاجتماعية والدينيـــة والسياسية . (٣)

---

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق، ص ١٦٨ - ١٦٩

(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٧١- السيـــــد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجـــــع السابق، ص ٤٧ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق، ص ٤٧ .

ويمكن القول من وجهة النظر البحرية ، أن بيزنطة خرجت مرهقة من هذه الاضطرابات وخاصة ثورة توماس التى أدت الى تشتيت شمل اساطيل الولايات واضعفتها حين اشتدت الحاجة اليها لموءازرة اسطول القسطنطينيه في الوقت الذى كان فيه أسطول الأغالبة يجمع قواته . (١)

و هكذا تغير الموقف في حوض البحر المتوسط الاوسط والغربى وانتقلت السيادة البحرية من أيدى البيزنطيين الى أيدى الأغالبة وهذا ويرجع الفضل في وصول بحرية الاغالبة لهذة المكانة الى اهتمام أمراء الاغالبة بها ، والى ماحققه الأغالبة بفضلها من فتوحات كبرى في جزر الحوض الاوسط والغربى للبحر الأبيض المتوسط وفي جنوب ايطاليا . وقد استنفدت هذه الفتوحات من الاغالبة جهودا متتابعة ومتتالية حتى السنوات الاخيرة من دولتهم ، أى مدة قرن من الزمان تقريباً . ولم يكن بالامر اليسير على الاغالبة اعداد هذه القوة البحرية الضخمة التى حققوا بها الدور الكبير من الفتوحات الاسلامية في جزر الحوض الأوسط والغربى من البحر الأبيض المتوسط وفي جنوب ايطاليا لو أن الطبيعة لم تهب بلادهم والبلاد التى فتحوها المواد اللازمة لصناعة السفن الأمر الذى يمكنهم من بناء عدد من دور الصناعة ، ولولا ماقاموا به من تحصينات بحرية دفاعية على امتداد سواحل بلادهم التى تميزت بوجود عدد كبير بها من القواعد والمراسى التى أنطلقت منها سفنهم في غزواتها البحرية لهذه المنطقة الهامة من العالم .

---

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

وعلى الرغم من وفرة المعلومات التى تمدنا بها المصادر التاريخية عن هذه النقاط السالفة الذكر، وعن الدور الكبير الذى قامت به بحريتهم فى غزو صقلية وماجاورها من الجزر وجنوب ايطاليا . وهو ماسيتضح في الفصل الثالث من هذه الرسالة - الا أن هذه المصادر شحيحه، فيما تمدنا به من معلومات عن بحرية الأغالبة ذاتها، سواء من حيث حجمها وقوتها أو نوع وحداتها ، وتنظيماتها البحرية .

وفي هذا الفصل ساتحدث اولا عن توفر المواد اللازمة لصناعة السفن ، وعن تعدد دور الصناعة في دولتهم ، ثم عما قاموا به من تحصينات بحرية دفاعية للساحل الافريقى ، وعن العدد الضخم من القواعد البحرية والمراسى على امتداد هذا الساحل وبالجزر التى فتحوها ، وأخيرا حاول استخلاص صورة تقريبية عن مدى حجم وقوة البحرية الاغلبية، وانواع السفن التى كانت تتكون منها .

وأرجو أن يساعد حديثى عن هذه النقاط القارىء في تصّور هذه الصورة التى أحاول جمع اطرافها المتعددة في اطار واحد لكى يأخذ فكرة واضحة عن بحرية الاغالبة تساعده في تفهم ضخامة الدور الذى قامت به في فتوحات صقلية وماجاورها من جزر الحوض الأوسط و الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وفي جنوب ايطاليا .

.. ..

١- توفر المواد اللازمة لصناعة السفن :

يتعين علينا بادئ ذي بدء ان نلقى نظرة سريعة عن المواد اللازمة لصناعة السفن ومدى توفرها في إفريقية وفي البلاد التى فتحها الاغالبة ، إذ بدون هذه المواد اللازمة لصناعة السفن يتعذر عليهم بناء هذه القوه البحرية الاسلامية الضخمة التى سيطرت على الحوض الأوسط والغربي للبحر الابيض المتوسط .

فعندما ننظر الى المعلومات التى أوردتها الكتب الجغرافية عن مدن بلاد المغرب وجزيرتى صقلية وقوصرة ، يتضح لنا أنها تستطيع بما وهبها الله من نعم متمثلة في غابات الاشجار والمعادن في بطون الأرض ان تمد دور الصناعة التابعة لدولة الاغالبة بما تحتاج اليه من مواد لازمة لصناعة السفن التى يتكون بها الاسطول الاغلبى ليصبح من أعظم الاساطيل الاسلامية في حوض البحر المتوسط الاوسط والغربي في ذلك الوقت .

فيوجد بها الخشب الصنوبرى القوى الذى تصنع منه ألواح السفن والصوارى والقرى والمجاديف ، وخشب الطخش لصناعة القس والسلاليم وبعض الرماح (١) والتروس . وكذلك توفر بها معدن الحديد

---

(١) عن الرماح يذكر السيد عبد العزيز سالم في مقاله عن البحريه المصرية فى العصر الفاطمي ، ضمن كتاب تاريخ البحريه المصرية ، كتبه نخبة من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية ، ص ١٠٥ .
عن قوله (الرماح أنواع كثيرة ، منها الرماح القنا ، ومنها القنطاريات المدهونه المذهبه ، وهى الرماح القصيره ، ومنها المزاريق والفريجيات والضوارى والصبريرات وهى الرماح الطويله المخصصه للطعن) .

الذى كان لابد منه لعمل المسامير والمراسى والروابط والخطاطيف أو الكلاليب (١) والعرادات والفوءوس(٢) واللتوت (٣) والدبابيس(٤) والجواش وغيرها من الالات والاسلحة. وكان معدن النحاس متوفرا كذلك لتصنع منه السلاسل . وأما الالياف فقد جلبت لعمل حبال المراسي كما توفر بها القطران والزفت لقلفطه السفن حتى لا تؤثر المياه في الواحها المغمورة في البحر ، وفضلا عن ذلك كان القطران

---

(١) عن الخطاطيف أو الكلاليب يذكر نفس المرجع السابق : ص ٥٠٢ قول (الكلاليب نوع من الخطاطيف الحديدية كان يستخدمها البحريون للرمى على مركب العدو لجذبها وشدها ، والعبور اليها عن طريق الواح خشبية او سلاليم من الحبال لمقاتلة ملاحيها) .

(٢) عن الفوءوس يذكر نفس المرجع السابق : ص ٥٠١ - ٥٠٢ قوله (أما الفوءوس فسلاح له رأس نصف مستدير مبطط حاد النصل ، ومقبضه خشبي مستدير واحيانا يتخذ من الحديد ، وتسمى الفأس احيانا ملطه او طبر) .

(٣) عن اللتوت : يذكر نفس المرجع : ص ٥٠١ قوله (هى عمد من الحديد ، لها روءوس مستطيلة الشكل مضرسة ، مصنوعة من الحديد ، وقد تكون مقابض هذه اللتوت من الخشب المحكم التدوير ، ولكن خرزتها تكون في هذه الحالة من الحديد ، وتلبس في المقبض ، وقد تضرس تدويره الخرزه اوتسنن)

(٤) عن الدبابيس يذكر نفس المرجع السابق : ص ٥٠٢ قوله (لا تختلف عن اللتوت الا في روءوسها فهى مدورة مضرسة . وتستخدم اللتوت والدبابيس كسلاح لتهشيم الخوذات المعدنية) .

والكبريت لا زمين لصناعة النفط البحرى وهو نوع لاينطفيء اذا سقط في الماء (١). كما كان القطران والكتان لا زمين لصناعة النار الحارقة التى كانت تعتبر سلاحا من أسلحة البحرية الاسلامية. (٢)

هذا ويجدر بنا ان نشير الى الاماكن والمدن التى كانت تجلب منها هذه المواد لبلاد افريقية (المغرب الادنى) وصقليه وقوصرة.

الأخشاب :

كانت تجلب الاخشاب الى افريقيه من جبل درن ، فهو كثير الأشجار ويعرف بسنجنفوا ، وهذا مايذكره البكرى في قوله " وهو كثير الصنوبر والارز والبلوط " (٣) . وفي مدينة نكور يوجد خشب الارز والعرعر، وفي هذا يقول البكرى : " ومدينه نكور بين رواب منها جبل يقابل المدينة يعرف بالمصلى وبها جامع على اعمده من خشب العرعر ، وهوولأرز اكثر خشبها" . (٤)

وفي جبال بنى بزغه (بالقرب من فاس) خشب جيد - ويذكر السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى عن الجزنائى في كتابه (زهرة الأس في بناء مدينة فاس) ان لهذا الخشب ميزة انه اذا وضع العود منه في مكان لا يصل له الماء فهو يعمر ألف عام وربما اكثر دون أن يتغير. (٥)

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ص ٥٧ .

(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٦٦

(٣) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٤٧ - ١٦٠

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٩٠

(٥) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٨

أما في جزيرة صقلية فكان يجلب الخشب لدور صناعتها من مدينة جفلوز (١) التي يوجد بها أجود أنواع العود ، ويذكر ياقوت في وصفه بهذه المدينة قوله " وفيها عنصر أجناس العود الذى تنشأ منه المراكب " . (٢)

ويجلب ايضا من مدينة إلياج (٣) ، وفي هذا يقول الحميرى : " يحمل منها . . . . والخشب " . (٤)

وفي جزيرة قوصرة يوجد مقطع للخشب الجيد الكثير الانتاج وكانت تصدر كميات منه الى صقلية . (٥)

أما جزيرة مالطه فقد كان بها مرسى ودار لصناعة السفن ، وذلك لتوفر الخشب اللازم لدار الصناعة بها وهو خشب اشجار الصنوبر . (٦)

---

(١) قلعه جفلوز الكبيره وهى مدينه حصينه بصقلية فوق جبل عال على شاطىء البحر (ياقوت : المصدر السابق ، م ٢ ، ص١٤٧)

(٢) ياقوت : المصدر السابق ، م ٢ ، ص١٤٧ .

(٣) الياج هى بلده في جزيرة صقلية على البحر (الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥١٤)

(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥١٤

(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٤٨٥ .

(٦) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .

معادن الحديد والنحاس والرصاص :

كانت ببلاد المغرب عدة مدن تمدها بهذه المعادن ومنها مدينة بونه (١) ، وقد ذكر ذلك ياقوت في وصفه لها قوله " وبها معدن الحديد" . (٢)

و مدينة مجانه (٣) يقول ياقوت عنها " ومعدن المرتك والحديد والرصاص في جبل من جنوبها " . (٤)

ثم مدينة الأربس (٥) وقد وجد بها معدن الحديد ايضا . (٦)

وكذلك بلاد كتامة قد توفر بها معدن الحديد والنحاس معا ، وهذا ماذكره البكرى في قوله " وببلاد كتامة حجر اللازورد الجيد ومعادن النحاس والحديد" (٧)

---

(١) مدينه بونه : هى مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغناى ، وهى مدينة حصينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة . وهى على نحر البحر ، كثيرة الرخص والفواكه والبساتين القريبة ، واكثر فاكهتها من باديتها .
(ياقوت ، المصدر السابق ، م١ ، ص ٥١٢ - ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص٧٧) .

(٢) ياقوت : المصدر السابق ، م١ ، ص ٥١٢ - المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٧٧

(٣) مدينه مجانه : بلد بافريقيه فتحة بسر بن أرطأة وهى تسمى قلعة بسر (ياقوت : المصدر السابق ، م٥ ، ص ٥٦)

(٤) ياقوت : المصدر السابق ، م ٥ ، ص ٥٦

(٥) مدينة الاربس هى مدينة وكورة بافريقية وبينها وبين القيروان ثلاثة ايام من جهة المغرب (ياقوت : المصدر السابق ، م ١ ، ص ١٣٦) .

(٦) نفس المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٧) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٣

أما في جزيرة صقلية : كان يجلب الحديد لدور صناعتها من مدينة مسينا (١) ، فقال الحميرى في وصفها " وفي جبلها معدن الحديد الذى يتجهزبه الى جميع البلاد المجاورة لها" . (٢)

ويوجد كذلك الحديد في مدينة بلرم (٣) وقد ذكر ذلك ابن حوقل في وصفه لها اذ يقول " وشرب الناحيةالمعروفة بالغربية ، فمن العين المعروفةبعين الحديد وهناك معدن للسلطان من الحديد يصرف مايُستثار منه لحاجته في مراكبه وقرسطياته ، وكان هذا المعدن لبنى الأغلب يُجدى عليهم الكثير" . (٤)

الزفت والقطران :

بالنسبة لجزيرة صقلية كان يجلب لها الزفت والقطران من مدينة إلياج ، وهذا ماجاء في وصف الحميرى لها اذ يقول" يحمل منها الزفت والقطران " . (٥)

---

(١) مدينة مسينا : يذكر عنها ياقوت : المصدر السابق ، م ٥ ، ص ١٣٠ قوله(مسينى : بليدة على ساحل جزيرة صقلية ممايلى الروم مقابل ريو) اماالحميرى ، المصدر السابق ، ص ٥٥٩ فيذكر عنها (مدينة فى ركن جزيرة صقلية في شرقيها والجبال من الناحيةالغربية محيط بها) .

(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٥٩

(٣) مدينة بلرم : هي اعظم مدينة فيجزيرة صقلية في بحرالمغرب علىشاطئ البحر ، وهى مدينة كبيرة عليهاسورعظيم منحجارة شامخ منيع ، لمزيد من المعلومات عنها انظر ياقوت :المصدر السابق ، م١ ، ص ٤٨٣ ـ ابن حوقل : المصدرالسابق ، ص١١٣-١١٦

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ص ١١٧

(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥١٤

أما جزيرة قوصرة فقد كان يوجد بها قطران وخشب المصطكي وكان يجلب منه الى بلاد افريقيه . (١)

الألياف التي تصنع منها الحبال :

لقد كانت حبال السفن تصنع من نبات يسمى البربير وهو يشبه نبات البردى الموجود بأرض مصر . وكان ينبت ذلك النبات بكثرة في مدينة بلرم ، وقد ذكر ذلك لنا الجغرافي ابن حوقل اذ يقول " وفي خلال أراضيها بقاع قد غلب عليها البربير وهو البردى المعمول منه الطوامير ، ولا أعلم لما بمصر من هذا البربير نظيرا على وجه الارض ، الا ما بصقلية منه واكثره يفتل حبالا لمراسي المراكب . . . "

---

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٩

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١١٧

٢ - تعدد دور الصناعة :

دار صناعة تونس:

لقد أنشئت دار الصناعة في تونس عند ما أدرك ولاة العرب في افريقية أهمية أن يكون لافريقية دار صناعة تقام فى احدى مدن ساحلها لكى تزود الجيش البرى بأسطول مستقل عن اسطول مصر ينفرد بحماية سواحلها والدفاع عنها من غارات البيزنطين ، وليقوم بالجهاد في البحر لغزو صقلية وغيرها من القواعد البيزنطية البحرية التى كان وجودها يشكل خطراً جاثما امام الساحل الافريقى . وبالفعل تم انشاء دار الصناعة بتونس على نحو ما ذكرت سابقا في الفصل الأول على يد حسان بن النعمان بعد تخريبه مدينة قرطاجنة ، وكان انشاؤها في سنة ٨٤ هـ/٧٠٣م . (١)

وكانت دار صناعة تونس موضع اهتمام وعناية ولاة افريقية من قبل الخلافة الاموية ، فقد قام موسى بن نصير بتكملة انشاء هذه الدار وأشرف على انشاء عدد من السفن اشتركت في غزوة الاشراف السابقة الذكر في الفصل الأول . (٢)

وكذلك في عهد عبيد الله بن الحبحاب ١١٤- ١٢٣هـ/ ٧٣٢ - ٧٤٠م أصبحت تونس من أهم ثغور افريقية التى قامت بالجهاد البحرى والغزو في البحر المتوسط وذلك بفضل تجديد عبيد الله لدار

----

(١) انظر قبل ، الفصل الأول ، ص ١٩
(٢) انظر قبل ، الفصل الأول ، ص ٢٨

صناعتها ، واهتمامه الشديد ببحرية افريقية . (١)

وبطبيعة الحال عندما قام الحكم الأغلبى في افريقية زاد الاهتمام بدار الصناعة في تونس بسبب اهتمامهم الزائد بالبحرية لحماية سواحل افريقية من خطر البحرية البيزنطية من جهة ، ومن جهة أخرى لقيامهم بالجهاد ونشر الاسلام في جزر الحوض الاوسط للبحر الأبيض المتوسط وفى جنوب ايطاليا .

دار صناعة سوسة :

أما دار الصناعة الثانية في دولة الأغالبة فهى تلك التى أقاموها في مدينة سوسة . فالبكرى في وصفه لمدينة سوسه يذكر مانصه " وبها ثمانية ابواب احدها باب كبير جدا في شرقى دار تعرف بدار الصناعة منها تدخل المراكب وتخرج " . (٢)

ويذكر ياقوت في وصفها " أن سوسة مدينة صغيرة بنواحى افريقية بينها وبين سفاقس يومان . . . وقيل : من القيروان الى سوسة ستة وثلاثون ميلا ، وهى مدينة قد احاط بها البحر من ثلاث نواح : من الشمال والجنوب والشرق وسورها صخر حصين منيع يضرب فيه البحر ، وبها منار يُعرف بمنار خلف الفتى . . ." (٣)

---

(١) انظر قبل ، الفصل الأول ، ص ٥٣ - ٥٤
(٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٤ .
(٣) ياقوت : المصدر السابق ، م٣ ، ص ٢٨٢

ويذكر ابن حوقل في وصفها ما نصه " وأما سوسه فمدينة ... على نحر البحر ، ولها سور حصين ... وهي احدى فرض البحر... "(١)

ونرجع للبكري مرة اخرى فيقول ما نصه : " وكان زيادة الله ٢٠١ - ٢٢٣هـ/٨١٦ - ٨٣٧ م - بنى سورها (٢) وكان يقول ما أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات بنيانى مسجد الجامع بالقيروان ، وبنيانى قنطرة الربيع ، وبنيانى حصن مدينة سوسة ، وتوليتي احمد بن أبى محرز قضاء افريقية . وخارج مدينة سوسة محارس وروابط ومجامع للصالحين وداخلها محرس عظيم كالمدينة سور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط هو مأوى للاخيار والصالحين داخله حصن ثان يسمى القصبه وهو بجوفي المدينة (أى بداخلها) متصل بدار الصناعة بسفح الجبل " . (٣)

وأما الحميرى فيقول " وبالقرب منها محرس المنستير الذى جاء فيه الاثر الوارد ، وهو حصن عالى البناء متقن العمل ، وفيه جماعة من الصالحين حبسوا انفسهم فيه للعبادة ، وأهل تلك البلاد يخرجون اليهم بالصدقات ، وبقربه نحو خمسة محارس متقنه البناء معمورة بالصالحين " . (٤)

وهكذا نلاحظ من أقوال المؤرخين مدى أهمية مدينة سوسة واهميتها دار صناعتها ، ومدى اهتمام الأغالبة

---

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٧٤
(٢) في اعتقادى ان البكرى يقصد رباط سوسة وليس سورها لأن من بنى سور سوسه هو الامير الاغلبى ابو ابراهيم ، احمد بن محمد بن الاغلب وذلك كما سيأتي فيما بعد في فقرة التحصينات الاغلبية الدفاعية للساحل الافريقي .
(٣) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٥
(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٣١

بتحصينها والاهتمام بدار الصناعة بها لتكون عوناً لاختها دار الصناعة بتونس لامداد الاسطول الاغلبى بالسفن اللازمة لغاراته على صقلية وجنوب ايطاليا .

ويذكر لنا الحميرى أنه كانت تخرج من سوسة بعض الحملات الاسلامية ولعل أشهرها حملة اسد بن الفرات على صقلية سنة ٢١٢ هـ/٨٢٧م فيقول " ومنها ركب اسد بن الفرات البحر غازيا الى صقلية في الزمان الأول " (١)

ويذكر سعد زغلول عبد الحميد عن المالكى انه عندما امر زيادة الله بانشاء المراكب لحملة اسد بن الفرات لغزو صقلية كان فتيانه من السودان يشاركون في اعمال دار الصناعة التى ضاق بها المكان فأضطر العاملون في بناء السفن ، الى استخدام مقبرة سوسة ، وهدموا مافيها من قبور حيث رقدوا المراكب التى كان يجرى انشاوءها . (٢)

أما من جهة حجم حملة أسد بن الفرات على صقلية وهى التى تعبر بدورها عن حجم دار الصناعة بسوسة وعدد السفن التى بنتها في هذه الفترة فقد اشترك في هذه الحملة حوالى ٧٠٠ (سبعمائه) فارس بخيلهم ، بالاضافة لـ ١٠ (عشرة) الاف راجل . وعند انتظامهم في مراكبهم للابحار بها بلغت ١٠٠ (مائه) مركب ، اى أن حمولة

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٣١ - اشار الى ذلك ايضا ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٣٢ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢١٦

المركب الواحد كانت أكثر من ١٠٠ (مائه) رجل غير النواتية (البحارة) الذين يعملون على ظهر السفينة. (١) وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ضخامة انتاج هذه الدار وعلى مدى أهمية دار الصناعة بسوسة واهتمام الأغالبة بها.

دار صناعة طرابلس الغرب :

أما دار الصناعة الثالثة في دولة الاغالبة ، فهى تلك التى أقاموها في مدينة طرابلس الغرب . ويذكر البكرى وياقوت عن طرابلس قولهما " وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان وهى على شاطيء البحر ... وفيها رباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون اعمرها واشهرها مسجد الشعاب، ومرساها مأمون من اكثر الرياح " . (٢)

ويزيد عليه البكرى قوله " ثم الى مرسى مدينة طرابلس ومرساها مأمون جيد ولها دار صناعة للاساطيل " . (٣)

ويذكر ابن حوقل في وصفها مانصه : " هى مدينة بيضاء من الصخر الابيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة ذات ربض ... الى مراكب تحط ليلا ونهارا ، وترد بالتجارة على مر الاوقات والساعات صباحا ومساء من بلد الروم وأرض المغرب واذا وردت المراكب ميناءهم عرضت لهم لهم دائما الريح البحرية فيشتد

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١٠٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، حـ٣ ، هامش ١١٢ - الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٦٦ (الا انه يذكر عدد السفن ٧٠ مركبا فقط) - احسان عباس : العرب في صقليه (دراسة في التاريخ والادب) ص ٣٣-٣٤ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ٢١٧

(٢) البكرى : المصدر السابق ، ص٧ - ياقوت : المصدر السابق م٤ ، ص٢٥

(٣) البكرى : المصدر السابق ، ص ٨٥

الموج لا نكشا فـه ويصعب الارساء ، فيبادر أهل البلد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوعين ، فيقيد المركب ويرسى في اسرع وقت بغير كلفه لاحد ولاغرامة حبه ولا جزاء بمثقال" . [١]

ويذكر الاصطخرى قوله " هى مدينة مبنية من الصخر على ساحل بحر الروم ، خصبة واسعة الكورة حصينة جدا " [٢] .

و يتضح لنا من أقوال هؤلاء الجغرافيين أهمية طرابلس الغرب فهى تعتبر من أهم قواعد الاساطيل المغربية في العصر الإسلامي الى جانب انها دار لصناعة السفن ، فمنها كانت تخرج غارات المسلمين الموجهة للروم ، فقد كانت نقطة انطلاق الاسطول الاغلبى الى جزيرة مالطه والتى فتحت في عهد الأغالبة سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م [٣]

دار صناعة مدينة مسينا بصقلية :

ثم تأتى لمدينة مسينا ، وهى احدى مدن الساحل الصقلى ولها اهميتها البحرية سواء كانت حربية او تجارية وهى من القواعد الهامة لبحرية الاغالبة في صقلية وبها دار صناعة للسفن تمد بحرية المسلمين بصقلية بالسفن اللازمة للاسطول الاسلامي . وقد ذكر الحميرى دار صناعتها عند وصفه لها

---

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٧١-٧٢
(٢) الاصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٣
(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٠

فقال : " وهى احدى قواعدها (أى صقلية) ، والسفر منها واليها قصدا ، وهى دار انشاء (أى بها دار صناعة لانشاء السفن) وبها حط واقلاع .." (١)

دار صناعة بجزيرة مالطه :

أما دار الصناعة الخامسة في دولة الأُغالبة فهى تلك التى أقاموها في جزيرة مالطة ، ويذكر ذلك الحميرى في قوله :" هى جزيرة من الجزائر التى تلى جزيرة صقلية ، وهى فى القبلهمن مسينا بينها وبين صقلية مجرى واحد ، وكانت قبل هذا للمسلمين ، وفيها مرسى منشأة للسفن (اى بها دار صناعة لانشاء السفن) . (٢)

كذلك يذكر السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ان بجزيرة مالطه مرسى ودار لصناعة السفن . (٣)

---

(١) الحميرى : المصدر السابق، ٥٥٩
(٢) الحميرى : المصدر السابق، ص ٥٢٠
(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

٣- التحصينات البحرية الدفاعية للساحل الافريقي :

حرص الامراء الاغالبة على حماية بلاد المسلمين التى تدخل تحت حكمهم ، فعملوا على صيانة البلاد وذلك بأن أدخلوا بعض التحسينات على الحصون البيزنطية ، وخاصة في بلزمة وباغاية (باغايه العتيقه) (١)

هذا الى جانب الاضافات والتحسينات التى اضافوها على ماكان قد بناه هرثمه بن اعين سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦ م ، فقد أعادهرثمه بناء سور مدينة طرابلس من جهة البحر (٢) ، كما بنى في المنستير رباطا (٣) .

فقد استوحوا من هذه التحصينات بطرابلس ومن رباط المنستير نماذج لبناء الرباطات على طول الساحل التونسى أو لاقامة أسوار منيعه تحمى مدن الساحل من غارات الروم كرباط سوسة وسور صفاقس وسوسة . (٤) وكذلك رباط تونس ورباط بونه التى تسمى اليوم عنابه . (٥)

وقبل ان ندخل في الكلام عن هذه المنشآت الحربية لابد لنا من تعريف لفظ الرباط والمرابطين ماهو ؟ وماهى فائدته ؟ .

---

(١) شارل اندرى جوليان : تاريخ افريقيا الشماليه ، حـ٢ ، ص ٦٦

(٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ٩ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص ١٩٥

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١٠ - ابن خلدون : نفس المصدر السابق ، والجزء والصفحه .

(٤) شارل اندرى جوليان : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ٦٦

(٣) حسين موءنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨١ .

الرباط هو بناء كبير يقام على ساحل البحر وربما على حـــــدود الصحراء لكي يقيم فيه أولئك الزهاد الرباط على حدود دار الاســـلام وثغوره لمحاربة اى عدو يهاجم بلاد الاسلام . (١)

أما المرابطون فهم العباد والزهاد من أهل هذه الأربطه ، وفـــي نفس الوقت هم مقاتلون تجهزوا للدفاع عن الثغور الى جانب من تطوعوا مـــن المجاهدين التقاة الذين وهبوا أنفسهم للدفاع عن بلادهم والجهاد فـــي سبيل الله ضد اعداء الاسلام . (٢)

وكان هؤلاء المرابطين يعيشون في قصورهم ورباطاتهم حيـــاة مشتركة : ياكلون معا ويصلون معا ، وكان لكل منهم خلوة صغيرة يتعبـــد فيها وحده ويقرأ القرآن في ساعات معينه من الليل والنهار ، وكان القصـــر (الرباط) يضم مسجدا للصلاة . (٣)

ولقد أبدع أهل المغرب خاصة في انشاء هذا الطراز من الأربطـــة ، وعنى الكثير من ولاة افريقية مثل يزيد بن حاتم ، وهرثمه بن أعين وأمـــراء الأغالبة بالرباطات ، فأنفقوا على إنشائها من جهه وعلى تجديد القديـــم منها من جهه أخرى بسخـــاء . (٤)

---

(١) حسين مونس: المرجع السابق ، ص ٨٠

(٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابـــق ، ص ٤١ - حسن محمود واحمد الشريف: المرجع السابق ، ٤١٧ - حسين مونس: المرجع السابق ، ص ٨٠ - محمد عبد العزيز مـــرزوق المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٣) حسين مونس : المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٤) نفس المرجع السابق والصفحـــة .

وكان الدافع لولاة وامراء أفريقية الى انشاء هذه الأربطة والعناية بها هو رغبتهم في التحصين ضد هجوم الاعداء من جهة البحر، وضد أى فتن واضطرابات في الداخل. (١)

وكانت ثقة الناس فيهم عظيمه، ومن ثم فقد كانوا عاملا ايجابياً من عوامل الاستقرار واستتباب الأمور في افريقيه. (٢)

وقد انشئت الأربطه كلها تقريبا في افريقيه (المغرب الأدنى) في القرنين الثاني والثالث الهجرى / الثامن والتاسع الميلادى. (٣)

اما من حيث بناء الرباط نفسه فهو في العادة يبنى على هيئة حصن عالي الأسوار، ويكون من طابقين : الطابق الأول عام فيه المسجد وقاعات الدروس وقراءة القرآن والطعام، والطابق الثاني يخصص للخلوات، فقد كان العابد منهم بعد صلاة العشاء الآخرة يذهب الى خلوته ليتعبد ويصلى قدر ما يشاء من الليل، ثم ينام ليصحو مع الفجر، وكانوا يتناوبون الحراسة، فيقوم نفر منهم في أبراج الحراسة بالتناوب بالليل والنهار. وللرباط شيخ منهم هو رئيسه ومنظمه والمسئول عنه، ويكون في العادة من اجلاء الشيوخ العباد الزهاد. وكان يحيط بالقصر (الرباط) في العادة أرض تعتبر ملكه، ويقوم المرابطون بزراعتها للتقوت بمحصولها، لأن المفروض أنهم يعيشون من عمل أيديهم ولا يأكلون الا مالا حلالا. (٤)

---

(١) ارنست كونل : الفن الاسلامى ، ص ٢٤.
(٢) حسين موءنس: المرجع السابق ، ص ٨١ .
(٣) أرنست كونل : المرجع السابق ، ص ٢٤ .
(٤) حسين موءنس: المرجع السابق ،ص ٨١ .

وكان يوجد في الرباط اشارات أو علامات نارية تتناقلها الأربطة أولاً بأول في الليالي التى تشعر فيها بخطر العدو على الساحل الافريقي وبه ايضا جدائل الحمام البطائقي الذى يقوم في النهار بمهمة الخط البريدى في الجو فتعلق به الأخبار المستعجلة فيقوم بتوصيلها وتبليغها من أدنى رباط بسبتة في اقصى المغرب الى الاسكندرية . (١)

ومن وظائف الرباط ايضا أنه يعتبر مستشفى للمرضى يُعالج بداخله المرابطون والمرابطات . ويعتبر كذلك داراً للمسافرين مرحلة بعد مرحلة ، وثكنه لحراسة الثغور وحمايتها من الروم يوم كان الاسطول العربى لا يقوى على مدافعتهم . (٢)

كذلك كان الرباط ذا أهمية كبيرة متمثلة في كونه مدرسة يبث فيه المرابطون العلم في صدور الرجال والنساء احتسابا لوجه الله .

وكان الرباط معهد صناعة للحبر والورق والكاغد لتوزع على الطلبه رغبة في الثواب من الله ، وكان يوجد به ايضا دار استنساخ للمصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه . فالمؤلفون يحبسون تصانيفهم بخطوط أيديهم على الأربطة لتكون منها النسخة الأم التى يرجع الى نصها الصحيح ، وتقابل عليها النصوص المنتسخه ، ويتولى المرابطون النساخون استنساخها لمكاثرة عددها وتوزيعها على طلبة العلم احتسابا . ففى كل رباط مكتبة جدارية مفرغة في طاقات من الحائط بها النسخ الأمهات والمولدة منها . ونجد مثالاً للمكتبة الرباطية برباط المنستير ، وهي غرفة كبيرة حولها مصاطب مبنية يجلس عليها المطالعون ،

---

(١) عثمان الكعاك : محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب ، ص ١٦ - ١٧ .
(٢) عثمان الكعاك : المرجع السابق ، ص ١٧ .

وفى جوانبها طاقات مفرغة بالحائط على غرار مكتبة لمبيز الرومانية بالجزائر، توضح بها الدرج أى لفائف المخطوطات ، حتى اذا صار الكتاب منبسطا مجلداً بالخشب والجلد في القرن الثالث الهجرى صارت بها الكتب المنبسطات عوض الدرج .

ولما كان عدد الأربطة الفا بالمغرب[(١)]، فقد كانت هنالك الف مكتبه ،أى أنه كانت توجد على الأقل ألف نسخة مولدة من النسخة الأم من كل كتاب . وهذا ما يفسر لنا كثرة المخطوطات الأصلية في اللغة العربية على خلاف كتب الاقدمين من يونان ورومان . وهذا ما يفسر لنا ايضا توافر المؤلفات المصنفة في القرن الثانى والثالث الهجريين ووجودها بالمغرب العربي أكثر من وجودها بالمشرق العربي . [(٢)]

ومن وظائف الرباط المهمة ايضا في بلاد المغرب نشر الدعوة الاسلامية بين الأفارقه والجاليات النصرانية بالمغرب، بحيث ما ان وصل القرن الرابع الهجرى الا ولم يبق نصرانى واحد من عجم الساحل أى من الرومانين المتصلين بالبلاد قبل الفتح الاسلامى ولا من الأفارقة أى من البربر الذين كانوا على النصرانية استرسالا في عهد الاسلام من عهد ما قبل الفتح . [(٣)]

---

(١) لم يوضح لنا عثمان الكعاك الذى ننقل عنه هذا النص عن الأربطه ،العصر الذى بلغت فيه الاربطه في بلاد المغرب هذا العدد الضخم. وليس ثمه شك ان هذا لعصر ليس هو عصر الأغالبه لأن سيادة الأغالبة كانت على المغرب الأدنى فقط، ومن الجائز أن يكون ذلك قد تم في عهد الفاطميين او في عهد الموحدين الذين كانت سيادتهم تشمل كل بلاد المغرب .

(٢) عثمان الكعاك : المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٣) عثمان الكعاك : المرجع السابق ، ص ١٧ - ١٨ .

ويذكر لنا شارل آندرى جوليان آنه في العهد الأغلبى الأول تعاظم وتفاقم عدد المسلمين الذين شعروا بالحاجة الى الخلوة، واحيانا الى اعتزال الدنيا تماما أو الاعتكاف في اكثر الأحيان بالرباطات . (١)

وهكذا تعددت الأربطه على طول الساحل الافريقي فكان بين والرباط ٦ كيلو متر. ولما كانت المسافة بين سبته والاسكندرية ٦٠٠٠ كم فقد كان هناك الف رباط. اى خط دفاع مغربي طوله ستة آلاف كيلو متر. (٢) هذا من الناحية الاستراتيجية . وعلى هذا الاساس فقد كان يوجد حوالى الف رباط بها آلف مستشفى وآلف دار بريد ، وآلف مدرسة ، وآلف مكتبه ، وآلف دار نشر. (٣)

ومن المعلوم ايضا آن كل رباط للرجال مردف برباط للنساء يكون في القبالة منه . (٤)

ومن هنا كلما زادت الفتوحات الاسلامية اتساعاً اتسعت على نسبتها الاربطة واسس منها خط دفاع امامى . فالخط الأول بسواحل المغرب، والخط الثانى بجزر البحر المتوسط كصقليه ومالطه وقوصرة ، والخط الثالث بسواحل ايطاليا. (٥) وقد ذكر لنا حسن حسنى عبد الوهاب وهو يتحدث عن احداث غزو مسلمى افريقيه لروما انه عندما لم يستطع المجاهدون المسلمون اقتحام المدينة ظلوا يترددون بين المدينه وأحوازها ما يقارب الشهرين ، وفي أثناء هذه المدة بنوا رباطا صغيرا على مصب نهر التيبر لكى يراقبوا الصادر من العاصمة والوارد اليها ، وما زالت اطلال هذا الرباط موجودة تدل على مكان

---

(١) شارل آندرى جوليان : المرجع السابق ، جـ ٢ ،ص ٦٢ .
(٢) انظر فيما بعد ،ص ٥٤ - ٥٦ نتائج دراسة الدكتور/ محمد عبد الهادى شعيرة عن الرباطات الساحلية الليبية الاسلامية .
(٣) عثمان الكعاك : المرجع السابق ،ص ١٨ (انظر تعليقنا السابق عن هذا النص عن الأربطه .)
(٤) نفس المرجع السابق ،ص ١٩ .
(٥) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة

انشائه . (١)

وقد مزج علماء افريقيه باقامتهم في الأربطه بين العلم والتدين والجهاد ، بطريقه لم تعرف في غير إفريقيه من بلاد الاسلام. (٢)

ومع مرور الزمن على العالم الاسلامي وتغيير الأحوال فيه تغير المفهوم من الرباط . فعندما ضعفت الروح الحربية في النفوس أصبح المقصود بالرباط هو البناء الذى يقيم فيه أولئك الذين تفرغوا لعبادة الله. (٣)

هذا ما كان من أمر الرباط ما هو؟ وما هي وظائفه التى كانت تخدم المسلمين فى بلاد المغرب ؟ .

ونأتى الآن الى ما قام به الاغالبة من نشاط معمارى عسكرى لبناء الرباطات والمحارس لتحصين السواحل التونسيه من غارات الروم، فمن هذه المنشآت الحربية :-

رباط سوسة :

هو الرباط المعروف بقصر الرباط أو بمحرس الرباط كما يذكره البكرى . (٤)
وهو يعتبر من أهم وأكبر الحصون التى أقيمت في عصر دولة الأغالبة للعباد والمجاهدين في سوسه. وقد اصبح لهذا الرباط بعد سنوات قليلة شأن كبير كقاعدة لأكبر عملية غزو بحرية قام بها المسلمون في صقلية . (٥)

---

(١) حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص ٨٢ .
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٧١ .
(٣) محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٤) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٥ .
(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

وقد وصلت إلينا عمارة رباط سوسة في حاله جيده ، وهو من بناء الأمير زيادة الله بن الأغلب أقامه في سنة ٢٠٦ هـ/ ٨٢١ م وتاريخ الانشاء مسجل على لوحة من الرخام بأعلى مدخل المنار ، نقرأ عليها النص التالى : (مما أمر به الأمير زيادة الله بن ابراهيم اطال الله بقاءه على يدى مسرور الخادم مولاه في سنة ست ومائتين اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) . (١)

ويقع رباط سوسه على خليج قابس ، بداخل أسوار مدينة سوسة في القسم الأدنى من المدينة. (٢) وفي هذا يذكر البكرى قوله " وداخلها (أى داخل مدينة سوسه) محرس عظيم كالمدينه مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط هو مأوى للأخيار والصالحين داخله حصن ثان يسمى القصبة " . (٣)

وقد بنى هذا الرباط قبل انشاء اسوار سوسه بنحو ٣٩ سنة . (٤) أما من ناحية تصميم هذا البناء وما يشتمل عليه فوصفه كالآتى :

هو أشبه بحصن مربع الشكل ، طول ضلعه حوللي أربعين مترا . تدعم جدرانه الأربعه ثمانية أبراج : ٤ (أربعه) منها في زوايا البناء ، و٤ (أربعه) في وسط كل من حوائطه الأربعه . والأبراج مستديرة الشكل عدا اثنين منها : فلها شكل مربع ، وأحدهما يقع في الركن الجنوبى الشرقي حيث توجد في أعلاه منارة مربعة الشكل ، يُظن أنها أقيمت من أجل إرسال الإشارات الضوئيه التى كان يتبادلها جند المحارس ، والثاني في وسط الجدار الجنوبي حيث الباب الوحيد للرباط ، وكانت تعلو برج هذا الباب قبه ذات شرفات (جوسق) ربما

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠
(٢) نفس المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٥٠
(٣) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٥
(٤) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق والجزء والصفحة .

كانت تستخدمه كمئذنه للجامع الذى يقع في الدور العلوى من هذا الجانب من الرباط. (١)

وتزدان الأسوار والأبراج في أعلاها بطراز ممتد من العقود الصغيرة المتصله ، وتنتهي الأسوار من أعلى بشرافات مستديرة الروءوس . (٢)

أما مدخل الرباط فبارز يتوسط الواجهه القبلية. ويصل المرء الى داخل الرباط عن طريق درج هابط، يوءدى الى باب معتب (أى له عتبه) مفتوح في هذا السور القبلى . فاذا ما اجتاز المرء هذا الباب وجد نفسه في ممر ينقسم الى ثلاثة أقسام : الأول أسطوان تعلوه قبوة متعارضة ،ويكتنفه على كل من الجانبين أسطوان قبوته نصف أسطوانية. أما القسمان الآخران فتعلوهما قبوتان نصف اسطوانيتين ، ويوءدى هذا الممر شمالا الى صحن الرباط. (٣)

والصحن مربع الشكل تقريباً ،طوله من الشرق الى الغرب ٢٠ر٤٠ متراً ، وعرضه من الشمال الى الجنوب ٢٠ر١٩ مترا. ويحيط بالصحن من جهاته الشمالية والشرقية والغربية أروقة تطل عليه ببوائك ، عقودها قائمة على دعائم ووراء هذه البوائك غرف لا نوافذ لها ، سقفها قبوات نصف اسطوانيه ويتراوح اتساع الغرفة الواحدة ما بين ٣٫٥٠ مترا ، ٣٫٦٠ مترا ،باستثناء غرف الجانب الشرقي التى لا يزيد اتساع الواحدة منها على ثلاثة أمتار. (٤)

ويعلو هذا الطابق من الغرف طابق ثان مشابه للطابق الأرضي ولا يختلف عنه الا في ان مجنبات الصحن حل محلها سطح إرتفاعه من مستوى سطح أرض

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ،ج٢ ،ص ٧١ - ٧٢ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج ٢ ،ص ٤٥٠- أرنست كونل : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق والجزء والصفحة .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق والجزء والصفحة .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج٢ ،ص ٤٥١ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ،ج ٢ ، ص ٧٢ .

الصحن نحو ٣٠ره مترا ويشغل الجانب الجنوبى من هذا الطابق مسجد صغير طوله من الداخل ٣٩ مترا وعرضه ٧ أمتار. ويتالف هذا المسجد من ١١ بلاطه عموديه على جدار القبلة تمتد على أسكوبين ، ونلاحظ أن البلاطتين المتطرفتين أكثر اتساعا من بقية البلاطات . ويتوسط المحراب جدار السور الجنوبى للرباط(١) وترتفع أمام المحراب قبه تبدو من الخارج بارزة . وللمسجد خمسة أبواب مفتوحه في الجدار المواجه لجدار القبلة: اثنان عن يمين الشخص المواجه للمحراب، وثلاثة عن يساره ، ولم يفتح في هذا الجدار باب يواجهه المحراب. أما المنار فأسطوانى الشكل ، قطره نحو ٧٢ر٤ مترا ، وارتفاعه فوق مستوى سطح ممشى السور ٣٨ر١٥ مترا . (٢)

رباط المنستير:-

والمنستير هو موضع بين المهدية وسوسة بإفريقية ،(٣) كان في الأصل رباطاً أو قصراً يرابط فيه المسلمون لحماية ثغور إفريقية من الغارات البحرية التى كان يقوم بها الروم. وقد قام ببناء هذا الرباط هرثمه بن أعين والى افريقية من قبل الخليفة العباسى الرشيد في سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م. (٤)

ومنذ تاسيسه أقبل الناس عليه وبنوا بيوتهم حوله فأصبح بذلك مدينة عامره بالسكان .

وقد ذكر لنا البكرى وصفا لهذا الرباط فقال: " ومن محارس سوسه المذكورة محرس المنستير . . . . وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين الفارسية ومواجل الماء ، وهو حصن عالى البناء ، متقن العمل ، وفي الطبقه الثانية

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٤٥١ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٢ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق ،جـ٢ ،ص ٤٥١ .
(٣) ياقوت: المصدر السابق ،م ٥ ،ص ٢٠٩ .
(٤) ابن الاثير: المصدر السابق ، جـ ٥ ،ص٩٦ - ابن عذارى: المصدر السابق ،جـ١ ، ص١١٠ - ابن خلدون: المصدر السابق ، جـ ٤ ،ص١٩٥ ابن الخطيب: المصدر السابق ، جـ٣، ص ١١ .

منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه ،وفيه جماعة من الصالحين من المرابطين ، وقد حبسوا أنفسهم فيه منفردين دون الأهل والعشائر. وهو قصر كبير عال داخله ربض واسع، وفي وسط الربض حصن شان كبير كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية، طبقات بعضها فوق بعض وفي القبلة منه صحن فسيح فيه قباب عاليه متقنه ينزل حولها النساء المرابطات تعرف بقباب جامع . وبها جامع متقن البناء وهو ازاج معقودة كلها وأقباء لا خشب فيها ولا حمامات كثيرة. وكان اهل القيروان يخرجون اليهم بالأموال والصدقات الجزلة ، وله في يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كثير وبقربه محارس خمسة متقنه البناء ، معمورة بالصالحين " . (١)

ومن وصف البكرى هذا يتضح لنا أن هذا الرباط أضيف اليه في العصور التالية لبنائه اضافات كثيرة أدت الى تغيير ملامحه ، وربما تم ذلك على يد أحد أمراء الأغالبة ، وبالرغم من هذا نستطيع ان نتبين عناصره الاساسية ،فقد كان له سور محاط بأبراج مستديرة أو كثيرة الاضلاع ،وله صحن فسيح يحيط به من جهاته الثلاثة الشمالية والغربية والشرقية طابقان أو ثلاثة من الغرف التى لا تتقدمها بوائك تطل على الصحن ، يشبه النظام المتبع في رباط سوسة. ويرتفع في الركن الجنوبي الشرقي برج أسطواني الشكل ، مثل نظيره في رباط سوسة. ويشغل الجانب القبلى بالطابقين الأدنى والأعلى مسجدان، الأدنى منها بسيط في تخطيطه ، اذ يتكون من ثلاث بلاطات وأسكوبين أما العلوى فيشتمل على تسع بلاطات وأسكوبين ، وتقوم العقود التى تتكىء عليها القبوات نصف الاسطوانية ،والعقود الأخرى المنخفضه التى تفصل بين البلاطات على دعائم مطوله . (٢)

---

(١) البكرى : المصدر السابق ،ص ٣٦.
(٢) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

وكان يحتوى ايضا على مدفن بين السور وجدار المحـــــراب .[١]

سور سوســـه :-

يذكر ابن خلدون أن الامير ابراهيم بن احمد (٢٦١ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٠١ م) هو الذى بنى سور سوسه[٢] ، كما يذكر ذلك ايضا ابن الاثير[٣]

ويذكر البكرى أن الامير زيادة الله (٢٠١ - ٢٢٣هـ/٨١٦ - ٨٣٧ م) هو من بنى سور سوسه "وكان يقول ما أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفتي اربع حسنات : بنيان المسجد الجامع بالقيروان ، وبنيان قنطرة الربيع، وبنيان حصن مدينه سوسه ، وتوليـــة احمد بن ابي محرز قضاء افريقيه " [٤]

الا ان ابن الخطيب يقول أن من بنى سور سوسه هو الامير ابو ابراهيم احمد بن محمد بن الأغلب (٢٤٢ - ٢٤٩ هـ/٨٥٦ - ٨٦٣م) سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩ م .[٥]

ويتضح لنا من كل هذه الأقوال أن قول ابن الخطيب هو الأصـــــوب ويؤيد ذلك النقش المسجل على السور القبلى من اسوار سوسه[٦] .

اما صفة سور سوسه : فهو سور مبنى من الـحجر المصقول ، ويعلـــوه جدار مشرف الذروة لحماية ممشي السور. ويدعم السور من الخارج أبــــراج ضخمه تتجاوز في إرتفاعها مستوى ممشي السور بنحو أربعة أمتار. وفي الزاويـــة الجنوبية الغربية من أسوار سوسه وهى أكثر مناطق سوسه ارتفاعاً ينتصـــــب

---

(١) أرنست كونل : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٢) ابن خلدون: المصدر السابق ،ج ٤ ، ص ٢٠٣ .
(٣) ابن الاثير: المصدر السابق ،ج ٦ ،ص ٥
(٤) البكـــرى : المصدر السابق ،ص ٣٥ .
(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق ،ج٣ ، ص ٢٣ .
(٦) السيد عبدالعزيز سالم: المرجع السابق ،ج ٢ ،ص ٤٥٣ .

برج مرتفع، ويذكر البكرى هذا البرج ويسميه منار فيقول " منار عال يعـــــرف بمنار خلف الفتى " (١) وهو برج مربع الشكل كالصومعة يعلوه برج أقل حجماً، ويشغله من الداخل أربع غرف تعلو الواحدة منها الأخرى ، السفلى منهـــــا مسقوفة بقبوة نصف أسطوانية ،والغرفة الثانية التى تعلوها تسقفها قبــــــوة متعارضه ، أما الثالثه فسقفها قبوة نصف اسطوانية ، والغرفة الرابعة تتكـــون من اربع قبوات متعارضه تقوم على عقود مصلبة ، ويبلغ ارتفاع هذا البرج ما يزيـــد على ثلاثين مترا . (٢)

سور سفاقـــس:

يذكر السيد عبد العزيز سالم عن اليعقوبي أن سفاقس مدينه على ساحــل البحر ، ويضرب البحر سورها. (٣) أما البكرى فيصفها بقوله " هى مدينه علـــى البحر مسورة " . (٤)

وهذا السور الذى اشار اليه اليعقوبي والبكرى أقيم في عهد الأمـــير ابراهيم بن احمد (٢٦١ -٢٨٩هـ/ ٨٧٤ - ٩٠١م) من التراب واللبن ،ثـــم رمم بعد ذلك بالاحجار. ويتالف من ستارة مبنية من الحجر المصقول ، وقطـــع من الحجارة غير المهذبة ، ويدعم السور ابراج مستطيلة الشكل، مستديـــــرة الرؤوس . وبعضها مضلع. (٥)

ويذكر لنا بن حوقل رباطاً آخر فيقول ما نصه " بينه (أى بين المنستير) وبين المهدية ايضاً قصر رباط يعرف بشقانص دونه عندهم في المنزله (أى دون رباط المنستير) وهو حصن منيع، وهما (أى رباط المنستير ورباط شقانـــــص)

---

(١) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٤ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق ،جـ٢ ،ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .
(٣) نفس المرجع السابق ،جـ ٢ ، ص ٤٥٤ .
(٤) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٩ .
(٥) السيدعبد العزيز سالم: المرجع السابق ،جـ٢ ، ص ٤٥٤ .

قصران عظيمان على حافة البحر للرباط والعبادة عليهما أوقاف كثيرة بافريقيه والصدقات تأتيها من كل أرض " . (١)

وكان يلي سفاقس على ساحل البحر التونسي سلسلة من الأربطه والمحارس، نخص بالذكر منها ، محرس بطويه وهو أشرفها ، ويوجد به منار مفرط الارتفاع يرقى اليه في ١٦٦ (مائه وست وستين) درجه. ومنها ايضا محرس حبله ، ومحرس أبي الغصن ، ومحرس مقدمان ، ومحرس اللوزة ، ومحرس الريحانه . (٢)

ويذكر لنا حسين مؤنس بعض الاربطه التى اشتهرت في عهد الأغالبه ، وهى رباط قصر الطوب في سوسة ، ورباط تونس، ورباط بونه التى تسمى اليوم عنابه . (٣)

وهكذا نرى مدى اهتمام الاغالبة بتحصين الساحل التونسي ويدل على ذلك ما يذكره ابن خلدون من أن الأمير أبا الغرانيق كان مولعا بالبناء والتشييد ، فبنى الحصون والمحارس على الساحل الافريقي على مسيرة ١٥ يوما من برقه الى جهة الغرب . (٤)

ويذكر ابن الاثير أن الأمير إبراهيم بن أحمد (٢٦١ - ٢٨٩ هـ/ ٨٧٤-٩٠١م) في بداية تولية الامارة على إفريقيه بنى الحصون والمحارس، وفى هذا الصدد يقول " وبنى الحصون والمحارس على سواحل البحر حتى كان يوقد النار من سبته فيصل الخبر الاسكندرية في الليلة الواحدة ". (٥)

وقد اثبتت الدراسة التى قام بها الدكتور محمد عبد الهادى شعيره عن (الرباطات الساحليه الليبيه الاسلاميه) صحة قول ابن الاثير وقد توصل

---

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٧٥ .
(٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ٢٠ .
(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ،ص ٨١ .
(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ،جـ ٤ ،ص ٢٠١ .
(٥) ابن الاثير: المصدر السابق ،جـ٦ ،ص ٥ .

الدكتور محمد عبد الهادى شعيره في هذه الدراسة الى عدة نتائج اجملها بقوله (ومجمل القول ان القصور بين قابس وطرابلس عددها ٢٥ قصرا ، وان القصور من طرابلس الى سلوقه عددها ٣٨ قصرا ... وان السواحل البرقاوية كانت ذات قصور عديدة متقاربة كالسواحل الطرابلسية والحقيقة الأهم هي أن السواحل من سبتة الى الاسكندرية كانت عبارة عن جبهه بحريه تتتالى فيها القصور على مسافات متقاربة ، بحيث تتراءى فيها النيران من فوق الأبراج ، بحيث كانت القصور تؤلف سورا دفاعيا متينا ... ونتيجة لوجود هذه الحصون المتقاربة فلقد أمكن للتجارة أن تسير في طريق آمن ، وأن تحافظ البلاد على نفسها من هجمات العدو في البحر اذ أنه أمكن عن طريقها نقل الأخبار بحيث اذا ظهر العدو في البحر أو حدث هجوم ما ، نور كل حصن للذى يليه عن طريق اشعال النار فوق قممها لكي يأخذ الناس حذرهم من العدو ، وعن طريقها امكن نقل الاخبار من الاسكندرية الى طرابلس في ثلاث ساعات والى مدينة سبته في ليله واحده . (١)

---

(١) محمد عبد الهادى شعيره : الرباطات الساحلية الليبيه الاسلامية ، المؤتمر التاريخى ١٦ - ٢٣ مارس ١٩١٨م (ليبيا في التاريخ) ص ٢٤٧ .

٤ - القواعد البحريه والمراسي :-

كانت توجد بافريقيه قواعد بحريه ومراسى زادت من أهمية الاسطول الاغلبى في مياه الحوض الاوسط للبحر الابيض المتوسط . وسبب وجود هذه المراسي والقواعد هو طول الشريط الساحلي الافريقي (المغرب الأدنى) التابع لامراء الأغالبه والذى يتصل بسواحل طرابلس(١) شرقا ويشمل افريقيه التى تتكون من البلاد التى تقابل بلاد تونس الحالية تقريبا ثم اقليم الزاب وتصل الى نهر شلف غربا اى الى حدود المغرب الاوسط. (٢)

وبالاضافه لهذا السبب كثرة خلجانها وجزرها البحريه الحاميه لسواحلها . وكذلك المواقع المركزية في حوض البحر المتوسط الغربي الذى كانت تتمتع به والذى رسم لها دورا معينا لابد لها من القيام به لتقرير مصيرها البحرى في ثقه تامة . (٣)

وقد بين لنا ابن خلدون أهمية امتداد الساحل البحرى لافريقيه وتأثيره الكبير في مهارة سكان هذه المنطقة - سواء كانوا روما أو فرنجة او قوطا أو من ورثهم من المسلمين - في حوض البحر الابيض المتوسط وفي قدرتهم على ركوب مياهه ، فقال " والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يعانون من احواله مالا تعانيه أمة من أمم البحار فقد كانت الروم والأفرنجه والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومى وكانت اكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه ، والحرب في أساطيله . . . فكانت هذه عادة لأهل البحر الساكنين حفافية (يقصد على حافته اى ساحله) ، معروفة في القديم والحديث ". (٤)

---

(١) حسين مؤنس: المرجع السابق ،ص٥٢ (يذكران حدود اقليم طرابلس تبدأ عند قريه صغيره الى الغرب من صرت تسمى تاروغا وتنتهى عند قابس)
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٥٢ - ٥٣ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ،٤٨ .
(٤) ابن خلدون : المقدمة ،ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

وقد ادرك الغينقيون هذه الخصائص والمزايا التى تتمتع بها البلاد التونسيه لانهم كانوا شعبا من الملاحين والتجار بطبيعتهم ، كذلك اهتم الوندال اهتماماخاصا بسيادتهم البحريه على هذه المنطقه ، فأنشأوا اسطولا بحريا قويا ، يصدون به خصومهم في البحرالابيض المتوسط . (١)

والمهم أنه عند ما استقر المسلمون في هذه المنطقه انتقل اليهم بطبيعة الحال الاحساس بأهميتها وأهمية البحر والبحرية لحماتهم من جهه ، وللتجارة فيه من جهه أخرى .

القواعد البحريه والمراسي في افريقيه :-

بالاضافه لمرسى رادس بتونس، ومرسى سوسه وكذلك مرسى طرابلس السابق الذكر في دور الصناعه (٢) نجد مرسى سفاقس(صفاقس) ،ويذكر البكرى والحميرى عنها قولهما : " وهى محط السفن فإذا حزر الماء بقيت السفن فى الحمأه واذا مد رجعت السفن ، يقصدها التجار من الآفاق بالأموال الجزيلة لابتياع المتاع والزيت " (٣).

ويتابع البكرى قوله " ... ويقابل سفاقس في البحرجزيرة تسمى قرقنة وهذه الجزيرة في وسط القصير بينها وبين مدينة سفاقس في ذلك البحر الميت القصير القعر نحو عشرة اميال وليس للبحر هناك حركة في وقت وبحذاء هذا الموضع في البحر على اسس القصير بيت مشرفمبنى بينه وبين البر الكبير نحو اربعين ميلا فاذا رأى قلب البيت (يقصد وسطه) اصحاب السفن الواردة من الاسكندرية والشام وبرقه أداروها الى مواضع معلومة . (٤)

---

(١) السيد عبد العزيزسالم واحمد مختارالعبادى : المرجع السابق ص ٤٨

(٢) انظر قبل ،الفصل الثاني ،الفقرة الثانية ، ص ٧٢ .

(٣) البكرى : المصدرالسابق ،ص ٢٠ - الحميرى : المصدرالسابق ،ص ٣٦٦ ، وانظر قبل ، الفصل الثاني ، الفقرة الثالثه ،ص ٩٢ من سور سفاقس .

(٤) البكرى : المصدر السابق ، ص ٢٠ .

وعن مرسى قابس يقول البكري ما نصه : " وقابس مدينه جليله مسورة بالصخر الجليل من بنيان الأول ذات حصن حصين ... وساحل مدينة قابس مرفأ للسفن من كل مكان .. .وبقابس منار منيف " . (١)

ويقول عنه أبو الفداء " بينها وبين البحر ثلثة اميال والمراكب المتوسطه تدخل في نهرها . (٢)

أما مدينة بونه فيقول عنها ياقوت " وهى مدينه حصينه ... وهى على البحر. " (٣) ويذكر البكري عنها " مرسى بونه مرسى مأمون " (٤) . فقد كان مرسى بونه مرسى جيدا كانت تخرج منه الشواني غازيه الى بلاد الروم وسردانيه وقرشقه وما والاها . (٥)

ويقول الحميرى ما نصه " ومرسى بونه من المراسي المشهوره ، وبونه في جون من البحر يسمى جون الازقاق وهو صغير ربما عطبت فيه المراكب . (٦)

أما جيجل فلها مرسيان أولهما في جنوبها وهو مرسى صعب والثاني في الشمال ومياهه ساكنة الحركه حسنة الارساء ، ويسمى مرسى الشعراء. وعلى مقربة من جيجل يقع مرسى القل . (٧)

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٧ .
(٢) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .
(٣) ياقوت : المصدر السابق ، م ١ ،ص ٥١٢ .
(٤) البكري : المصدر السابق ،ص ٨٢ .
(٥) نفس المصدر السابق ،ص ٨٣ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ،ص ٥٢ .
(٦) الحميرى : المصدر السابق ،ص ١١٥ .
(٧) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

ويذكر ابن جوقل في معرض كلامه عن مدينة بونة قوله " وبينها وبين جزائر بني مزغناى مراسي فمنها جيجل مرسى ... (١)

القواعد البحرية والمراسي في صقلية :

مدينة بلرم ، ويصفها الحميرى بقوله " وهى دار الملك بصقليه في مدة الاسلام ومدة الروم ، ومنها كانت تخرج الاساطيل للغزو وهي على ساحل البحر والجبال محدقه بها ولها ساحل حسن " . (٢)

أما المقدسى فيقول عنها " هى قصبة صقليه على البحر في الجزيرة ". (٣)

أما مدينة أطرانبش فقد وصفها المقدسى بقوله " بحريه غربيه مسورة " (٤) أما ياقوت فيقول عنها " ومنها يُقلع الى افريقيه " (٥) والحميرى يذكر في وصفها ما نصه " والسفن منها واليها لا تتعطل شتاءً ولا صيفاً . والبحر يحدق بها من جميع الجهات ، وانما يسلك اليها على قنطرة ومرساها في الجانب الجنوبى منها وهو مرسى ساكن غير متحرك تشتى فيه اكثر السفن آمنة من جميع الانواء ، موجه هادى ممتد هيجان الرياح " . (٦)

وأما مدينة مسينا فقد سبق الحديث عنها في الفقرة الثانية من هذا الفصل عن تعدد دور الصناعة في دولة الأغالبة. (٧) أما بالنسبه لمرساها فيذكر ذلك الحميرى في قوله " وبها حط واقلاع ، وبها ارساء من جميع بلاد الروم الساحلية ، وبها تجتمع السفن الكبار والمسافرون والتجار من بلاد الروم

---

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٧٧ .
(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٠١ .
(٣) المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٣١ .
(٤) المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .
(٥) ياقوت : المصدر السابق ، م ١ ، ص ٢١٨ .
(٦) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٩٠ .
(٧) انظر قبل : الفصل الثاني ، الفقرة الثانية ، ص ٧٨

والاسلام ." [1]

ويصف مرساها ابن جبير فيقول : " ومقصد جوارى البحر من جميع الاقطار . . . والبحر يعترض أمامها في الجهة الجنوبيه منها ، ومرساها اعجب مراسى البلاد البحريه ، لأن المراكب الكبار تدنو فيه من البر حتى تكاد تمسه وتنصب منها الى البر خشبة يتصرف عليها ، فالحمال يصعد بحمله اليها ولا يحتاج لزوارق في وسقها ولا في تفريغها الا ما كان مرسياً على البعد منها يسيراً ، فتراها مصطفه مع البر كاصطفاف الجياد في مرابطها واصطبلاتها، وذلك لافراط عمق البحر فيها" [2]

أما طبرمين فيصفها المقدسى بقوله " بحريه شرقيه ،تطل على بلد الروم شرقيه لها قلعه من حجارة ، فرضة من البحر" . [3]

ويذكر ياقوت عنها ما نصه" قلعه بصقلية حصينه ". [4] أما الحميرى فيقول عنها" وهى على جبل مطل على البحر ،وبه مرسى حسن ، والسفر اليه من كل الجهات" . [5]

ومرسى مدينة قطانية التى يصفها المقدسى بقوله " بحريه قبليه مسورة" [6] أما ياقوت فيذكر اسمها قطاليه ويقول عنها : " مدينه على سواحل جزيرة صقليه ، ويقال قطانيه ، وهى مدينه كبيرة على البحر من سفح جبل النار. " [7] .

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٥٩
(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٢٩٦
(٣) المقدسى : المصدر السابق ،ص ٢٣٢
(٤) ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ،ص ١٧ .
(٥) الحميرى : المصدر السابق ،ص ٣٨٥
(٦) المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٣٢
(٧) ياقوت : المصدر السابق ،م ٤ ، ٣٧٠

ومرسى سرقوسه يصفه الحميرى بقوله" هى مدينه بينها وبين جزيرة صقليه مجاز لطيف وهي كبيرة عليها ثلاثة أسوار . . . والبحرمحدق بها من جميع جهاتها ، والدخول اليها والخروج منها على باب واحد شمالها ولها مرسيان وليس مثلهما في جميع البلدان ، احدهما اكبر من الآخر" .
ويذكر في موضع آخر من وصفه لسرقوسه" لها مرسى يعرف بالمينا الصغيرة وبينه وبين مرسى المينا الكبيرة حفير ، وعلى الحفير قنطرة الى المدينة ، والمينا الكبيرة مرسى مشتى للسفن" . (١) أما المقدسي فيصفها بقوله " وسرقوسه مدينتان ملتزمتان لها مينا عجيب ولها خندق يدور فيه ماء البحر" .(٢)

أما مدينة جرجنت فيصفها المقدسي بقوله" بحريه مسورة " (٣) ومدينه إلياج (لياج) يصفها الحميرى بقوله " بلدة في جزيرة صقليه على البحر يحمل منها الزفت والقطران والخشب" . (٤)

أما المقدسي فيقول عنها" مسورة بحرية قبليه شربهم من ماء جار" . (٥)
ومدينة طارنت التى يصفها الحميرى بقوله" توسق منها السفن وتقصدها .... وبها مرسى فيه بحر حى". (٦)

ويوجد مراسى أخرى في صقليه مثل مرسى البوالص ونوطس ورغوص ولنبيادة والساقه والحمه وبرطنيق . (٧)

وهكذا نرى أن جزيرة صقليه تحتوى على الكثير من القواعد البحرية والمراسي . والى جانب هذه الميزة يوجد الموقع الممتاز الذى كانت تتمتع به

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣١٧ - ٣١٨
(٢) المقدسى : المصدر السابق ،ص ٢٣٢ .
(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحه .
(٤) الحميرى : المصدر السابق ،ص ٥١٤ .
(٥) المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .
(٦) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٨٢ .
(٧) السيد عبد العزيز سالم : البحرية المصرية في العصر الفاطمي ، ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، لنخبه من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية ، ص ٤٦٧ .

صقليه بين الساحلين التونسى والايطالي ، فهذا أعطاها اهمية عُظمى فى الصراع البحرى بين القوى البحرية في حوض البحر المتوسط الغربي وذلك لأنها تعتبر مفتاح البحر المتوسط الأوسط والغربي وقد كان فتح الأغالبة لها فى عام (٢١٢ هـ/٨٢٧ م) أى في بداية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى حدثا بارزا في تاريخ البحرية الإسلامية أدى الى انتقال السيادة على هذا القسم من يد البيزنطين الى يد المسلمين. كما تمكن الأغالبة بواسطتها من تهديد الامارات الايطالية كامارة قلوريه وابوليا وامالفى ونابلى وجنوه وبيشه مما أدى الى سيطرتهم على البحرين التيرانى والادرياتى[1].

القواعد البحرية والمراسى في مالطه وفى قوصره :-

بجانب هذه المراسى العديده فى صقليه كانت توجد مراسى في جزيرة مالطه من اشهرها مرساها الذى وصفه لنا الحميرى .[2]

ثم جزيرة قوصرة[3] وهى جزيرة في بحر الروم بين المهديه وجزيرة صقلية، وتقع الى الشرق من جزيرة مليطه[4] لها من جهة الجنوب مرسى مأمون يكن من رياح كثيره .[5]

هذا الى جانب بعض الجزر الصغيره الاخرى المنتشرة في مياه البحر الابيض المتوسط بالقرب من الساحل التونسي .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ،ص ٥٥
(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٢٠ .
(٣) ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ،ص ٤١٣ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٥ .
(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٨٦ .

٥ - البحرية الأغلبية :-

أما من حيث حجم وقوة البحرية الأغلبية ، فكلما سبق أن قلت في مقدمة هذا الفصل فإن المعلومات التى تمدنا بها المصادر عن ذلك شحيحة ، وهى تتركز فيما نستطيع أن نستخلصه مما ترويه لنا المصادر عن عدد ونوع السفن التى اشتركت في بعض الغزوات البحرية-وهي قليلة - التى قام بها الاغالبة لفتح صقلية وما جاورها من جزر الحوض الأوسط والغربي للبحر الأبيض المتوسط وجنوب ايطاليا .

بالنسبه لعدد السفن فالحملة الأولى لفتح صقليه التى قادها أسد بن الفرات سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧ م كان قوامها ٧٠٠ (سبعمائه) فارس بخيلهم، و ١٠ (عشرة) آلاف راجل وحين انتظموا في مراكبهم، كان عدد المراكب حوالى ١٠٠ (مائه) مركب، غير مراكب فيمى ، وقيل سبعين سفينه فقط(١) . أى ان حمولة المركب الواحد كانت أكثر من ١٠٠ (مائه) رجل غير النواتيه (البحاره)الذين يعملون على ظهر السفينه .(٢)

ثم بعث أسد بن الفرات يطلب امدادات اخرى ، فبعث له الامير الأغلبى زيادة الله الأول (٢٠١-٢٢٣هـ/ ٨١٦-٨٣٧م) عشرين الف مقاتل وثلثمائه سفينة . (٣)

ويذكر لنا حسن حسنى عبد الوهاب عند كلامه عن الحملة الثاريه التى جهزها الامير ابو العباس محمد بن الأغلب ردا على الغارة التى قام بها سكان أواسط البلاد الايطالية ضد الساحل التونسي أنها كانت تشمل ٧٣ سفينه وقد كان خروجها من مرسى سوسه الحربي سنة (٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) . (٤)

---

(١) الحميرى : المصدرالسابق ،ص ٣٦٦

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ،م ١ ، ص١٠٢ - ابن الخطيب: المصدر السابق ،جـ ٣ ، هامش ١١٢ - الدباغ : المصدرالسابق ،جـ٢ ص ٢٣ محمدكرد علي : المرجع السابق ،جـ١ ،ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٣) على حسنى الخربوطلى : الاسلام في حوض البحر المتوسط ، ص ٨٥ .

(٤) حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٢ .

ويذكر لنا ابن الاثيرأن والى صقليه أبا العباس بن إبراهيم بن أحمد الذى ولاه ابوه ولاية صقليه ، وصل اليها في غرة شعبان سنة ٢٨٧هـ/أغسطس ٩٠٠ م في مائة وعشرين مركباً وأربعين حربية (أى سفينه حربيه) . (١)

ويذكر لنا ابن الاثير ايضـا تكملة للنص السابق فيقول بأن الأمير ابراهيم بن احمد أرسل ولده أبا العباس والياً على صقليه ليقضي على الفتنه التى قامت بين العرب والبربر بها ، فما كان من أهل بلرم إلا أن تجهـزوا لقتال أبى العباس، فإلى جانب جيشهم البرى ، سيّروا لقتاله اسطولاً فـى البحر مكونا من نحو ثلاثين قطعه . (٢)

وكما استطعنا ان نستخلص ـ على هذا النحو السابق ـ صوره تقريبيـه عن حجم وقوة البحرية الأغلبية ، فاننا نستطيع كذلك ومن خلال روايات المصادر التاريخيه عن أحداث الغزو ان نتعرف على أنواع السفن التى يتكون منهـا الاسطول الأغلبى . فمن خلال هذه الروايات التاريخيه عن احداث الغـزو يمكن القول أن الوحدات التى كان يتكون منها الاسطول الأغلبى هى الشوانى ، الحراقات ، والشلنديات ، والسفن الحربية ، والنواشى ، والفتاشى .

وفيما يلى عرض للنصوص التى استطعت استخراجها من المصادر عـن كل نوع من هذه السفن والتى تدل على وجودها ضمن الاسطول الأغلبـى ثم بعد ذلك وصف لكل نوع من السفن والمهام القتاليه التى كانت تقوم بهـا لكى تتضح لنا الصورة عن البحرية الأغلبية :-

الشوانى :-

يذكر ابن الاثير رواية تثبت وجود الشوانى ضمن الاسطول الأغلبـى فيقول " فاتاه (يقصد به ابوالعباس بن ابراهيم) كتاب أبيه ابراهيم (أى ابراهيم

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٦ ، ص٩٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٢٠٣ (يذكر وصوله في ١٦٠ مركبا) .
(٢) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٩٧ .

بن أحمد بن الأغلب) يأمره بالعود إلى افريقيه فرجع إليها جريدة في خمس قطع شوانى وترك العسكر مع ولديه ابى مضر. وأبى معد " (١)

والشوانى / هى جمع شينى أو شينيه أو شونه . وهي السفينه الحربيه الكبيرة ،وتعتبر من أهم القطع الكبيرة التى يتكون منها الاسطول في الدول الإسلامية. (٢) ويستدل من النصوص التاريخيه العديدة أن الشينى هو الاصل الذى يتفرع منه اسماء السفن الحربية الاخرى ولواحقها ، فكل سفينه حربية شينى تحمل اسما معينا يدل على وظيفتها ،فمنها : الغراب والطريدة والجفنه والحراقه ... الخ . (٣)

والشينى مركب طويل وكبير ، يمتاز بأنه يجدف له بمائه وأربعين مجدافا ، ويوجد به المقاتلة والجدافون ، اما عدد المقاتله به فيبلغ ١٥٠ رجلا . وكانت الشينى مزودة بقلاع وأبراج للدفاع والهجوم. (٤) ولضخامة هذه الشوانى وعظمتها كانت تحتوى على اهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء الحلو. وكان يستفاد ايضاً من هذه القلاع والابراج لرمى النار والنفط منها على العدو. أما التجهيزات الاخرى التى كانت تحتوى عليها الشوانى فهى الفأس الذى يقال له اللجام ، وهو حديدة طويله محددة الرأس جداً وأسفلها مجوف كسنان رمح ، يدخل عند الحرب على اسطام المركب - وهو الخشب الذى في مقدمة الشينى واذا أمكنتهم الفرصة تأخروا به قليلا ، ثم قذفوا قذفه واحده قوية ، فينطح المركب فيخرقه ويدخل الماء فيه فيطلبون الامان . وإذا تقرب الشينى من الشينى طرحت فيه كلاليب كبار من الحديد ، فيها سلاسل معقوده الى المركب ، فتوقفه ،

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج٦ ،ص ٩٨
(٢) درويش النخيلى : السفن الاسلامية على حروف المعجم ،ص ٨٣ - سعاد ماهر: البحرية في مصر الاسلامية ،ص ٣٥٢ .
(٣) درويش النخيلى : المرجع السابق ، ص ٨٣ .
(٤) نفس المرجع السابق ،ص٨٤ - سعاد ماهر: المرجع السابق ،ص٣٥٢ - السيد عبد العزيز سالم: البحريه المصريةفي العصر الفاطمي مقاله ضمن كتاب (تاريخ البحرية المصرية) لنخبه من الاساتذه المتخصصين بجامعةالاسكندرية ص ٤٩٨ .

ثم يطرح الالواح بينهما كالجسر، ويدخلون اليه ويقاتلون . (١)

الحراريق أو الحراقات :

ذكرت لنا المصادر بعض النصوص التي تدل على وجود هذا النوع من السفن في الاسطول الأغلبي وهذه النصوص هي :

يذكر ابن عذارى أنه في اثناء عودة محمد بن عبد الله التميمي الى ولايته في صقليه في رمضان من سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥ م اعترضه الروم في البحر وأصابوا له حراقه من مراكبه رغم بلاء قائد الاسطول محمد بن السندسي الذي خرج في عدد من الحراقات، وأخذ يطاردهم حتى حال الليل بين الفريقين (٢).

ويذكر ابن الاثير رواية اخرى فيقول " وفي سنة أربع وخمسين ومائتين سار خفاجه (خفاجة بن سفيان والي صقليه) في العشرين من ربيع الأول وسير ابنه محمدا على الحراقات وسير سريه الى سرقوسه فغنموا ... الخ " . (٣)

والحراقات جمع حراقه ، وقد يقال حراق والجمع حرارق ، وهي مراكب حربيه يعبر اسمها عن وظيفتها في احراق سفن العدو بالنفط، وتلي الشواني في الاهمية فقد كانت نوعا من السفن الحربية التي تستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الاغريقيه ، وبها مرام تلقى منها النيران على العدو. استعملها المسلمون في العصور الوسطى وكان يجدف فيها بما يقرب من مائة مجداف (٤).

---

(١) درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص ٨٤ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ،جـ١ ، ص ١٠٥ - ١٠٦
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ،جـ ٥ ، ص ٣٠٦ .
(٤) درويش النخيلي : المرجع السابق ،ص٣٢ - السيد عبد العزيز سالم : البحرية المصرية في العصر الفاطمي ، ضمن كتاب (تاريخ البحرية المصرية) لنخبة من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية ، ص ٤٩٨ . سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

وقد استخدمها الأغالبه في حروبهم لغزو قلوريه وفي حروبهم البحرية ضد البزنطيين ، وورثها عنهم الفاطميون . (١)

الشلندى :-

يذكر ابن الاثير عدداً من غزوات الاغالبة التى تكللت بالنصر وغنم منها المسلمون عدداً من الشلنديات من الروم ، فيقول" ثم كانت وقعة أخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعه مراكب كبار برجالها وشلندى " (٢)

وكانت هذه الوقعه السابقة الذكر في سنة ٢٢٢ هـ/٨٣٧ م . ويذكر ابن الاثير روايه أخرى ،فيقول" وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشر شلنديات من الروم فارسوا بمرسى الطين وخرجوا ليغيروا فضلوا الطريق فرجعوا خائبين وركبوا البحر راجعين فغرق منها سبع قطع" . (٣)

وذكر ايضا ابن الاثير عند فتح قصريانه بصقليه قوله " في سنة أربع واربعين ومائتين فتح المسلمون مدينه قصريانة . . . وسير (يقصد العباس بن الفضل) جيشا في البحر (بقيادة أخيه على بن الفضل) فلقيهم أربعون شلندى للروم فاقتتلوا أشد قتال فانهزم الروم وأخذ منهم المسلمون عشر شلنديات برجالها" . (٤)

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: نفس المقال السابق ونفس الصفحه .

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص١٨٨ - وقد ذكر نفس الغزوة ابن خلدون : المصدر السابق ،جـ ٤ ،ص ٢٠٠ .

(٣) ابن الاثير: المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٤) نفس المصدر السابق ،جـ ٥ ،ص ٢٩٠ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٢ (يذكر ايضا رواية ابن الاثير) .

وعاد العباس بن الفضل قائد الاسطول البرى وأخوه على بن الفضل قائد الاسطول الى بلرم محملين بما غنموه من مغانم وسبى .

ويذكر ابن الاثير فى موضع آخر في احداث السنة التالية سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩ م ما نصه " ولما سمع الروم بذلك أرسل ملكهم بطريقاً من القسطنطينيه في ثلثمائه شلندى وعسكر كثير فوصلوا الى سرقوسه فخرج اليهم العباس (العباس بن الفضل) من المدينه ولقي الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا في مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منهم مائة شلندى ... " (١)

وفي رواية اخرى لابن الاثير من حوادث سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م يقول : " وعزل الحسن بن العباس عن صقلية ووليها محمد بن الفضل ... ثم رحل الى اصحاب الشلنديه فقاتلهم فأصاب فيهم " (٢)

والشلنديات جمع شلندية وهى نوع من السفن كبيرة الحجم ، عظيمة الجرم ، شديدة الاتساع ، وتعادل في اهميتها الشوانى والحراقة (٣) ، وأصلها في اللغه اللاتينيه Chelamdium (٤) وهى من المراكب التى استخدمت في البحر الابيض المتوسط ، وكانت معروفة عند البيزنطيين لأنهم أول من استخدموها . (٥)

ثم أخذها عنهم المسلمون بعد الانتصارات الكثيرة التى حققوها ضدهم وكان البيزنطيون يستخدمونها كسفن لنقل البضائع من مؤن وسلع. (٦) وحينما

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٩٠

(٢) نفس المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٣٩ .

(٣) درويش النخيلى : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٤) نفس المرجع السابق ونفس الصفحه ـ سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٣٥٢

(٥) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

(٦) درويش النخيلى : نفس المرجع السابق ونفس الصفحه .

استعملها المسلمون أطلقوا عليها اسم صندل ، واستخدموه كنوع من المراكب الحربية ، وكان مخصصاً لنقل الاسلحة والمقاتله ، ويتميز هذا النوع من السفن بأنه مسقف تقاتل الغزاة على ظهره (١) ، ويجدف الجدافون تحتهم . (٢)

والشلنديات بهذا السقف (السطح) تشبه المسطحات وكانت تسمى في الاندلس بالاجفان الغزوية أو الغزوانية . (٣)

السفن الحربيـــة :

يذكر لنا ابن الاثير رواية يبين فيها ان أبا العباس بن إبراهيم بن أحمد بعد تولية أمور صقلية من قبل أبيه وصل الى صقلية ومعه بعض السفن الحربية ، فيقول " كان إبراهيم بن الأمير أحمد أمير إفريقية قد استعمل على صقلية أبا مالك أحمد بن عمر بن عبد الله فاستضعفه فولى بعده أبنه أبا العباس ابن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، فوصل اليها غرة شعبان من هذه السنة (يقصد سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠ م) فى مائة وعشرين مركباً وأربعين حربية . (٤)

وفي رواية أخرى عن غزو مدينة ريو بجنوب ايطاليا في سنة ٢٨٨هـ/٩٠١م يذكر أن أبا العباس بن إبراهيم بن أحمد تجهز للغزو فتوجه الى مدينة

---

(١) سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ - درويش النخيلى : نفس المرجع السابق ونفس الصفحه - ابراهيم العدوى : الاساطيل العربية ، ص ٤٥ .

(٢) درويش النخيلى : المرجع السابق ، ص ٨١ - سعاد ماهر : نفس المرجع السابق ونفس الصفحه .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : البحرية المصرية في العصر الفاطمى : مقالة ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية لنخبة من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية ، ص ٤٩٩ .

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٧ .

د منش فحاصرها وضربها بالمجانيق ولم يفتحها ثم انصرف منها الى مسينـــا ، حيث عبر المجاز في الحربيـة (ويقصد بها المراكب الحربية أو الحرابـــى) الي مدينة ريو . (١)

وبالنسبه لاهتمام المغاربه بالمراكب الحربية يذكر لنا البكرى وهو يتحدث عن الطريق المؤدى من القيروان الى مدينة بونه " ... وبشرقي مدينـــة بونه مدينة مرسى الخرز ... وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية التى تغزى بها الى بلاد الروم ... " (٢)

ويذكر درويش النخيلي عن الشريف الادريسى وهو يتكلم عن مرسى تونس أنه اليه تصل المراكب الحمالة والنواشي والحرابى وترسو هناك ... (٣)

والحربيات أو الحرابي ، هى نوع من الشواني ولكنها أصغر منها حجماً وتمتاز هذه المراكب عن الشواني بسرعتها وخفة حركتها . (٤)

والحربية هى التى تنشأ لغزو العدو، وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتله . وكانت هذه المراكب يقال لها الاسطول وهو لفظ رومى يطلـــق على المراكب الحربية المجتمعه . (٥)

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٧ - ٩٨ - ابن عـــذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣١ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ .

(٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ٥٥

(٣) درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص ٣٩ (نقلا عن الادريسى) .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : نفس المقال السابق ونفس الصفحه .

(٥) درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص ٢ ، ٣٧ .

ووجدت سفن اخرى ضمن اسطول الاغالبة ، فقد ذكر الادريسى فـــي كتابه نزهة المشتاق المراكب المسماة النواشي ضمن مراكب الأسطلول الأغلبى . وذكر لنا العذرى المراكب الفتاشي ضمن الأسطول الاغلبى ايضا . (١)

النواشـــي :

هذا ولا يوجد لدينا نص يدل على وجود هذا النوع من السفن فـــي الأسطول الأغلبى الا ماذكره الادريسى .

أما بالنسبة لوصفها فمفردها نيش . وهى من السفن الحربيـــــة الصغيرة . وقد ذكر الادريسى هذا النوع من المراكب وهو يتكلم عن مرســى تونس كماسبق القول .

الفتاشـــى :

أما الفتاشى فإنى لم أجد نصا آخر غير ماذكره العذرى يشير إلـــى وجودها في الأسطول الأغلبى ،كما لم أجد تعريفاً لهذا النوع من السفن .

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : البحرية المصرية فى العصر الفاطمى ، مقـال ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، لنخبة من الاساتذة المتخصصيـن بجامعة الاسكندرية ،ص ٥٠٠

الفصل الثالث

دور البحرية الإسلامية في عهد الأغالبة

١- فتح جزيرة قوصرة .
٢- فتح جزيرة صقلية .
٣- فتوح الأغالبة بجنوب إيطاليا.
٤- فتح جزيرة مالطة ، وجزيرة لبندوشة وشموشة ومحاولات فتح جزيرة سردانية.

توجد في الجهه الغربيه من البحر الابيض المتوسط مجموعة من الجزائر المتعددة الاحجام، فمنها الكبيرة التى تزيد مساحتها عن البلاد الافريقيه (التونسيه) . ومنها الصغيرة التى لاتبلغ مساحتها إحدى المدن التونسية. والجدير بالذكر أن ما من هذه الجزائر الصغيرة أو الكبيرة إلا وعرفها العرب وقاموا بفتحها بأساطيلهم طوال مدة انتشار سلطانهم، وامتلكوها وفرضوا سيادتهم على أرضها ، ونقلوا إليها وسائل حضارتهم وأسباب تمدنهم ودينهم الإسلامي الحنيف، فكان انصهار ومصاهرة بينهم وبين أهالى البلاد الأصليين ومن هذه الجزائر سردانيه وكورسيكا (قورسقة)(١) والجزائر الشرقية للأندلس(ميورقة(٢) ومنورقة(٣) ويابسة(٤)) التى وقع فتحها كلها على يد مسلمى المغرب والاندلس.

---

(١) كورسيكا (قورسقه) : هي قبالة جنوه وامتدادها من الشمال الى الجنوب مجرى ونصف ووسطها متسع ورأسها من جهة جنوه ضيق بينها وبين جزيرة سردانيه مجاز نحو عشرة اميال (ابو الفداء : تقويم ابلدان ، ص ١٨٩ - فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ، جـ١ ، ص٢١٢

(٢) ميورقة : آخر جزيرة ثبتت في يد الاسلام، مسافتها من الشمال الى الجنوب أربعون ميلا . وهى في الغرب عن منورقه . (أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٩١) .

(٣) منورقة : وتسمى منرقه أو مانورقه وهى جزيرة في بحر الزقاق وهى خصبه وبها مدينه طولها وعرضها . وطول مسافتها من الشمال الى الجنوب بانحراف خمسون ميلا وقيل سبعون ميلا وهي شرقي جزيرة ميورقه . وبينهما خمسون ميلا . وفي وسطها حصن (أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٩١) .

(٤) يابسه : جزيره تقع غربى ميورقه ومنورقه ، بينها وبين بلنسيه من الاندلس مجرى واحد ويذكر الادريس عنها ان من دانيه الى جزيرة يابسه تسعون ميلا شرقا ومن جزيرة يابسه الى جزيرة ميورقه المدينه ماية ميل شرقا (ابو الفداء : تقويم البلدان ، نفس الصفحه السابقه) ويذكر الدمشقى : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ١٤١ انها تقع حيال جزيرة الاندلس وطولها وعرضها يومان في يوم وبها مدينه صغيرة مسوره .

وكذلك جزيرة صقلية تلك الجزيرة الكبيرة العظيمة الإتساع اذ تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف البلاد الإفريقيه، وقد كان فتحها على يد أمرا ء الأغالبة فامتلكوها بعد جروب بينهم وبين البيزنطيين استمرت قرنا بأكمله، وهو القرن الثالث الهجرى وبعد فتحها دخلت في ملكهم المتسع. (١)

ولا ننسى كذلك جزيرة مالطة (٢) وتوابعها التى فتحها العرب المسلمون وترسخت قدمهم بها ونشرت حضارتهم وثقافتهم بأرضها و بين اهلها حتى تشربت الارض بالروح الشرقية، فلم تستطع تركها الى اليوم. (٣)

واخيرا نأتى الى جزيرة صغيرة تجاور البلاد التونسيه وتسامتها من الشمال الشرقي. وهى قريبه منها كثيراً حتى لكأنها تنظر اليها. وقد حافظت هذه الجزيرة على ما بها من آثار توارثها الاحفاد عن الأجداد. وتعنى بها هذه الجزيرة الصغيره المشهوره اليوم باسم بنطلاريه والتى كانت تعرف قديما باسم قوصره (Cassyra) (٤)

الفقرة الأولى : فتح جزيرة قوصرة :

وقوصرة هو الاسم اليونانى الذى عرفت به هذه الجزيرة قديماً ومعناه السله أو السفط أو الزنبيل، وكان هذا الاسم أطلق عليها للمشابهة الموجودة بين صورة الجزيرة وتلك الأداة. ومن غريب الإتفاق أن كلمة

---

(١) انظر فيما بعد، الفقرة الثانية من هذا الفصل (فتح جزيرة صقلية) ص ١٧٠
(٢) جزيرة مالطه : طولها سبعون ميلا وعرضها ثلاثون ميلا، وبها مدينه مسماة بأسمها (الدمشقي : المصدر السابق، ص ١٤١).
(٣) انظر فيما بعد، الفقرة الرابعة من هذا الفصل (فتح جزيرة مالطة - فتح جزيرة لنبدوشه وجزيرة نموشه، ومحاولات فتح جزيرة سردانية) ص ٢٠٨
(٤) حسن حسنى عبد الوهاب : قصة جزيرة قوصره العربيه، المجلة التاريخيه المصريه، المجلد الثاني، العدد الثاني، مايو ١٩٤٩ م، ص ٥٥.

قوصرة في اللغه العربيه لها هذا المعنى بعينه ، قال الليث : القوصره بالفتح ثم السكون والصاد المهلمه ـ وعاء التمر ، وهي القفه والزنبيل وما جاء على شكلها ، وأثبتها ابن القطاع الصقلى فقال بالألف قوصرا (١) .

وتقع هذه الجزيرة في منتصف الطريق بين صقلية وافريقية (تونس وتبلغ جملة مساحتها نحو خمسة وثمانين ميلاً مربعاً ، وعدد سكانها لا يتجاوز العشرة آلاف نسمه .(٢)

وقبل أن نتحدث عن فتح المسلمين لجزيرة قوصره يحسن بنا أن نشير الى ما عرفها به الجغرافيون العرب ، وما قال عنها أصحاب تقاويم البلدان .
فقد كتب الادريسى ـ صاحب كتاب نزهة المشتاق في القرن السادس للهجره ـ يقول عنها . " انها جزيرة قوصره توازى حصن اقليبيه من أرض أفريقيه ، وتوازى بين مدينة الشاقه (Sciacca) ومازره (Mazzara) من صقلية ، وبينها مجرى ، وهى جزيرة خصيبة فيها أبار وسواحل وأشجار زيتون ، وفيها ماعزكثير بريه متوحشه ، ولها من جهة الجنوب مرسى مأمون من الرياح (٣)

أما ياقوت الحموى فيقول : " هى جزيرة في بحر الروم بين المهدية وصقلية فتحها المسلمون في ايام معاويه ، وبقيت بأيديهم ثم خرجت (٤) وأورد ذكرها ابو الفداء ـ صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م فقال :
" وجزيرة قوصره قبالة افريقية بالقرب من تونس وبينها وبين صقلية مجرى وهى في أواخر الأقليم الرابع ويوجد بها شجر المصطكى ويجلب منها (إلى افريقيه التونسية) التين والقطن الكثير " . (٥)

---

(١) ياقوت : المصدر السابق ، م ٧ ص ١٨٣ .
(٢) حسن حسنى عبد الوهاب : المقاله السابقة ص ٥٦ (جزيرة قوصره فى الوقت الحاضر من الممتلكات الإيطالية) .
(٣) حسن حسنى عبد الوهاب : المقالة السابقة ، ص ٥٦
(٤) ياقوت : المصدر السابق م ٧ ، ص ١٨٣ .
(٥) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٨٨ .

ويصفها ابن سعيد الغرناطي - المتوفى بتونس سنة ٦٨٦ هـ/١٢٨٧ م بقوله : " جزيرة قوصره التي يجلب منها شريحة التين والقطران ، وهو يلتقط من شجر الصرو . وبها المصطكى وهي للمسلمين تحت عهد فرنج صقلية ، وهي شرقي (الحمامات) على ساحل مدينة سوسة ، ومنها فتح المسلمون جزيرة صقلية ."(١)

وبعد فتح المسلمين إفريقيه وامتلاكهم قرطاجنه وهي تعتبر أم البلاد الإفريقية وعاصمتها الكبرى . خرجت هذه البلاد من البيزنطيين في الربع الأخير من القرن الأول الهجري/الآخر السابع الميلادى . هذا الأمر دعى بحكم الضرورة المسلمين إلى غزو الجزائر المتوسطة في البحر بين العدوتين الإفريقية والأوربية. وقد دفعهم لهذا الفتح أمران الأول أن يحموا أنفسهم من هجمات الروم ، وأن يردوا غائلتهم عن الارض التي ينتلكها المسلمون. ثم بعد ذلك يتخذون الوسائل التي تساعدهم على بسط نفوذهم على ما وراء البحر المتوسط من البلاد .

أما الأمر الثاني فهو التفكير في مد سلطانهم على المراكز الحائلة بين سلطنتهم والبر الكبير (إيطاليا) . وبطبيعة الحال كانت هناك نقاط مقاومة لعدوهم . من أجل ذلك كان أول ما فكر فيه الولاة الأمويون لتنفيذ فتوحاتهم هو إنشاء دار الصناعة البحرية التي كانت الأولى من نوعها في إفريقية . (٢)

ثم كان بناء هذه الدار كما ذكرنا سابقاً في الفصل الأول ، ومن ذلك الوقت شرعت الأساطيل الأفريقية في خوض عباب البحر الأبيض المتوسط ، والتصرف بساحاته والاحتكاك بساكني سواحله من الإفرنج ، بغزوات متوالية

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب: المقالة السابقة ، ص٥٧ .
(٢) حسن حسني عبد الوهاب : المقالة السابقة ، ص٥٧ - ٥٨ .

وغارات متتابعة أدت إلى امتداد سلطان الإسلام على كثير من المراكـز .[١]

فكانت أولى غزوات المسلمين بقوصره على يد القائد المسلم عبد الملك بن قطن الفهرى في ولاية موسى بن نصير الافريقية سنة ٨٨هـ/٧٠٧ م.[٢] ثم كان غزوٌ آخر لها لحبيب بن ابى عبيده الفهرى ، في ولاية ابن الحبحاب في سنة ١١٨هـ/٧٣٦ م.[٣] وقد كان غرضهم من ضمهاالسلطان المسلمين أن تكون قاعدة بحرية لهم وكذلك خوفاً من القوات الروميه التى بهاأن تهاجم المسلمين في تونس لقربها من الشواطىء الإفريقية. ورغم هذا لم تستطع القوة الإسلامية الإستيلاء عليها نهائياً إلا في سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م[٤] ، وكان ذلك على يد الامير عبد الرحمن بن حبيب الفهرى - والى إفريقية في أواخر عهد الدولة الأموية - فكان له فتح قوصره قبل فتح الاغالبة صقلية بحوالى ثلاثة أرباع القرن .

والى هنا ولم يأت ذكر لفتوحات أخرى لجزيرة قوصرة في معظم المصادر التاريخيه اللهم إلا ابن خلدون الذى يذكر فتحاً آخر للجزيرة في عهد الأغالبة فيقول" ومنها(اى من دار صناعة تونس) كان فتح صقلية أيام زيادة اللّه الأول ابن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا ، وفتح قوصره ايضاً في أيامه ..."[٥] وقد أيده في ذلك أرشيبالد لويس الذى يقول إن قوة القاعدة البحرية التونسيةقد اشتدت وأصبحت أقوى من ذى قبل بفضل ضم جزيرة قوصره عام ٢٢١هـ/٨٣٥ م .[٦]

---

(١) نفس المقاله السابقه ، ص ٥٨ .
(٢) انظر قبل ، الفصل الاول ، ص ٤٠
(٣) انظر قبل ، الفصل الاول ، ص ٥٥
(٤) انظر قبل ، الفصل الاول ، ص ٥٦ - ٥٧
(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٣
(٦) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٣

ولتوضيح ذلك أعتقد أن جزيرة قوصره رجعت مرة أخرى لبيد البيزنطيين مما دفع أمراء الأغالبة أن يقوموا بفتحها من جديد ويد خلوها مرة أخرى في حظيرة المسلمين، وذلك ليتخذوا منها اثناء غاراتهم على صقلية محطاً وسطاً لأساطيلهم في الغدو والرواح .

ويذكر لنا حسن حسنى عبد الوهاب أنه لم يقف بالمصادر التاريخية التى لدينا على أى نص يفيد ما كانت عليه هيئة الحكم والنظام الإدارى - بالجزيرة . في مدة الحكم الإسلامي لها . أكان فيها حاكم بانفراده من لدن الدولة الإفريقية . أم كانت راجعة بالنظر الى والى مالطة أو صقلية؟ هذا ما لم تحطنا بخبره الأنباء الواصلة الينا .

ولا خفاء أن الامراء من بنى الاغلب كانت لهم عنايه تامة بممتلكاتهم واهتمام خاص بسيرها وعمرانها وتقدمها . فقد كانوا لا يتخلون عن تفقدها بأنفسهم من حين إلى آخر، ومهما مست الحاجه الى ذلك . وتذكر لنا المصادر أن الأمير محمد الثاني - الملقب بأبي الغرانيق - ركب البحر مرة من مرفأ سوسة إلى جزيرة قوصرة . وأقام بها بضعة أيام للكشف عن أحوالها، ثم عاد الى القيروان عاصمة ملكه . ولا شك أن غيره من أمراء تلك الأسرة كانوا يقصدونها . كما كانوا يزورون مالطة وصقلية للوقوف على حالة البلاد والاستماع الى الرعايا. ويكمل حسن حسنى عبد الوهاب كلامه فيقول : " والرأى الذى نعتقده أنه كان لقوصره عامل مستقل بذاته . ينظر في شوءونها الاداريه ومصالحها الحربية والاجتماعية . كما كان لها قاض شرعى مستقل يقضي بين سكانها المسلمين في أمور دينهم وأحوالهم الشخصية معين من قبل حكومة القيروان . وكذلك كان الشأن في بقية الممتلكات العربية المنقطعة عن العدوة "(١) ونظراً لحصانة موقعها الحربي وأهميته اعتنى بنوالاغلب

---

(١) حسن حسنى عبد الوهاب : المقالة السابقة، ص ٦٥ - ٦٦

بشأنها عناية خاصة وفكروا في تعميرها وذلك لقلة ساكنيها في ذلك الوقت الذى فتحت فيه، لانها لم تكن آهله. فكانوا ينقلون إليها نصارى صقلية الداخلين تحت ذمتهم المجموعة بعد المجموعة، بواسطة سفنهم الشراعية ويقيمونهم بها بعد أن وزعوا سهول قوصرة الخصبة عليهم حسب ما يكفى حاجتهم الزراعية. وفيما بعد انتقل إلى السكن فيها فلاحون من الساحل التونسى سواء كانوا عرباً أو أفارقة فكانوا يجاورون النصارى الإيطاليين أهالى البلاد الاصليين الذين بقوصرة. فلم يمض وقت طويل حتى أصبحت تضم بين جوانبها عدداً كبيراً من نصارى الذمة والأفارقة المسلمين، ولكن كان الزمن قد غيرهم فمزجهم وأدمجهم فى البوتقه الإسلامية فأصبحوا كتلة واحدة تتسم بالأخلاق الإسلامية والعربية. ولا يعرفون غير العربية لغة . (١)

ومن هذا يتضح لنا بعد مرمى الأمراء الأغالبة، ومهارتهم فى أساليب السياسة وحنكتها، وخبرتهم التامة بأسس العمران وقواعد الاجتماع.

ولا جدال فى أن جزيرة قوصره أصبحت في عهد الدولة الأغلبية من أملاكهم ذات الصبغة العربية الزاهرة، ومركزاً حربياً معتبراً يحتوى على محطة لحمام الرسائل الذى تستعمله الدولة في المخابرات السريعة بتحميله البريد المستعجل تحت أجنحته، يغدو ويروح بين البرالأفريقى والأساطيل الإسلامية.كذلك استفاد منها المسلمون من حيث موقعها الوسط ومرفئها المنيع وقلعتها الحصينة في فتوحاتهم لجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا وغيرها من جزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. (٢)

---

(١) حسن حسنى عبد الوهاب : المقالة السابقة، ص ٥٩ - ٦٠

(٢) حسن حسنى عبد الوهاب: المقالة السابقة، ص ٦٠ .

٢- فتح جزيرة صقلية :

قامت الدولة الأغلبية في عزة وكرامة وعمل أمراؤها على توطيد ملكهم هذا ، فدان لها الناس بالطاعة. وكانت نتيجه ذلك ما قامت به هذه الدولة الصغيرة من مآثر خالدة في مجال الفتوحات البحرية لجزر البحر المتوسط ولجنوب إيطاليا .

هذا ولم يترتب على سقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية أى تحول في سياسة مسلمي إفريقية البحرية تجاه الشطر الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وإنما زاد النشاط البحرى الإسلامي في هذا المجال قوه وعلى وجه التخصيص في عهد الأغالبة .

ومن ثم كان ذلك الفتح العظيم لأكبر جزيرة في هذا البحر وهى جزيرة صقلية ، وكان الجهاد الإسلامي الذى أعلى كلمة الله ورفع راية الإسلام فوقها ترفرف تحت سمائها.

ففي عهد الأمير إبراهيم بن الأغلب(١٨٤ - ١٩٦هـ/ ٨٠٠ - ٨١١م) مؤسس إمارة الأغالبه كانت مراكب البيزنطيين توالى الإغاره على الثغور الإفريقية فيخربون وينهبون السكان الآمنين الى جانب ممارستهم القرصنة التجارية منتهزين فرصة الضعف الذى أمسى فيه حكام المغرب نتيجة الفتن الداخليه . ويشير بعض المؤرخين إلى أن السفن التجارية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كثيراً ما تعرضت في تلك الفترة للأخطار من جانب الأسطول البيزنطي . (١) وفي نفس الوقت كان على إبراهيم بن الأغلب أن يتفرغ لمشكلاته الداخلية سواء تلك التى تمثلت في ثورة حمديس في تونس الذى أرسل له إبراهيم بن الأغلب عمران بن مخلد والذى استطاع هزيمته ودخول تونس، أو تلك التى تمثلت في توسعات الأدارسه العلويين الذين

---

(١) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص١٨ .

أقاموا دولة لهم بالمغرب الأقصى منذ عام ١٧٢هـ/٧٨٨م.[١] وكذلك تلك التي تمثلت في ثورة عمران بن مخلد وعصيانه لإبراهيم بن الأغلب، فقد جمع جمعاً كثيراً وثار عليه، ونزل بين القيروان والعباسيه وصارت القيروان وأكثر بلاد إفريقيه معه. لكن إبراهيم بن الأغلب استطاع القضاء على هذه الثورة. وبالنسبه لعمران فقد سار حتى لحق بالزاب وأقام به حتى مات إبراهيم.[٢] كذلك ثورة أهل طرابلس في عامى ١٨٩هـ/١٩٦هـ[٣] ولذلك لم يكن امام إبراهيم بن الأغلب سوى مسالمة حكام صقلية، فعقد هدنة لمدة عشر سنوات مع حاكمها (أو بطريقها) عام ١٨٩هـ/٨٠٤ - ٨٠٥م في سبيل تأمين الثغور الإفريقيه والملاحة العربية في البحر المتوسط.[٤]

وكانت بنود هذه الهدنة أن يتم تبادل كل الأسرى المسلمين والروم بين الجانبين، وكذلك عدم شن أحد الطرفين الحرب على الطرف الآخر طوال مدة الهدنة، إلا إذا ظهر من الطرف الثاني ما يبرر نقضها.[٥]

ولكن بعد وفاة إبراهيم بن الأغلب وتولى ابنه أبو العباس عبد الله الأول الإمارة من بعده (١٩٦ - ٢٠١هـ/ ٨١١ - ٨١٦م) اتجهت سياسة الأغالبه نحو تقوية الإمارة بحرياً عن طريق الاهتمام الكبير بالأسطول الأمر الذى أثار انتباه البيزنطيين في صقلية. وقد أدى ذلك الى تجديد الهدنة لمدة عشر سنوات أخرى بين أبى العباس عبد الله وبين جريجورى

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ٥، ص١٠٤ - حامد زيان غانم: المرجع السابق، ص ١٨.
(٢) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ ٥، ص ١٠٤ - ١٠٥
(٣) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ ٥، ص ١٢١، ١٥٦ - ١٥٧ - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، جـ٢، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨.
(٤) صابر دياب: المرجع السابق ص ٧٦ - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، جـ٢، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ - حامد زيان غانم: المرجع السابق ص ١٨ - ١٩ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع لسابق، جـ ٢، ص ٢١١، هامش ٨٢ - ارشيبالد لويس: المرجع لسابق، ص ١٦٥.
(٥) صابر دياب: المرجع السابق، ص ٧٩، هامش ١

القائد البيزنطي في صقلية وذلك سنة ١٩٨هـ/٨١٣م، وبذلك تم الصلح بين الطرفين(١)

ويذكر لنا ابن الخطيب في هذا الصدد ما نصه" أن أبا العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب عقد هدنه مع أهل صقلية جمع لعقدها شيوخ القيروان ووجوهم: فكتب بين يديه كتاب الهدنة وقرئ على جماعة الناس وكان فيه: " أن من دخل إليهم من المسلمين وأراد أن يردوه الى المسلمين كان ذلك عليهم " (٢)

وتم كذلك تبادل الأسرى، وتقرر تأمين سلامة التجار من الجانبين. ومع ذلك فلم تكن لهذه العقود أى تأثير في وقف الغارات المتبادلة بين المسلمين والروم، فلم تمنع المسلمين في شمال إفريقيه من القيام بغارات متعدده ولو فاشله على جزيرة سردانيه عامي ١٩٧ - ١٩٨هـ / ٨١٢ - ٨١٣ م، ففي الغارة الأخيرة خسر المسلمون مائة سفينه أغرقتها لهم العواصف قرب الجزيرة. (٣) ورغم أن خسارة المسلمين في هذه الغارات كانت كبيرة إلا إنها حفزتهم على مهاجمة صقلية سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م وهى الغزوة التى غنموا فيها غنائم عظيمة(٤)، كما كانت جزيرة

---

(١) ابن الخطيب: المصدر السابق، جـ٣، هامش ص ١١١ ، سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، جـ٢، ص٢١١ - صابر دياب: المرجع السابق، ص ٧٦ - حامد زيان غانم: المرجع السابق، ص ١٩ - ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ١٦٥

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق، جـ ٣، هامش ص ١١١

(٣) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ١٦٥ .

(٤) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ١٦٥ - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، جـ٢، ص ٣٨٦ - صابر دياب: المرجع السابق، ص ٧٦ .

سردانية فريستهم في العام التالي ٢٠٦هـ/٨٢١م .[١]

وبعد أن قضى زيادة الله الاول (٢٠١ - ٢٢٣ هـ/ ٨١٦-٨٣٧م) على كافة فتن وثورات البربر، وانتشر الاستقرار والأمن داخل البلاد، رأى أن يوجه جهوده خارج تونس وعلى الاخص في منطقة البحر الأبيض المتوسط[٢] لكن الأمر كان يتطلب إعداداً عسكرياً لهذه المرحلة على مستوى كبير وخاصة وأن نظرة اتجه إلى أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط الا وهى صقليـــة .

ولكن حال بينه وبين تحقيق بغيته عقود الهدنه التى عقدها والده وأخوه ابو العباس من بعده مع حكام صقلية فكان الأمر يتطلب تغطيــــه قانونيه تسمح بنقض هذه العقود . [٣]

وأما الأسباب التى دعت زيادة الله الاول لفتح صقلية فيمكـــــن إجمالها فيما يلى :-

أولا : التمهيد لفتح البلاد الأوربية والعمل على مهاجمتها من الوسط وذلك بعد إخفاق المسلمين في الهجوم عليها من ناحيـــــة الشرق عند أسوار القسطنطنية، وكذلك بعد توقف المـــــد الإسلامى في غربى أوربا بهزيمة المسلمين في موقعة بــــلاط الشهداء في سهول تور-بوانتيه أمام شارل مارتل .

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ١٦٥ .

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق جـ ٥ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ - حامد زيان غانم: المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١١ .

ثانيا : قطع دابر القرصنة البيزنطية التى كانت تتخذ صقلية قاعدة لغاراتها على سواحل المغرب العربية و مراكب التجار العرب، فكان القراصنة البيزنطيون يقومون بالغارة تلو الغارة فيخربون الثغور العربية وينهبون الأرزاق ويأسرون السكان الآمنين الذين كانوا يباعون عبيداً ان لم تبادر دولة الأغالبة بدفع الفدية عنهم.

ثالثا : رغبة الأمير الأغلبي في قطع دابر الفتن الداخلية والثورات التى كانت تجتاح البلاد، فأراد اشغال الناس من بربر وعرب بأمر الجهاد في سبيل الله ، فربما هذا ينسيهم فتنهم الداخلية ويبعدهم عن محاربة بعضهم بعضاً. ولقد تخلص الأمير الأغلبي زيادة الله بفضل هذا الفتح من العناصر المثيرة للشغب والفتنه في الجند العربي ، وبخاصة بعد الجهد الكبير الذى بذله في التصدى للثورة التى قام بها ضده أمير المحمدية منصور بن نصر. (١)

رابعا : هناك العامل الدينى وهو الأهم ألا وهو الجهاد في سبيل الله ، فكما هو معروف فأهل إفريقية كان بينهم عدد كبير من العلماء والفقهاء، كما ساعدت الأربطة التى اقيمت على امتداد الساحل الافريقى على (٢) تكوين طبقة من الصالحين الذين كرسوا حياتهم للجهاد ضد الروم . فكان خروجهم لمقاتلة الروم أقصى ما كان يتمناه العابدون والصالحون، وعندما خرج أسد بن الفرات خرج معه أشراف إفريقية من العرب والجند والبربر والاندلسيون

---

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص٥٦ - ٥٧ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ج٢، ص٢١٠ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٢) انظر قبل : الفصل الثاني : الفقرة الثالثة ، ص ٨٠ الى ٩٤ .

وأهل العلم والبصائر.

خامسا : كانت صقلية بالنسبة للمسلمين أرض جديدة يمكن فتحها وبلاداً غنيه بالغنائم، في الوقت الذى أقفرت بلاد المغرب من هذه الغنائم . (١)

واخيرا نأتى الى السبب الذى مكّن زيادة اللّه من التحلل من شروط عقود صلح ابيه واخيه، وكذلك التحلل من إتفاقه معهم على أن يرجعوا أسرى المسلمين الى البلاد الإفريقية وان لا يبقى منهم أحد بأرض الجزيرة. وقد ذكر لنا الدباغ نصا عن هدنة زيادة الله وأهل صقلية يقول فيه " ولما جرى الصلح بين زيادة الله وبين أهل صقلية والهدنه كان فيه (ان من دخل اليهم والمسلمين وأراد أن يردوه إلى المسلمين كان ذلك عليهم) " (٢)

وكانت الحالة في صقلية يومئذ سيئه جداً، فقد كان يحكمها حكام غلاظ شداد حياتهم الرشوة ودينهم حب الذات وسياستهم تعتمد على الظلم والجور والعسف وكان لا يوجد في باطنهم إلا الحقد والحسد ونية السوء . وكان شعب صقلية يئن من هذا الظلم منكراً له/الا أنه لم يكن يملك أمام هذا الظلم سوى الخضوع لإرادة هؤلاء الظالمين . فقد كان

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، جـ٢، ص ٣٨٦ - ٣٨٧ - السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : المرجع السابق، ص٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) الدباغ : المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢١ - ويذكر هذه الهدنه ايضا السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق، ص ١٠٣ .

يحكم الجزيرة يومئذ من قبل الأمبراطورية البيزنطية في القسطنطينية حاكم يدعى قسطنطين ، وكان من الشخصيات التى توفرت فيها الصفات السيئة السابقه . وعند وصول هذا الحاكم صقلية سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦ م كان أمير البحر البيزنطى في صقلية رجل يدعى أوفيمياس Euphmias وهو الذى تسميه الكتب العربية فيمى ، وكان حازماً وشجاعا قام ببعض الغزوات لسواحل إفريقيه ونهب سفن التجار المسلمين .(١)

لكن الأمبراطور ميخائيل الثاني (٢٠٥ - ٢١٤هـ/ ٨٢٠- ٨٢٩ م) غضب عليه فجأة ، وأمر قسطنطين واليه على صقلية بالقبض عليه وتعذيبه(٢) . وتذكر بعض المصادر وخاصة اللاتينيه منها أن سبب غضب الامبراطور ميخائيل الثاني عليه هو إكراه فيمى راهبة يقال لها هومونيزاعلى الزواج منه(٣) . أما السبب الحقيقى فيذكره لنا السيد عبد العزيز سالم في قوله " والحقيقة أنه ثار مغتنما فرصة قيام توماس بالثورة على الامبراطور (٤)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٨٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص١٩٨ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى المرجع السابق ، ص ١٠٢ - حامد زيان غانم : المرجع السابق ص١٠٩ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق جـ٥ ، ص١٨٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٩٨ - صابرد ياب : المرجع السابق ، ص٧٧ - حسن محمود واحمد الشريف : المرجع السابق ، ص١٦١ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص٢٠ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والدينى والثقافي والاجتماعي ، جـ ٢ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٤) انظر قبل : الفصل الثاني ، ص ٦٩-٩٣ .

وانتصار المسلمين في اقريطش[1]" . فأحس فيمي عند ما علم بالأمر مدى الخطر الذى يتهدده فجمع أنصاره وأخذ أسطوله وشق عصا الطاعه على الإمبراطور، وزحف على مدينة سرقوسة واستطاع الإستيلاء عليها لكن قسطنطين تصدى له وقام بينهما قتال عنيف انتهى بهزيمة قسطنطين وفراره الى قطانيه[2]، وهناك تمكن فيمي من أسره ثم قتله، وأعلن نفسه ملكاً على صقلية ، وعين أصحابه وانصاره على أقاليمها ومدنها . [3]

---

(١) إقريطش: هي جزيرة كريت وهى من جزر البحر الأبيض المتوسط، والانتصار المعنى هنا كان هو في سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م . فقد بعث المسلمون الاندلسيون الذين نزلوا الاسكندرية الى كريت عشر سفن او عشرين عادت بكثير من الاسرى والغنائم بعد أن عرفت المكان معرفة دقيقة، وذلك تمهيداً لفتحها في السنة التالية لمزيد من المعلومات انظر السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : المرجع السابق، ص ٨١، ١٠٣ - إبراهيم على طرخان المرجع السابق، ص ٥٤ - على محمد فهمي : البحرية الاسلامية في شرق البحر المتوسط. مقال ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية لنخبة من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية، ص ٣١٢ .

(٢) قطانية : يذكرها ياقوت تحت اسم قطالية، وهى مدينه على سواحل جزيرة صقلية، ويقال لها ايضا قطانية، وهى مدينه كبيرة على البحر من سفح جبل النار وتعرف بمدينة الفيل (ياقوت : المصدر السابق، م ٤ ، ص ٣٧٠) .

(٣) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ ٥ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ - ابن خلدون: المصدر السابق جـ ٤ ، ص ١٩٩ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق، ١٠٣ - سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق، جـ٢ ، ص ٢١٣ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٥٧ - غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٣٠٢ - حامد زيان غانم: المرجع السابق ، ص ٢٠ .

لكن لم يلبث أن خرج على فيمي أحد قواده ويدعى بلاطة وعصاه واتفق مع ابن عم له اسمه ميخائيل - والي مدينة بلرم - واستطاعا جمع جيش كبير أنزلا به هزيمة ساحقه على فيمي الذى اضطر بعدها الى ترك سرقوسه - ليستولي عليها بلاطة ويرجعها الى سيطرة الروم - وركب ومن معه فى مراكبهم متوجهين إلى افريقيه يستنجد بأميرها زيادة الله الأول ويعده بملك جزيرة صقلية. (١)

وكان زيادة الله - كما سبق القول - مرتبطا مع الروم بهدنه (٢) وكذلك قام بعقد مجلس شورى يضم فقهاء وعلماء تونس لدراسة هذه القضية ووضع الفتوى المناسبة لها. والقضية هى ما عرضه فيمي عليه من فتح صقلية وخاصة وأن المسلمين منذ زمن بعيد وهم يعرفون أهمية دخول جزيرة صقلية تحت سيطرتهم ووضعها تحت سلطانهم، فأراد زيادة الله من الفقهاء والعلماء ان يجتمعوا وأن يقرروا مصير صقلية. أتظل هذه الجزيرة ضمن أملاك الامبراطورية البيزنطية أم تصبح ملكاً لخليفة بغداد وملكاً للمسلمين؟ أتبقى قطعه من القارة الاوربية أم تصبح جزءاً من أفريقية؟ وهنا انقسم الناس إلى قسمين - وكان ضمن الفقهاء المجتمعين أسد بن الفرات القاضي الجليل والقاضي أبو محرز، وسحنون الفقيه - ففريق منهم متريث معتدل لا يرى الغزو ولا يشير به، ومن ضمنهم سحنون الذى قام

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ ٥، ص١٨٧ - ابن خلدون: المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٩٩ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢١٣ - احسان عباس: المرجع السابق، ص ٣٢ - أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ٥٧ - ٥٨ - جوستاف لوبون: المرجع السابق، ص ٣٠٢.

(٢) انظر قبل: الفصل الثالث، ص ١٢٥.

بسؤال المجتمعين عن المسافة التي بين صقلية وبلاد الروم، فقالوا له يروح الانسان مرتين وثلاثه في النهار ويرجع، فقال : ومن ناحية أفريقيه؟ قالوا يوم وليله. قال : لو كنت طائراً ما طرت عليها. وقد أظهر سحنون عدم موافقته عند ما عرف المسافه على اساس أن امدادات الروم ستكون قريبه جداً من الجزيرة، بينما سيكون العرب بعيدين عن قواعدهم. أما الفريق الثاني فهو متطرف متحمس، ينظرون لهذا الأمر نظرة دينيه فهم يعتبرون هذا الأمر جهاداً في سبيل الله وإعزازاً لدينه، فهم مجندون للغزو راغبون فيه وعلى رأسهم أسد بن الفرات. وقد مال الامير زيادة الله الى رأى هذا الفريق الثاني. (١)

وهكذا انتهى زيادة الله من قضية غزو صقلية ورأى الفقهاء فيها، وبقى وأمر آخر لابد له من حل عاجل وهو مسألة الهدنه التي بينه وبين الروم وكيف يستبيح الفقهاء أن يفتوا زيادة الله بنقضها، وكان فيمى قد أرسل لزيادة الله يذكر له أن عند الروم أسرى من المسلمين. فذكر زيادة الله هذا الامر للفقهاء، فقال ابو محرز "يستأنى في هذا الامر حتى يتبين" وأما اسد بن الفرات فقال " يسأل رسلهم عن هذا ". فقال أبو محرز: " كيف يقبل قول الرسل عليهم، أو دفعهم عنهم ؟ فقال اسد : " بالرسل هادنا هم وبالرسل نجعلهم ناقضين ، قال الله عز وجل (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٢) فكذلك لا نتماسك به ،

---

(١) احسان عباس: المرجع السابق، ص ٣٢ - ٣٣ - ؛ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢١٤ .
(٢) سورة آل عمران ، آيه ١٣٩ .

ونحن الاعلون.ه(١)

عندئذ أرسل زيادة الله في طلب رسل فيمى وسألهم فتأكدوا أنه لا زال يوجد في الجزيرة عدد كبير من المسلمين في حالة رق وعبودية فقالوا : " نعم حبسوهم لأنهم في دينهم لا يحل لهم ردهم " — وكان في الرسل رجل مسلم(٢) — وبهذا تأكد لزيادة الله صحة نقض الروم للهدنة التي بينهم وبين المسلمين وأنه أصبح في حل منها وأن الحرب واجبة لرفع هذه المظلمة عن المسلمين . وهنا نادى زيادة الله بالجهاد في سبيل الله . وأبلغ فيمى واصحابه بالتوجه إلى سوسة قاعدة الفتح وأرض المحارس والرباطات ، وأن يقيموا فيها حتى يتم الإعداد للحملة ، ويستعد الأسطول الإسلامي . (٣)

وأسند زيادة الله قيادة الحملة لأسد بن الفرات القاضي العلامة وهذا الأمر ليس بغريب . فقد كان أسد بجانب فقهه وعلمه يعد من الشجعان

---

(١) القاضي ابو الفضل عياض: تراجم اغلبية ، ص ٦٦ ـ الدباغ: المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ ابن الخطيب: المصدر السابق ، جـ ٣ ، هامش ص ١١١ - ١١٢ ـ احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٥٨ ـ السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٠٤ ـ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٤ ـ احسان عباس: المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٢) القاضي ابو الفضل عياض: المصدر السابق ، ص٦٦ ـ الدباغ: المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٢ ـ ابن الخطيب المصدر السابق ، جـ٣ ، هامش ص١١١ - ١١٢ ـ السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ ـ احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، جـ ٥٨ .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ .

وقد سبق له غزو سردانية بأمر من زيادة الله وأشرف على فتحها (١) ويذكر لنا القاضي ابو الفضل عياض والدباغ أنه عندما اختار زيادة الله أسد بن الفرات لقيادة الأسطول الإسلامي وأصر على ذلك، قال أسد اذ ذاك له: " أصلح الله الامير - من بعد القضاء والنظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة؟ " فقال له زيادة الله :- انى لم اعزلك عن القضاء إلا وقد وليتك الإمارة وهى أشرف من القضاء وأبقيت لك اسم القضاء، فأنت قاض أمير". فخرج اسد على ذلك، ولم يجتمع لأحد الولاية والقضاء ببلد افريقيه الا لأسد. (٢)

ويقال ان اسد بن الفرات هو الذى عرض نفسه على زيادة الله للخروج لغزو صقلية. (٣)

وقد تحمس أسد بن الفرات للخروج للجهاد فكان يتعجل إتمام اعداد الحملة ليتجهوا إلى صقلية، وكان يشعر بتثاقل زيادة الله في ذلك ويشكو منه. فكان الإستعداد للحملة يجرى على قدم وساق، بينما أخذ الناس يتوافدون على أسد ويسألونه الخروج معه وما يجب أن يكون معهم من العتاد والعدة. وفي هذا الوقت أصدر زيادة الله سجلاً بولاية

---

(١) القاضي ابوالفضل عياض: المصدر السابق، ص٦٧ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢١٥ .

(٢) القاضي ابو الفضل عياض: المصدر السابق، ص٦٦ - الدباغ: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٢ - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، جـ١، ص ١٥٩ - ١٦١ . (يذكر نفس الرواية)

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق، جـ ١، ص ١٠٢ - احمد توفيق المدنى : المرجع السابق، ص ٦ - سيد ناجى : اسد بن الفرات، مجلة الأمة العدد (٢٧)، السنة الثالثة، ص ٥١ .

أُسد بن الفرات على صقلية اميراً وقاضيــاً .(١)

<u>أسد بن الفرات :</u>

وقبل أن نمضي قدما في سرد أحداث فتح صقلية يجدر بنا أن نذكر نبذة موجزة عن هذا القاضي الفاضل والمجاهد الكبير الذى قاد حملــة الفتح . فقد كان أسد بن الفرات من كبار علماء وقضاة افريقية ، ولا يوجــد شيئ ينقص من هذه المكانة والمنزلة في نفوس أهالي أفريقية سواء فــي ميدان الجهاد والسيف أوفي ميدان العلم والقلم .

ولد أسد بن الفرات بمدينة نيسابور من أرض خرسان سنة ١٤٢هـ / ٧٥٩م ، فهو من ابناء جند خرسان . وقال بعضهم ولد بحران(٢) من ديـار بكر. قدم مع والده وعمره لا يتجاوز أربعة أعوام بصحبة الجند الإسلامــي القادم مع الوالي محمد بن الاشعث لتمهيد الأمر بإفريقيــة .

وأخذ مبادئ علومه في مدينة القيروان لمدة خمس سنوات ، ثم قــام بالارتحال وهو في سن العاشرة من عمره إلى مدينة تونس . وهناك تلقــى العلم وانقطع له نحوا من تسعة اعوام درس فيها القرآن وعلومه . وقد كـان أسد بن الفرات يقول مفاخراً أو مداعباً أقرانه : أنا أُسد والأُسد خيــر

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ .

(٢) حران : هى بلد قبين الرها والرقه من حوض الفرات على طريق النازحين من خرسان . ومن المعلوم أن العمران انتشر بعد الطوفان فيما بيــن النهرين . (الدباغ : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣ ، هامش ٣) .

الوحوش، وابى الفرات والفرات خير الماء، وجدى سنان والسنان خير السلاح .

ولم يكتف بأخذ العلم في تونس، بل شد رحاله إلى المشرق الذى كان مزدهراً بما فيه من مصابيح العلم وأئمة الهدى .

وفي بداية تلقيه العلم بدأ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وسمع هناك عن مالك بن أنس، رضي الله عنه ، الموطأ وتعمق فيه بعد ما استوعبه أول مرة عن ابن زياد ، ثم غادر المدينة مزوداً بعلم مالك الغزير ودعائه الصالح وكانت وصيته له يوم الوداع: " أوصيك بتقوى الله تعالى والقرآن ، والنصيحة لهذه الأمة " .

وكذلك أخذ علم أبى حنيفة وآراءه وفتاويه عندما ذهب إلى العراق لتلقى العلم على يد جماعه من أصحاب أبى جنيفه النعمان نخص بالذكر منهم الإمام ابا يوسف ومحمد بن الحسن وفي نفس الوقت أخذ عنه ابو يوسف موطأ مالك وآراءه .

ثم انتقل إلى مصر وفيها جماعة كبرى من أصحاب مالك والناسجين على منواله ، فصحب منهم الإمام عبد الرحمن بن القاسم صحبة طويلة وامعن في سؤاله . وقد ذكر هذا ابن خلكان إذ قال : ان أسد بن الفرات الفقيه المالكي جاء من الغرب إلى مصر وقرأ على ابن القاسم وأخذ عنه

" المدونه " وكانت مسودة، وعاد بها إلى بلاده . (١)

وهكذا بعد أن عرض أُسد بن الفرات المسائل المختلفة على ابن القاسم حتى انقطع في السؤال ، اذ لم يبق له شيئ يسأل عنه - دون عندئذ ستين كتاباً وسماها " الأُسدية " (٢)

وبعد عشرة أعوام مضت في تحصيل العلم والنهل منه والجهاد في هذا السبيل رجع إلى وطنه إفريقيه وقد تشبع بالعلم والمعرفه ومعه كتابه الشهير الأُسديه، واخذ يفرغ علمه هذا لتلاميذه ولمريدى علمه وفقهه فاشتهر امره وذاع صيته .

وكان الإمام سحنون قد كتب الأُسديه عن أُسد بن الفرات، ومن ثم رحل الى المشرق وتوجه إلى مصر يأخذ العلم من معين ابن القاسم العذب وكان يرافقه وقد طالت صحبته له، فأخذ عنه المدونه بعد أن حررها ابن القاسم، وقد رجع عن بعض ما أجاب به أُسد بن الفرات. عندئذ رجع سحنون إلى القيروان وجلس للتدريس وكانت المدونه ليست على وفاق في مسائل مختلفة مع الاسدية وهى المسائل التى رجع عنها ابن القاسم. وهنا طلب الإمام سحنون من أُسد ان تقابل (اسدية) اسد بـ(مدونه) سحنون فالذى تتفق عليه النسختان يثبت، والذى يقع فيه الاختلاف فالرجوع الى نسخة سحنون وتمحى من نسخة ابن الفرات فهذه هى الصحيحه. وقد استشير الأمام ابن القاسم في الأمر فرجح

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان، جـ٣، ص ١٨١ - القاضي ابوالفضل عياض: المصدر السابق، ص٦٧ - الدباغ المصدر السابق، جـ٢ ، ص من ٤ الى ١٣ - احمد توفيق المدنى ، المرجع السابق، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) الدباغ: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٢ - ١٣ .

كفة مدونه سحنون على كفة الأسدية وأمر أسد بأن يصحح كتابه على المدونه فترك أسد رحمه الله أسديته وفقه مالك وأقبل على مذهب ابي حنيفه النعمان يشرحه للناس ويعلمه للخاصة والعامة.[١] وفي رواية أخرى أن أسد رفض إصلاح أسديته ولما بلغ ابن القاسم ذلك قال : اللهم : لا تبارك في الأسدية إفتركت الأسدية ولم يعمل بها للناس .[٢]

وقد تولى اسد ابن الفرات القضاء سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م على القيروان من قبل الأمير زيادة الله وكان يشاركه فيه القاضي ابو محرز الكتاني : وكان بينهما شأن كبير وخلاف عظيم[٣] .

ثم كان ما كان من امر فتح صقلية ومسألة غزوها ورأى الفقهاء في ذلك كما ذكر سابقاً . فقد تولى أسد بن الفرات قيادة الجيش، مع بقاء منصبه كقاض، وتوجه إلى صقلية مرسلاً من قبل زيادة الله الأغلبى في جيش لفتحها ، ونزلوا على مدينة سرقوسه ولم يزالوا محاصرين لها إلى أن مات

---

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٦٠

(٢) ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨١ - ١٨٢ - القاضي ابو الفضل عياض: المصدر السابق ، ص ٦٠ - الدباغ: المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧ .

(٣) الدباغ: المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

أُسد بن الفرات في رجب سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨ م ، وقيل أربع عشـــــرة ، وقيل سبع عشره ، ودفن بذلك الموضع(أى خارج سرقوسه) رحمهاللـــه . فكان قبره ومسجده بصقلية . (١)

فتح صقليـــــة :

وأمر زيادة اللّه ان يخرج الجند الإسلامي في موكب حافل ومهرجـان مشهود، فخرج لوداع المجاهدين كبار الأمة وعيون القوم من العرب والبربـــر والأندلسيين . فلما وجد أُسد بن الفرات الناس حوله من كل جهه ، وقد وصلت الخيل ، وضربت الطبول ، وخفقت البنود قال : لا إله إلا اللّه وحـــده لا شريك له والله يا معشر الناس ما ولي لي أب ولا جد ، ولا رأى أحد مـــن سلفي مثل هذا ، ولا بلغت ما ترون الا بالأقلام ، فاجهدوا انفسكم فيها ، وثابروا على تدوين العلم تنالوا به الدنيا والآخرة . (٢)

---

(١) ابو العرب تميم القيرواني : طبقات علماء إفريقيه وتونس، ص ١٦٥ - ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨١ - ١٨٢ - القاضـــــي ابو الفضل عياض: المصدر السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ - الدباغ: المصدر السابق جـ٢ ، ص ٢٣ الى ٢٦ - احمد توفيق المدني : المرجع السابـــق ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) القاضي ابو الفضل عياض: المصدر السابق ، ص٦٧ - الدباغ: المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، جـ٣هامش ص ١١٢ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢١٧ احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص٦١ - سيد ناجي : اســـد بن الفرات ، مجلة الامه ، العدد ٢٧ السنة الثالثة ، ص ٥١ .

و هكذا أستغل أسد بن الفرات هذه المناسبه وحث الناس على طلب العلم إلى جانب الدعوه إلى الجهاد في سبيل اللّه .

خرج الأسطول الأغلبى الإسلامى من مدينة سوسه يوم الأحد ١٤ ربيع الأول سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م . وكان الجيش يتكون من ٧٠٠ (سبعمائه) فارس بخيلهم ،و١٠ (عشرة) آلاف راجل عبروا البحر الى صقلية فى مراكب، وكان عدد المراكب حوالى ١٠٠ (مائة) مركب ، غير مركب فيمى وكان ذلك في خلافة المأمون . (١)

وكان رجال الحمله يتكونون من أشراف افريقيه من العرب، والجند، والبربر، والأندلسيين ، وأهل العلم والبصائر. (٢)وهذا يدل على أن العرب شاركوا في هذا الفتح ، وقد كانوا من سلالة القريشيين الذين جاءوا مع الفتوح الأولى لإفريقيه وعرفوا بإسم البلديين ، هذا الى جانب التميميين من أقارب الأغالبة. اما الجند فكان يقصد بهم عسكر الأمير وفتيانه من الصقالبة ومن السودان . والبربرهم جماعه هوارة طرابلس

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ،جـ١ ، ص١٠٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ،جـ٣ ، هامش ص١١٢ - الدباغ: المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣ - إحسان عباس: المرجع السابق ، ص ٣٣- ٣٤ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،جـ٢ ، ص ٣٨٧ . محمد كرد على : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢١٧ - عبد المنعم رسلان : الحضارة الاسلامية في صقليه وجنوب ايطاليا ، ص ١٨ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ،جـ١ ، ص ١٠٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ،جـ٣ ، هامش ص ١١٢- احسان عباس: المرجع السابق، ص ٣٣ - ٣٤ .

ونفراوة ، والزاب . أما الأندلسيون فهم الذين جاءوا واستقروا بإفريقيه وكانوا من أهل العلم والبصائر. (١)

وإذا كانت الرحلة في البحر في ريح الصيف المواتية تستغرق يوماً وليلة كما قيل لسحنون وقد ذكرت ذلك سابقاً وهي حسب مسافات أهل البحر وقتئذ ، أي حوالي ١٢٠ ميلاً ، فان هذا لا يعني أن أسطولا حربياً مثقلا بالرجال والعتاد كان يمكنه أن يصل في اليوم التالي إلى ساحل صقلية . فقد استغرقت الرحلة ٣ أيام ، ووصل الأسطول إلى الساحل الصقلي عند مدينة مازر(٢) صباح يوم الثلاثاء ١٧ ربيع الأول (٣)

وكان اختيار مازر لنزول الحملة يدل على حنكة حربية لأنه كان يحقق للمسلمين ميزتين ، أولاهما : أنها كانت بعيدة عن مركز الثقل البيزنطي في الجزيرة ، وذلك على الساحل الشرقي حيث توجد مدن سرقوسه وقطانيه وطبرمين(٤) ، كما أن مدينة مازر نفسها كانت بعيدة في الداخل

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٧

(٢) مازر : هي مدينه بصقلية (ياقوت : المصدر السابق ، م ٥ ، ص ٤٠)

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٢ ، ص ٢١٨ - أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٤) طبرمين : هي قلعه بصقليه حصينه : (ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ١٧) .

على بعد أميال من الساحل . وثانيهما : أن ساحلها يعتبر أقرب السواحل الصقليه الى الأرض الأفريقيه . (١)

وبعد نزول المسلمين إلى مازر أمرهم أسد بن الفرات بأن يخرجوا الخيل من المراكب في هدوء ثم يتبعها الرجال . وأقام بمازر ثلاثة أيام عمل خلالها على استكشاف المكان حتى يتخذه معسكراً له . وقد عسكر اصحاب فيمى في معسكر خاص بهم بالقرب منهم .

وحدث خلاف بين أسد بن الفرات وبين أحد قواده وهو ابن قادم، سببه أنه لما نزل المسلمون بصقلية أضر بهم الجوع حتى آكلوا لحوم الخيل ففوض الجند إلى ابن قادم أن يحدث أسدا عنهم في إعادتهم إلى إفريقيه ، فرفض أسد ، وأراد حرق المراكب، ثم أنه عاقب ابن قادم فضربه بالسوط.(٢)

واثناء مقام جند أسد بن الفرات في مازر لم يشتبك مع الروم. ولم يخرج للقائه إلاّ سرية واحدة وتمكن من أسرها ، ولكن اتضح أنها من أنصار فيمى . من أجل ذلك لم يرتح أسد لإشتراك فيمى ، واصحابه معه في القتال ، فأمرهم أن يعتزلوا المسلمين فيذكر الدباغ أن أسد بن الفرات قال لفيمى" إعتزلنا افلا حاجه لنا في أن تعينونا" : وقال لهم : اجعلوا على رؤوسكم سيماء تعرفون بها ، لئلا يتوهم أحد منا أنكم من هؤلاء الموافقين

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٨ .

(٢) الدباغ: المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

لنا فيصيبكم بمكروه ، ففعلوا ذلك " (١) وجعلوا على رؤوسهم الحشيش فكانت تلك سيماهم . ويبدو أنهم وضعوا غصنا نباتيا حول رؤوسهم تمييزا لهم عن بقية الروم . (٢) ثم سار جيش المسلمين متوجهاً للقاء بلاطه ، فسار أولاً نحو سهل بلاطه مارا بقلعة بلوط ثم قرى الرفش وقلعة الدب وقلعة الطواويس، ثم إلى أرض المعركة التي سميت بإسم بلاطه نسبه إلى صاحب صقليه . وأقبل بلاطه في جيش كبير عدته ١٥٠ ألف مقاتل ، وربما يكون هذا العدد الكبير فيه شيىء من المبالغة. (٣) وعن القتال الذى نشب بين بلاطه وأسد بن الفرات يقول الدباغ " فرأيت أسدا في يده اللواء وهو يزمزم فحملوا علينا فكانت فينا روعة شديدة، وأقبل أسد على قراءة " يس " فلما فرغ منها قال للناس " هؤلاء عجم الساحل هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم " فحمل وحمل الناس معه فهزم اللّٰه تعالى بلاطه وأصحابه . فلما انصرف أسد رأيت الدم وقد سال مع قناة اللواء مع ذراعه حتى صار تحت إبطه " (٤) . ويزيد القاضى ابو الفضل عياض على هذه الروايه قوله " ولقد رد يده (أسد بن الفرات) في بعض تلك الأيام فلم يستطع مما اجتمع من الدم تحت إبطه " . (٥)

---

(١) الدباغ: المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣ .

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق ، جـ ٣ ، هامش ص ١١٢ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٠٦

(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٤) الدباغ: المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣ .

(٥) القاضي ابو الفضل عياض : المصدر السابق ، ص ٦٧ .

وما ان وصلت اخبار هذا الإنتصار لزيادة اللّه بن الأغلب حتى بادر بالكتابه الى الخليفة العباسى المأمون يعلمه بهذا النصر وبفتح صقليه على يد أسد بن الفرات .(١)

ولم يجد بلاطه امامه سوى الإنسحاب الى قصريانه (٢) Castrogiovanni ثم غلبه الخوف من لقاء المسلمين ففر من صقليه إلى قلورية (٣) Calabria بجنوبى إيطاليا فقتل بهـا .(٤)

وقبل ان يغادر أسد بن الفرات مازر ليقتفى أثر فلول الجيش الرومى المهزوم عين أبا زكي الكنانى على مازر، وزحف بعد ذلك إلى موضع على البحر يقال له كنيسة ايفيحيه . وربما تكون هى فينياس القديمه، ثم سار

---

(١) الدباغ: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٤ .

(٢) قصريانه : هو اسم لمدينه كبيرة بجزيرة صقليه على سن جبل يشتمل سورها على زروع وبساتين وعيون ومياه. (ياقوت : المصدر السابق، م ٤، ص ٣٦٥) .

(٣) قلورية : هى جزيرة في شرقي صقليه وأهلها أفرنج ولها مدن كثيرة وبلاد واسعة. (ياقوت : المصدر السابق، م ٤ ، ص ٣٩٢). - ويصفها ابن جوقل بقوله (قسم من الارض داخل في البحر يقرأ فيه أرض قلورية وعلى ساحلها من المدن : ميتان، كستسه، فتيه، ريو، ... الخ) انظر ابن جوقل : المصدر السابق، ص ١٧٧ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٩٩ - محمد كردى على: المرجع السابق، جـ ١ ، ص ٢٧٣ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق، ص ٦٠ .

الى كنيسة المسلقين. وفى مدة وجيزه وصل اسد بن الفرات بجيشه تحت اسوار سرقوسه قاطعا مسافة مائتى كيلو متر الفاصلة بين مدينة مازر التى نزلوا و مركزوا بها - ومدينة سرقوسه (Ciracuse). (١)

وهناك أقبل إليه طائفة من بطارقه سرقوسه، فسألوه أن يمنحهم الأمان خديعةً ومكراً، وبذلوا له الجزية، واشترطوا عليه ان لا يتحرك من موضعه، فوافق على شرطهم، وأثناء فترة إنتظاره هذه قام بتنظيم صفوفه قبل المعركة المقبلة، كذلك كان في إنتظار قدوم الأسطول الإسلامى من مازر ليستطيع تشديد الحصار على سرقوسه. (٢) واثناء ذلك تجمعت قوات الروم بقلعة الكراث التى يعتقد أنها قصر اكريدى، ووضعوا فيها كل اموال جزيرتهم ومكر به أهل سرقوسه لأنهم استغلوا فترة التوقف هذه وأصلحوا حصنهم، وأدخلوا فيه جميع ما يملكون من ذهب وفضه وميرة.

وهنا انقلب فيمى على المسلمين ومال إلى بنى جنسه، وراسل أهالى سرقوسه يحثهم على الصبر والثبات حتى يستطيع نجدتهم. وعند ما اصبحت صفوف جيش أسد بن الفرات منتظمة وجاءه الأسطول من مازر قام بمواصلة زحفه نحو سرقوسه، وأراد مقاتلة أهلها لكنهم تحصنوا داخل أسوار مدينتهم عندئذ أرسل السرايا في كل ناحية، وغنم غنائم هائلة، وافتتحوا عمرانا كثيرة حول سرقوسه، كذلك قام بحصار سرقوسه براً وبحراً، وفى نفس الوقت

---

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص ٦٢.

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ ٥، ص ١٨٧ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق، ص ١٠٧.

جاءته الأساطيل من أفريقيه تحمل اليه الإمدادات التى تقدر حسب تقدير البعض بعشرين الف مقاتل وثلثمائة سفينه (١) . ويبدو أن هذا الرقم الاخير فيه شيئ من المبالغه .

لكن والى بلرم زحف في جيش كثيف نحو المسلمين ، فما كان من المسلمين إلا أن حفروا خندقاً حول أنفسهم ، وحفروا خارج الخندق حفرا كثيرة . فلما هجم الروم على المسلمين ، كبت خيلهم وسقط كثير منهم في الحفر ، وقتل المسلمون اعداداً كبيرة من الروم وضيق القاضي أسد ورجالة على سرقوسه ، وقام بإحراق أسطول الروم ، فسألوه الأمان ، لكن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، فرفض ان يجيبهم لطلبهم وذلك بسبب غدرهم المرة الأولى . (٢)

وفي هذه الاثناء داهم المسلمين وباء شديد هلك بسببه عدد كبير منهم ، ومن جملتهم القاضى أسد بن الفرات الذى توفى في شعبان

---

(١) على حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص ٨٥

(٢) ابن عذارى : المرجع السابق ، جـ١ ص ١٠٢ - ١٠٣ - ابن الاثير : المرجع السابق ، جـ٥ ، ص ١٨٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٩٩ - محمد كردى على : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢٧٣ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، وقيل في رجب[١]، وقيل في ربيع الآخر[٢]، فدفنه المسلمون في الموضع الذى كان يحاصر منه سرقوسه، وقيل بين قطانيه (Catania) وقصريانه. وهذا امر مستبعد لأن قصريانه لم تكن فتحت بعد، وبعضهم يقول دفن في بالرم، ولكنه ايضاً رأى مرفوض لأنها لم تكن فتحت كذلك. ويذكر الدباغ انه توفى نتيجة جراحات شديدة أصابته وهو محاصر لسرقوسه[٣].

والواقع ان جيش أسد بن الفرات قابل مقاومة شديدة سواء من الحاميه البيزنطية أو من أهالي صقلية الذين احتموا بقلاعهم وحصونهم القوية. ولم تكن الإنتصارات التى أحرزها بالإنتصارات السهله الهينه، وذلك لتكاتف جميع القوى بصقليه للوقوف في وجهه، ولكن عند ما أحس أهالى صقليه بضعف مركزهم وأن الجيش الإسلامى في هذه الغزوة لا ينوى العودة إلى أفريقيه بعد حصوله على الغنائم كما كانت غزواته السابقه، أسرعوا بإرسال عدة سفارات لطلب النجدة من الأمبراطورية البيزنطية صاحبة السيادة الرسميه على صقلية. وعلى الرغم من إنشغال القسطنطينيه بحروبها في جبهات مختلفة، فحربها في آسيا الصغرى ضد الخليفه

---

(١) ابن عذارى: المرجع السابق، جـ١، ص١٠٤ - ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص١٩٩ - صابر دياب: المرجع السابق، ص٨٠ - حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص٧٩.
(٢) الدباغ: المصدر السابق، جـ٢ ص٢٥.
(٣) نفس المصدر ونفس الصفحه.

العباس المأمون من جهه ، وإنشغال أساطيلها في محاولة إسترجاع جزيرة كريت من أيدى المسلمين الأندلسيين من جهه أخرى ، إلا أنها كانت تعرف مدى أهمية صقليه بالنسبه لها فبادرت بتلبية نداء أهلها، وأرسلت لهم نجدة سريعه لإنقاذ مدينة سرقوسه من حصار المسلمين لها(١).

ولسوء الحظ كان الجيش الإسلامي يمر آنذاك بظروف صعبه للغاية، فقد صدم بموت قائده أسد بن الفرات ، بجانب كثرة الموتى منهم نتيجة هذا الوباء الذى كان له الاثر السيئ على نفسيتهم. هذا بالإضافة الى رجاحة كفة البيزنطيين بعد تعاون البندقيه معهم للقضاء على المسلمين كما أن المؤونه والأقوات كادت تكون معدومة في المعسكر الإسلامي. (٢)

ولاية محمد بن أبي الجوارى :- (٢١٣ - ٢١٤هـ/٨٢٩ - ٨٣١م)

ورغم هذه الصعوبات جميعاً فقد عزم المسلمون على مواجهة هذه الاخطار والتغلب عليها ، بدليل أنهم اجتمعوا واختاروا واحداً منهم قائداً عليهم، فوقع اختيارهم على القائد محمد بن أبي الجوارى ، ووضعوا فيه كل آمالهم لتخليصهم من الموقف الحرج الذى وصلوا إليه .

---

(١) حامد زيان غانم: المرجع السابق، ص ٢٣ - ٢٤

(٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - احسان عباس: المرجع السابق ، ص ٣٤ - حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

و في هذه الاثناء وصلت اليهم انباء وصول الاسطول البيزنطي والحشود الرومية، فازدادت رغبتهم في ركوب مراكبهم والعودة الى بلادهم فرفعوا الحصار عن سرقوسه، وقاموا بإصلاح سفنهم وركبوها وشرعوا في الاقلاع. ولكن مراكب البيزنطيين والبنادقة تصدت لهم على باب المرسى الكبير ومنعتهم من الخروج.عندئذ رأى المسلمون أن اقتحامهم لهذا الحصار البحرى يعتبرضربا من التهور الذى سوف لن يجنوا من ورائه سوى الهلاك فعدل محمد بن الجوارى عن فكرة العودة، وصمم على البقاء بصقلية ومعاودة القتال من جديد. (١)

و من المؤكد ان الجند الإسلامى آثر الموت شهيداً في ساحة القتال على أن يموت غرقاً، وربما يكون حليفهم النصر. ويبدو أن الروم كانوا قد دخلوا مارز بعد خروج المسلمين منها اذ تطلب الامر استعادتها بقتال مرير استمرثلاثة أيام(٢) ورغمما تقوله الروايه من أن المسلمين عندما أرادوا التراجع بسفنهم إلى المرسى أحرقوا مراكبهم(٣) أى أنهم وطنوا انفسهم على القتال حتى الموت معتمدين في ذلك على سيوفهم فحسب، فأغلب الظن أنهم ما كانوا ليضحوا بسفنهم التى تعتبر وسيلة المواصلات الوحيدة بينهم وبين قواعد إمدادهم في إفريقيه، وأنهم اذا كانوا قد

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق جـ٥ ص ١٨٧ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى، المرجع السابق، ص٩٠١ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، جـ٢، ص٢٢٤ - محمد عبد الله عنان: تراجم اسلامية شرقية وأندلسيه، ص ١٥٦ - حامد زيان غانم: المرجع السابق، ص٢٥ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، جـ٢، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ ٥، ص ١٨٧ - إحسان عباس: المرجع السابق، ص٤٣ - احمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص٤٦ .

احرقوا بعض سفنهم فإنما يكونون قد فعلوا ذلك ضمن إجراءات الوقاية التى اتخذوها لمقاومة الوباء . (١)

وتشير رواية أخرى بأن محمد بن الجوارى عندما قرر البقاء في صقليه والإستمرار في مقاتلة الروم بدأ بإحراق سفن الأسطول البيزنطي المحاصر لصقليه بمساعدة نجدات بحرية جاءت له من القيروان حتى يتسنى له الإتصال بشمال إفريقيه ووصول الإمدادات اليه . (٢)

واتجه الجيش الإسلامي من مازر الى حصن ميناو (Mineo) ليعملوا على توطيد اقدامهم في الإقليم الشرقي من صقليه . وهذا الحصن يوجد على بعد ٢٤ ميلا في اتجاه الجنوب الغربي من لنتيني الواقعه على الساحل شمال سرقوسه. فأستولوا عليه بعد حصار دام ثلاثة أيام بمعاونة أصحاب فيمى حيث استقرت جماعه منهم. كذلك اتجه فريق من المسلمين إلى جرجنيت (Girgenti) وهو حصن يقع على ساحل البحر جنوب غربي صقليه ، ونجحوا في الإستيلاء عليه أيضاً . وكان نتيجة هذين الإنتصارين ان ارتفعت روح الجند الإسلامي وأشرقت نفوسهم بالفرج والخير بعد القنوط واليأس وبدأوا يطمحون في مزيد من الفتوح

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٢٥ .
(٢) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

والإنتصارات (١) .

ومن رواية فتح ميناو نفهم ان التعاون كان وثيقاً بين المسلمين وبين فيمى وأصحابه ، وذلك على عكس ما قيل حول تحريضه أهالى سرقوسه على مقاومة المسلمين . ومن أمثلة هذا التعاون قيام فيمى بقيادة وإرشاد المسلمين الى مدينة قصريانه الواقعه الى الشمال الغربي من صقلية وذلك لفتحها. وعند ما وصلوا إليها خرج أهلها إليه ، وقاموا بتقبيل الأرض بين يديه وبذلوا له الطاعه وهم يضمرون له الكيد والحقد في قلوبهم ، وقالوا له : " تكون نحن وأنت والمسلمون على كلمة واحده ، ونخلع طاعة الملك ، وطلبوا منه مهلة يوم لكى يرتبوا أمر الصلح ويرون ما سوف يصالحون عليه ، فاستجاب لطلبهم ، ثم قدم عليهم في اليوم التالى في عدد قليل من أصحابه ، ولكن كان في الأمر خدعة فما أن اقترب منهم حتى وثبوا عليه وقتلوه (٢) .

ويبدو أن هدف أهل قصريانه من هذه الخدعه هو اكتساب الوقت حتى يصل مدد الحكومة البيزنطية الذى كان يتجه نحوهم

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٨٧ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ - احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٨٧ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٦١ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٠٩ - ١١٠

للقاء المسلمين ، وكانت هذه القوات الروميه تتكون من جنود أرمن .
ووصلت القوات البيزنطية إلى صقلية وكانت بقيادة البطريق تودط (Theodote) ، ثم تحركت نحو قصريانه للقاء المسلمين . واشتبك الجيشان تحت أسوار قصريانه في قتال عنيف انتهى بهزيمة الروم على أيدى المسلمين ، ومقتل الكثيرين منهم ، ودخول من سلم منهم إلى قصريانه ، وبينهم قائدهم تودط . وأسر المسلمون منهم حوالى سبعين بطريقاً من قوادهم وبقى المسلمون في حصارهم للمدينه ، وقد اشتدت عزيمتهم بما أحرزوه من نصر ، إلا إنه بعد المعركة بقليل توفى القائد محمد بن أبي الجوارى فى أول سنة ٢١٤ هـ/ مارس ٨٢٩ م ، وقيل في آخر سنة ٢١٣ هـ . وبعد وفاته اختار المسلمون قائداً جديداً ، وهو زهير بن غوث[١] ، وقيل بن برغوث . (٢)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ١٨٧ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٣٨٨ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٠ (عن النويرى) .

ولاية زهير بن غوث : - (٢١٤ - ٢١٦هـ/ ٨٢٩ - ٨٣١م) ٠

ومن الرواية السابقة يتضح لنا ان معركة قصر بانه لم تكن معركة فاصله لأن قائد الروم تودط لم يمت وإنما فر إلى داخل المدينه. لذلك نجده قد نظم فلول جيشه الذى يتكون من الأرمن ، و نزل ميدان الحرب مرة أخرى ، واستطاع أن يثأر لنفسه. وذلك عندما خرجت سريه من المسلمين بحثاً عن مغانم تكون موءنه لهم ، فخرج عليهم بقواته من الروم وهزموهم، فرجع الجند الإسلامي إلى قاعدته. ثم كان ان خرجت القوة الإسلامية في جمعها لمحاربة الروم، لكن الروم حشدوا لهم كل قواتهم فأنهزم المسلمون في موقعه داميه قتل فيها ألف قتيل منهم . عندئذ اضطر زهير بن غوث إلى العودة إلى معسكره وأتخذ موقفاً دفاعياً وذلك باتخاذه خندقاً حول قاعدته .(١)

واشتد القتال بين الطرفين وأصبح المسلمون محاصرين من قبل الروم. عندئذ أدرك المسلمون تحرج موقفهم ففكروا في مفاجأة الروم صباحاً من غير ان يشعروا بهم، وهو ما يعرفه في المصطلح العسكرى العربي بـ (البيات). وعرف الروم بهذا الأمر. فقاموا بإخلاء خيامهم، وترصدوا للمسلمين بالقرب منها. فعندما أقبل المسلمون لم

---

(١) ابن الاثير: المرجع السابق ، جـ٥ ، ص ١٨٧ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختارالعبادى : المرجع السابق ، ص ١١٠ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٨٨ ٠

يجدوا أحداً ، ولكن ماهى إلا لحظات حتى أنقض الروم على الجند الاسلامي من كل ناحية فأكثروا القتل فيهم وأنهزم الباقون فدخلوا ميناو ودام الحصار عليهم حتى أكلوا الدواب والكلاب .

وعند ما علم مسلمو جرجنت بما آل اليه حال اخوانهم في ميناو ، خربوا مدينة جرجنت قبل أن يتركوها حتى لا يسكنها الروم ، وأتجهوا الى مدينة مازر. (١) وربما قاموا بعملهم هذا لخوفهم البقاء وحدهم وهم قله فى جرجنت ، ففضلوا الانضمام لاخوانهم في مازر حتى يكونوا اكثر عددا او أقدر على مقاومة الروم

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٨٧ - ١٨٨
السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ص ١١١ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٢٧ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق حـ ٢/ص ٣٨٩

اذا كان في نيتهم الهجوم عليهم . (١) ومن مازر حاولوا الإتصال بمسلمى ميناو لنصرتهم لكن هذا الأمر تعذر عليهم . (١)

وهكذا أصبح تجمع المسلمين ينحصر في نقطتين :

١) في ميناو المحاصرة ، قرب الشاطىء الشرقى فيما بين سرقوسة ولنتيبى .

٢) وفي مازر قرب الركن الجنوبي الغربي .

نجدة الأندلسيين :-

وقد ظل مسلمو ميناو محاصرين صابرين حتى أشرفوا على الهلاك . وفي هذا الوقت الحرج الذى أشرفت فيه هذه الجماعة الاسلامية على الهلاك جاء الفرج الذى انتظروه طويلا . فقد وصل الى مياه صقلية في سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م أسطول اندلس يتكون من قطع كثيرة العدد ، تحمل اعداداً كبيرة من غزاة البحر

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢، ص ٢٢٧

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ١٨٨ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ~~حـ ٢~~ ، ص ٣٨٩ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢، ص ٢٢٧ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١١ .

الأندلسيين قدموا بقصد الجهاد البحرى . (١) وفي نفس الوقت وصلت ايضا إلى شواطىء صقلية الإمدادات الأفريقية ، فبلغ عدد السفن الأندلسية والأفريقية ثلاثمائة مركب . (٢) لكن ابن عذارى يذكر ان السفن التى قدمت الى صقلية كانت أندلسية فقط ، فيقول :" (في سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م) وصل من الأندلس الى صقلية نحو ثلاثمائه مركب فيها أصبغ بن وكيل الهوارى المعروف بفرغلوش" . (٣)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص١٨٨ (يذكر ابن الاثير ان وصول الاسطول الاندلسى الى مياه صقلية كان سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م). بينما يرى سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٢٧ ، هامش ١٤٤ .(ان ذلك كان في سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م استنادا على ان وفاة محمد بن ابى الجوارى والى صقلية كانت في مطلع سنة ٢١٤هـ) هذا ويدعم السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى المرجع السابق ، ص١١١ - ومحمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية شرقية واندلسية ص ١٥٦ ، ما ذكره ابن الاثير سابقا .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص١٨٨ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٣٨٩ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٠٤

كما يروى السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى قول النويرى من ان السفن القادمة كان مصدرها الأندلس وأن قسما من هذه السفن الأندلسية التى جاءت للغزو كان يقودها اصبغ بن وكيل الهوارى ، وأن القسم الآخر كان يقوده سليمان بن عافيه الطرطوشي . (١) ويتفق معهما في هذا الرأى سعد زغلول عبد الحميد (٢)

كذلك يذكر السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى أن الحميرى لا يشير الى وصول سفن من إفريقية ، ولكنه يذكر أنه وصل من الأندلس ، مراكب كثيرة ، وان أمير الاندلس في ذلك الوقت هو عبد الرحمن ابن الحكم ، وكانوا قد خرجوا من طرطوشة (٣) يريدون بلاد الروم ، ولكن الريح غيرت طريقهم وألقت بهم الى صقلية ، فنزلوا بجزيرة طرابنش من صقلية . (٢)

وهكذا نرى أن اكثر المصادر تنص على ان السفن التى جاءت الى شواطىء الأراضى الصقلية كانت أندلسية ، وأن المصادفة

---

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٣) طرطوشه : مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلغسية وقرطبة قريبة من البحر متقنه العمارة مبنية على نهر ابره ولها ولا يةواسعة وبلاد كثيرة تعد في جملتها تحلها التجار وتسافر منها الى سائر الأمصار . (ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ٣٠) .

(٤) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ص ١١٢ .

لعبت دورها فجاءت سفن افريقية اخرى الى صقلية في نفس الوقت الذى وصلت فيه السفن الاندلسية القادمة من طرطوشة .

وماكادت أنباء وصول الاندلسيين تصل الى مسامع مسلمى ميناو المحاصرين ، حتى اسرعوا في ارسال الرسل يطلبون منهم سرعة نجدتهم ونصرتهم ، ولكن يبدوا ان هذه الرسل ارسلت من قبل مسلمى مازر يطلبون من المجاهدين الاندلسيين إغاثة اخوانهم الذين كانوا يكابدون ويعانون من متاعب الحصار وكذلك من قلة المؤنة في ميناو ، كما عرضوا عليهم مايلزمهم من الخيل والدواب . (١)

ولم يتردد المجاهدون الأندلسيون الذين كرسوا حياتهم للجهاد البحرى في الاستجابة لهذا النداء ، ولم يشترطوا لذلك الا أن تكون القيادة لرئيسهم فرغلوشى ، وهو أمر لم يكن امام مسلمى ميناو ومازر وقائدهم زهير بن غوث الا القبول به (٢) فماكان من فرغلوش ورجاله الا ان قاموا بالهجوم على الجزيرة من الموضع الذى نزلوا فيه واستولوا في طريقهم لمنياو على ماكان

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٠٤

(٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العُبادى : المرجع السابق ، ص ١١٢ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

يقابلهم من قلاع وحصون حتى وصلوا الى ميناو[١] ، واشتبكوا مع تورط ا لقائد البيزنطى في جمادى الاخر سنة ٢١٥ هـ/٨٣٠م، فانهـزم هـزيمة نكراء تراجع بعدها الى قصريانه . وهكذا فك الحصـار عن المسلمين في ميناو ، ونتيجة لما قاسوه من أهوال وهلاك فـي ميناو قاموا بتخريب واحراق المدينة . ثم زحف مسلمو الأندلـس الى مدينة بلرم[٢] (Palermo) التى تقع علـى الساحل الشمالى بجزيرة صقلية[٣] ، وقاموا بحصارها والتضييـق عليها لمدة عام الى ان طلب قائدها البيزنطى الأمان لنفسـه واهله وماله ، ودخلها المسلمون في رجب ٢١٦هـ/أغسطس ٨٣١م.[٤]

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ٥ ، ص ١٨٨ - ابن عذارى ، المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١٠٤ - السيد عبد العزيـز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق، ص ١١٢

(٢) انظر قبل ، الفصل الثاني ، ص١٦٧هامش٢

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ، حـ٣ ، ص٥٣ . هامش (١)

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ص١٨٨ ، سعـد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ٢٣٢ -= السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص٣٨٩ حامد زيان غانم ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

وسار المسلمون بعد ذلك الى غلداليه أوغليانه (Gagliana) وشددوا الحصار عليها ، وتغلبوا عليها . (١)

وفي هذه المدينة تفشى في الجيش الاسلامي وباء أدى الى وفاة عدد كبير منن المسلمين ، من بينهم قائد المجاهدين الاندلسيين فرغلوش وجماعة من قواده . (٢)

وانتهز البيزنطيون فرصة ضعف المسلمين وكثرة المرضى والضعفاء في صفوفهم وارغموهم على الرحيل عن المدينة . ولم يكفهم هذا بل تعقبوهم فقتلوا منهم اعداداً كبيرة وأُرغموا البقية الباقية منهم على الإشتباك معهم في موقعة دارت فيها الدائرة على البيزنطيين ، وقتل فيها تودط القائد البيزنطى ، وغنم المسلمون منهم غنائم كبيرة . (٣)

ولكن بعض المراجع تذكر أن تودط قتل قبل ذلك بعد أن انهزم أمام الأندلسيين بقيادة فرغلوش وهو يحاول الفرار الى قصريانه . (٤)

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٨٩
سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ٢٣٢ -
السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٣

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١٠٤

(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٣ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : حـ ٢ ، ص ٣٨٩

(٤) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٣ ، هامش ١

عثمان بن قرهب :- (تولى في نهاية ٢١٦هـ/ ٨٣١م)

وبينما المجاهدون المسلمون في هذا الوضع الحرج حدث نزاع وخلاف بين القائد الأندلسى (ربما يكون سليمان بن عافيه الطرطوشي الذى يقود الفريق الآخر من المجاهدين الأندلسيين) والقائد الأغلبي (ولابد انه عثمان بن قرهب) . وكان سبب الخلاف القيادة العامة للجيوش الإسلامية التى كان يطمح فيها كل منهما . فقد انقسم المسلمون الى طائفتين ، وهدد الاندلسيون بالرحيل عن صقلية ، وبالفعل بدأوا بإصلاح مراكبهم استعداداً للرحيل . (١)

واخيرا قبلوا الصلح ، على ان يتولى القيادة عثمان ابن قرهب . وبعد ذلك توجه المسلمون الى بلرم . وأحكموا الحصار عليها حتى استسلم صاحبها على الأمان للمرة الثانية ، ودخلها المسلمون في رجب سنة ٢١٦ هـ/ ٨٣١م . (٢)

وأما فيما يختص بمصير الاندلسيين في صقلية فابن الاثير يذكر أنهم تصالحوا مع الافريقيين (٣) . بينما يؤكد ابن عذارى أنهم قفلوا راجعين الى الاندلس في سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م وذلك بعد وفاة قوادهم في الوباء وعلى رأسهم قائدهم فرغلوش ، وأنهم في أثناء رحلة

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٠٤
(٢) السيد عبدالعزيزسالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص١١٣ - ١١٤ .
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص١٨٨

العودة الى قواعدهم لقوا متاعب كثيرة اذ " ركب العدو اثرهم ، فقتل منهم خلق كثير " ثم بعد ذلك قاموا باصلاح مراكبهم وعادوا الى الأندلس . (١)

ولاية ابي فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب (٢١٦-٢٢٢هـ / ٨٣١-٨٣٧م)

هذا ويسود الاعتقاد بأن فريقا من الاندلسيين آثر الرحيل من صقلية بعد افتتاح بلرم سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م وأن الفريق الاخر اثر البقاء ورضى بولاية أبي فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب التميمى الذى ولى صقليه من قبل الأمير الأغلبى زيادة الله ، لأن عثمان بن قرهب لم يحظ بموافقة زيادة الله فقرر في آواخر سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م . أن يولى قريبة أبا فهر محمد بن عبد الله التميمى على صقلية ، فوصلها في سنة ٢١٧هـ / ٨٣٢م (٢)

هذا ويجدر الإشارة الى الدور الخطير الذى لعبه الأندلسيون لإخوانهم الأفريقيين ، فلولاهم لهلك المسلمون ولما كانت هناك فتوح في صقلية ، ولا نجح المسلمون في تثبيت أقدامهم في الجزيرة ، ولا اتسعت رقعة أراضيهم واستولوا على كل الاقليم الغربي منها . (٣)

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٠٤

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق جـ ١ ، ص ١٠٤ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤

(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٤

ويبدو أن ماتعرضت له مدينة تونس من اضطراب في سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م أدى الى عودةوالى صقلية أبى فهر الى افريقية وبقائه بها الى سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م حيث استطاع القضاء على ثورة هذه المدينة . وفي اثناء وجود أبى فهر في افريقية قام المسلمون في صقلية بغزو منطقة قصريانه مرتين في الربيع والصيف من سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م، واستطاعوا هزيمة مابها من روم في المرتين ثم عادوا الى بلرم بالمغانم والأسلاب . (١)

وبعد أن هدأ الوضع في مدينة تونس رحل أبو فهر محمد بن عبدالله بن الاغلب التميمى الى ولايته في صقلية في رمضان سنة ٢٢٠هـ/سبتمبر ٨٣٥م ، لكنه واجهته متاعب شديدة في البحر الذى ثار بمراكبه التى كانتتحمل الامدادات والرجال ، فأدى هذا الى اعطاب بعضها وتحطيم البعض الآخر ، هذا بجانب تعرض الروم له في البحر ممانتج عنه إصابة حراقة من مراكبه بالرغم من بلاء قائد الأسطول محمد ابن السندى الذى خرج في عدد من الحراقات ، وأخذ يطارد سفن الروم حتى حال الليل بين الفريقين . (٢)

ويذكر ارشيبالدلويس ان بلرم أصبحت من أهم القواعد الحربية ومن أعظم مراكز القوة الاسلامية بصقلية ، وأنه صار لها نوع من الحكمالذاتي رغم تبعيتها رسمياً لامراء الاغالبة فقد اصبحت بلرم ثغراً اسلامياً كبيراً تنطلق منها الاساطيل الاسلامية للاغارة على

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٨٨
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١٠٥ - ١٠٦

الشواطىء الايطالية وعلى مابقى من صقلية في يد الروم، وازدادت هذه القاعدة قوة ومكانة خاصةً بعد أن إستولى اسطول الأغالبة على جزيرة قوصرة عام ٢٢٤هـ/٨٣٥م ، وذلك لانه بانضمام قوصرة الى ممتلكات الأغالبة زال الخطر الذى كان يهدد المواصلات بين كل من صقلية وافريقيه عندما كانت قوصرة في يد بيزنطه ، كما ترتب على ذلك ان صار ارسال الإمدادات الى صقلية اكثر سهولة عن ذى قبل . (١)

ومماساعد ايضا على ازدياد قوة بالرم تحالف واليها مع حكام المدن الايطاليه الموجودة على ساحل كمبانيا وعلى الأخص مدينة نابلى . وربما كان السبب وراء هذا التحالف هو قيام السفن الاسلامية بمدينة بلرم بتقديم المساعدات لأهل نابلى في صراعهم ضد عدوهم على البر ، أمير بينفانت اللمباردى . وقد يكون السبب ايضا ماكان هناك من صلات تجارية قديمة بين هاتين المدينتين وبين المسلمين في شمال افريقية بالرغم من اعتراضات بيزنطه على تلك العلاقات في ذلك الوقت . ومهما تكن اسباب هذا التحالف بين المسلمين في بلرم وأهالى نابلي فقد كان ذا قيمة وفائدة عظمى بالنسبة للمسلمين لأنه ساعد على إضعاف قوةالاسطول البيزنطى في مياه البحر التيرانى في اللحظة الحاسمة التى كانت بيزنطة بحاجة الى نابلى بجانبها . (٢)

ويفسر هذا عجز القوات البحرية البيزنطية عن قطع الطريق على أسطول افريقى آخر كان يحمل حاكما جديداً لمدينة بلرم

----

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص٢١٣
(٢) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه

عام ٢٢١هـ/٨٣٥م[١] . ومن المعتقد ان الاسطول الذى كان يحمل الوالى أبا فهر في عودته الى بلرم في نفس هذه السنة .

كذلك يفسر هذا التحالف نجاح الغارة التي قامت بها الوحدات البحرية الاسلامية على الجزر الايوليه - في منطقة قلورية القريبة من مسينا - فى تلك السنة ذاتها . ومما يستحق ان يسجل ان أسطول المسلمين كان يشتمل اثناء الاشتباك الاول مع اسطول البيزنطيين على حراقات - وهى سفن تقذف بلهب النفط - الأمر الذى مكن المسلمين من مقاومة النار الاغريقية التى يستخدمها أعداؤهم البيزنطيون . وقد كان هذا أول ذكر لإستخدام المسلمين لمثل هذا النوع من السفن ولعله كان سلاحهم السرى الجديد [٢] .

ويؤكد ذلك درويش النخيلي في مادة حراقات اذ يذكر انه لا يوجد اى نص تاريخى يؤكد ذكر سفن الحراقات قبل استخدامها ضمن وحدات الاسطول الأغلبى في البحر الأبيض المتوسط سواء كان في الحوض الشرقي او الحوض الغربي منه . [٣]

ولكن السؤال هنا هو من أين وصل سر النار الاغريقيه للمسلمين ؟ ربما يكون للقائد البيزنطى فيمي علاقة بهذا الموضوع وأن يكون هو الذى نقل سرها للأغالبة قبل ذلك بثمانى سنوات . [٤]

---

(١) ارشيبالد لويس ، المرجع السابق ، ص ٢١٣
(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٣ - ٢١٤
(٣) درويش النخيلي : المرجع السابق ص ٣٢ الى ٣٧
(٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ هامش رقم ١٣ .

وبعد وصول أبى فهر محمد بن عبد الله التميمى الى بلرم لم يبق بها طويلاً فسرعان ماخرج برجاله في السنة التى وصل فيها (٢٢١هـ/٨٣٥م) متجها نحو قصريانه في وسط جزيرة صقلية ، واستطاع هزيمة الروم عندما خرجوا له ، ثم عاد الى بلرم محملا بالغنائم والاسرى من الروم ومن بينهم أمرأة بطريقهم وابنه .(١)

كذلك سير أبو فهر حملة الى طبرمين وهى على الشمال من الشاطىء الشرقي للجزيرة ، جنوب مسينا ، وجعل محمد بن سالم قائدا لها ، واستطاعت الحملة ان تحقق الغرض من خروجها فهزمت الروم وعادت بالغنائم . ولكن جماعة من الجند تمردوا على ابن سالم وقتلوه ولجأوا الى الروم ، مما يدعوا الى القول بأن هذه الجريمة تمت بتحريض من الروم .(٢)

فما كان من الأمير الأغلبى زيادة الله الا ان بعث خلفاً لمحمد بن سالم احد قواده المشاهير ، وهو : الفضل بن يعقوب ، الذى قاد سرية كبيرة أحرزت عدة إنتصارات على الروم في سرقوسة وعادت محملة بالغنائم والأسلاب .(٣)

ثم سارت سرية كبيرة - لم تذكر المصادر ولا المراجع وجهتها وغنمت وعادت ، وفي عودتها عرض لها البطريق قائد الروم بصقلية في جمع كبير من رجاله فأضطر رجال السرية الإسلامية الى التحصن

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ١٨٨ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٣٤-٢٣٥

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص١٨٨ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ص ٢٣٥

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص١٨٨ ، ابن خلدون المصدر السابق ، حـ٤ ص١٩٩

من الروم في أرض وعرة وشجر كثيف فلم يتمكن الروم من قتالهم ، ووقفوا في مكانهم إلى وقت العصر ينتظرون خروجهم ، وعند ما يئسوا من خروجهم تركوا المكان وتفرق عن البطريق كثير من جنده ، فكانت فرصة انتهزها المسلمون وحملوا على البطريق وجنده حملة قوية حتى هزموهم ونجحوا في الوصول إلى بطريقهم وطعنوه وجرحوه عدة جراحات وسقط عن فرسه ، ولكن المسلمين لم يتمكنوا من قتله فقد حضر بعض أصحابه وانقذوه جريحاً وحملوه معهم . وقد غنم المسلمون في هذه المعركة كل ماكان مع الروم من متاع وسلاح ودواب ، فكانت من المعارك العظيمة التى خاضها المسلمون والتى أظهر فيها كل من الجانبين ماكان يتميز به من مواهب قتاليه خاصة. (١)

ولاية ابي الأغلب ابراهيم بن عبد الله (٢٢٢-٢٣٦هـ/٨٣٧-٨٥١م)

ولكن مالبث أن قام زيادة الله بتنحيه ابى فهر محمد بن عبد الله التميمي عن صقلية وولى مكانه أخاً له هو أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله . وربما كان ذلك بسبب عدم رضائه عن سياسة ابى فهر في صقلية . (٢) . او بسبب حاجته لمساعدته في قمع احدى الثورات في افريقية . (٣)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص١٨٨ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٥ - ٢٣٦ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٣٩٠
(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

ووصل أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله إلى صقلية وقد زوده زيادة الله بأسطول حربي كبير وكان ذلك في منتصف رمضان سنة ٢٢٢هـ/ ٢١ أغسطس سنة ٨٣٧م .

وفي الطريق إلى صقلية التقى بأسطول رومي وكان النصر حليفه وغنم المسلمون كثيراً من مراكب الروم . فأمر ابو الأغلب بضرب أعناق من كان بها من الروم (١) . ثم سير أبا الأغلب اسطولاً آخر إلى جزيرة قوصرة ، فاستولى على حراقة فيها رجال من الروم وبينهم رجل تنصر من أهل افريقيه فأتي بهم جميعاً وضرب رقابهم . (٢)

ووجه أبو الأغلب سرية أخرى إلى جبل النار أي مسينا (Messina) ومافيها من حصون بقيادة الفضل بن يعقوب ، فقاموا بإحراق الزرع والكيد للروم وقتل عدد كبير منهم ، وعادوا سالمين محملين بالمغانم والأسلاب . كما قام بغزوات اخرى غيرها كانت كلها مكللة بالنجاح والنصر والغُنم الوفير حتى

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ١٨٨ - ابن خلدون المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ١٩٩ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٣٩٠ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٣٦

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص ١٨٨ - ابن خلدون المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ١٩٩ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق حـ ٢ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

حتى لقد بلغت المغانم في بعض تلك الغزوات من الكثرة إلى حد بيع الرقيق بأبخس الأثمان . (١)

ثم جهز الفضل بن يعقوب اسطولاً وساروا نحو الجزائر، وربما يقصد ابن الأثير وابن خلدون بالجزائر جزائر الايوليان (Eolian) في منطقة قلورية القريبة من مسينا ، فغنموا غنائم عظيمة (٢) ، واستولوا على عدد من الحصون من بينها حصن تندارو - الواقع على الساحل الشمالي من صقلية (٣) كما فتحوا مدنا ومعاقل أخرى وعادوا سالمين

وكما سير أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله سرية إلى قطانيه ، وقد ذكر ابن الأثير الإسم بأنه قسطليانه ، أما إبن خلدون فذكره بأنه فطلبانه ، وقد غنم المسلمون غنائم كثيرة وسبى كثير ولكن اثناء عودتهم محملين بالمغانم لقيهم الروم ونحجوا في إلحاق الهزيمة بهم . (٤)

ثم توجه المسلمون في سرية أخرى إلى قصريانه بقيادة القائد عبد السلام بن عبد الوهاب - كما ذكر ابن عذارى (٥) - وعند ما خرج الروم إليها ودارت المعركة كانت الهزيمة من نصيب المسلمين كما وقع قائدهم عبد السلام بن عبدالوهاب في الأسر. (٦)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ١٨٨ - ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٠٦ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص٢٣٧ .

(٢) ابن الاثير المصدر السابق ، حـ٥ ، ص١٨٨ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص ٢٠٠

(٣) السيد عبد العزيز سالم و احمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص١٨٨ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص٢٠٠

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٠٦ .

(٦) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص١٨٨ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص٢٠٠

وأثناء وجود عبد السلام بن عبد الوهاب في الأسر كانت وقعة اخرى بين الروم والمسلمين حقق فيها المسلمون نجاحاً ونصراً عظيماً على الروم كما غنموا غنائم كثيرة منها احدى عشرة قطعة من سفن الروم منها : ٩ مراكب كبار برجالها ، بجانب اثنتين من نوع الشلندى (المخصص لحمل الفرسان والعتاد الثقيل) . (١)

ولما جاء شتاء عام ٢٢٢هـ/٨٣٧م وكان الوقت ليلاً - رأى احد الجنود المسلمين أن أهل قصريان في غفلة من أمرهم فاقترب منه واستطاع ان يتبين ثغرة في أسوار ربض المدينة . ورجع واخبر جند المسلمين ، فجاءوا معه ودخلوا المدينة من ذلك الموضع على حين غرة من أهلها ، وكبروا وملكوا الربض ، ولكن الروم تحصنوا في حصنهم بالمدينة وانتهى الامر بالصلح على أن يدفع أهل قصريانه الجزية ، وعاد المسلمين محلين بالغنائم والأسلاب إلى بلرم . (٢)

وفي نفس السنة اى سنة ٢٢٢هـ/٨٣٧ اغار الفضل بن يعقوب على حصن مدنار ، واستولى عليه وعلى معاقل أخرى كثيرة . (٣) كذلك حاصر المسلمون مدينة جلفوذى - على الشاطىء الشمالى ، على بعد ٥٠ ميلا شرقى بلرم - وضيقوا على

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ١٨٨ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٠

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق حـ ٥ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٣٩١ . السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

أهلها وطال حصارهم لها ، لكن في هذه الاثناء وصلت قوات رومية كبيرة في البحر إلى المنطقة وهنا اضطر المسلمون لرفع الحصار عن المدينة ، واشتبكوا مع الروم في عدة معارك .

وفي منتصف سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م وصل الخبر من إفريقية بوفاة الأمير زيادة الله الأول ، فأدى هذا النبأ إلى وهن المسلمين بعض الوقت ، ولكنهم مالبثوا ان تماسكوا واستعادوا حماسهم في قتال الروم . (١)

وفي عهد الأمير الجديد أبي عقال الأغلب بن إبراهيم ابن الأغلب الذى لم يتجاوز ثلاث سنوات تابع المسلمون استكمال الفتح في الجزيرة تحت قيادة واليها ابى الأغلب إبراهيم بن عبد الله وقد اهتم أبو عقال في بداية ولايته لإفريقيه بأمر صقلية والجهاد بها فبعث سرية سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م الى صقلية فغنموا وعادوا سالمين . (٢) وهذا يدل على أن قوات الأمير الأغلبي الرئيسية بإفريقية كانت تشارك من حين لآخر في الاعمال الحربية في صقلية بأوامر مباشرة من الأمير.

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص١٨٩ - ابن خلدون المصدر السابق ، حـ٤ ، ص٢٠٠ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٣٩١ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص٢٥٣ - ابن خلدون المصدر السابق ، حـ٤ ، ص٢٠٠ - حسن حسنى عبد الوهاب خلاصة تاريخ تونس، ص ٨٢

أما في سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م فقد استطاع المسلمون ان يفتتحوا عدداً كبيراً من حصون الجزيرة ، منها حصن جرجه (Geragi) وحصن البلوط (Caltabellotta) [(١)] وهو فيما بين جرجنت ومازر ، وحصن ابلاطنو (Platani) ، وحصن قارلون (Corleone) ، وقيل قرلون [(٢)] ، وحصن مرو ، وقيل مريناو (Marineo) . [(٣)]

ثم ننتقل الى سنة ٢٢٦هـ/٨٤١م التى اتجه فيها الجيش الإسلامي إلى السيطرة على منطقة وسط جزيرة صقلية وذلك عند ما سارت سرية للمسلمين إلى منطقة قصريانه فغنمت وأحرقت وسبت ولم يخرج لهم أحد لإعتراضهم ، فأتجهوا إلى حصن الغيران الذى سمى بذلك لانه يشتمل على ٤٠ غاراً ، فغنموها جميعا . [(٤)]

---

(١) حصن البلوط : قلعه بصقليه ، حولها أنهار وأشجار وأثمار وأراض كريمة تنبت كل شيء (ياقوت : المصدر السابق ، م١ ، ص٤٩٢)

(٢) حصن قرلون : مدينة بسواحل جزيرة صقلية (ياقوت : المصدر السابق م ٤ ، ص٣٢٩)

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص٢٥٣ - ابن خلدون المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٠ (لكنه يكتفى بذكر انه استأمن للمسلمين عده حصون من صقلية) - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٣٩٣ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٤٠

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص ٢٥٣ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٠ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ص ٢٤١ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٣٩٤ .

وفي هذه السنة توفي ابو عقال الأغلب بن إبراهيم في ربيع الآخر سنة ٢٢٦هـ وتولى بعده الأمير أبو العباس محمد بن الأغلب بلاد إفريقيه . وفي عهده سنة ٢٢٨هـ/٨٤٣م سار الفضل بن جعفر الهمذاني بالأسطول الإسلامي ، ونزل في مرسى مسينا ، وحاصرها ولكنها امتنعت عليه واثناء إنشغال أهلها بالقتال مع جعفر استدارت طائفة من المسلمين ومعهم حلفاؤهم من أهل نابلي خلف جبل النار وهو جبل مطل على المدينة وصعدوا إليه ثم نزلوا منه إليها وصاروا خلفهم ، فعندما علم أهل المدينة بأن المسلمين خلفهم انهزموا وفتح المسلمون المدينة . كما فتحوا كذلك (مسكان) وبفضل هذا الفتح الإسلامي لمسينا سيطر المسلمون على المضيق ، وأصبح موقفهم الإستراتيجى ممتازاً بالنسبة لموقف الأسطول البيزنطى وسط البحر الأبيض المتوسط. (١)

وفي سنة ٢٢٩هـ/٤٣-٨٤٤م توجه أبو الأغلب العباسي بن الفضل في سرية إسلامية الى مدينة بثيرة (Butera) فكانت معركة كبيرة بينه وبين أهلها فانهزم الروم ، وقتل منهم مايزيد على عشرة الآف رجل ، بينما لم يستشهد من المسلمين سوى ثلاثة نفر ، ولم يكن بصقلية قبلها مثلها . (٢)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٦٨ - ابن خلدون : المصدر السابق : جـ ٤ ، ص ٢٠١ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤٣ - محمد كرد على : المرجع السابق جـ١ ، ص ٢٧٤ - صابر دياب : المرجع السابق ، ص ٨٣ - المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ١٠٠

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق جـ٥ ، ص ٢٦٨ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق : جـ٢ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

ثم جاءت بعد ذلك فترة هدوء في فتوحات المسلمين في صقلية استمرت سنتين (٢٣٠ - ٢٣١هـ/ ٨٤٤- ٨٤٥م) ويرجع سعد زغلول عبد الحميد سبب هذا الهدوء إلى غموض الأحوال في القيروان ، إثر الانقلاب الذى دبره أحمد بن الأغلب ضد أخيه الأمير محمد . فالمسلمون لم يواصلوا نشاطهم البحرى وفتوحاتهم في صقليه إلا في سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٦ - ٨٤٧م ، بعد ان استعاد الأميرسلطاته من أخيه أحمد وفي ذلك الوقت كانت الأمبراطورة ثيودورا قد عقدت عهد سلم بينها وبين العباسيين في المشرق . ولا نظن ان هذا العهد كان له الأثر السلبى على نشاط الأغالبة او البيزنطيين ضد بعضهم البعض. (١)

وفي سنة ٢٣٢هـ/ ٤٦-٨٤٧م توجه الفضل بن جعفر على رأس قواته إلى مدينه لنتينى على الساحل الشرقي لصقليه، وشمال سرقوسه ، وفرض عليها الحصار ، ولكنه أُخبر أن أهل لنتينى راسلوا بطريق صقلية الرومي والذى يقيم في سرقوسه ، يطلبون منه النجده، فوافق على نصرتهم على ان يأتي المسلمين على حين غرة . وتم الاتفاق على ان تكون علامة وصولهم إليهم هى : ايقاد نار على الجبل الفلاني لمدة ثلاث ليال وفي اليوم الرابع يصل إليهم. ووصل نبأ هذه الخطة للفضل عن طريق جواسيسه ، فأرسل من أوقد النار على الجبل المذكور لكى يكيد لهم ويرد كيدهم لنحورهم .

فعندما رأى أهل لنتينى النار استعدوا ، فأعد لهم الفضل

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢،ص ٢٤٤

الكمائن وامر من يحاصرون المدينة ان ينهزموا الى جهة الكمين ليكونوا جميعاً على العدو فإذا جاوزا الكمين انقضوا عليهم . فلما كان اليوم الرابع خرج الأهالى لمقاتلة المسلمين وهم ينتظرون وصول البطريق واخد المسلمون في الإنسحاب والروم خلفهم حتى جاوزوا الكمين ولم يبق في المدنية أحد الإ خرج . وهنا عاد عليهم المسلمون وخرج من خلفهم الكمين وأنقضوا عليهم بسيوفهم فلم ينج منهم الإ القليل وهنا لم يجد الأهالى أمامهم سوى طلب الأمان لأنفسهم وأموالهم في مقابل تسليم المدينة ، فكان لهم ذلك . (١)

وفي سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧-٨٤٨م ، وصلت إلى مرسى الطين عشر شلنديات رومية على بعد عشرة أميال غرب بلرم ، ولكنها عند ما خرجت لتغير على المسلمين ضلت الطريق ، وغرق منها سبع شلنديات في طريق عودتها إلى بلادها . (٢)

وفي السنة التالية ، غزا المسلمون مدينة ارغوس(رغوس) وهى على بعد ١٣ ميلا من مدينة شكله في الركن الجنوبى الشرقي من الجزيرة وعلى بعد ٥٠ ميلاً من بثيرة ، وأرغموا أهلها على تسليم المدينة

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص ٢٦٨ (وهو يذكر اسم مسينى بدل لنتينى)- ابن خلدون : المصدر السابق حـ٤ ص ٢٠١ (وهو يذكر اسم لنتينى من غير نقط)- سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، حـ ٢ ص ٢٤٤ ، احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٣ - حامد زيان غانم - المرجع السابق ، ص ٢٦

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٦٨

في مقابل إعطائهم الأمان والصلح معهم ، ثم هدمها المسلمون بعد أن اخذوا منها ما أمكن حمله (١) وفي الغالب ان الذى كان يدعو المسلمين لتخريب المدن أو هدمها ، ان فتوحاتهم في جزيرة صقلية كانت اكبر ممايحتمله توزيع الجند الإسلامى عليها .(٢)

أما سنة ٢٣٥هـ/٤٩- ٨٥٠م فقد غزا المسلمون فيها قصريانه ، فغنموا منهاالمغانم الكثيرة والأسلاب وأحرقوا وقتلوا في أهلها ثم عادوا . (٣)

وفي ١٠ من شهر رجب سنة ٢٣٦هـ/١٠يناير ٨٥٠م توفي والى صقليه أبو الأغلب إبراهيم ، بعد فترة من الزمن استمرت اكثر من خمسةعشر عاماً في حكم صقليه منذ سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م قضاها في انتصارات لامعة وجهاد مستمر . (٤)

ورغم ماقد يبدو من خلط في روايةابن الأثير بين أبى الأغلب إبراهيم بن عبدالله وبين اخيهابى فهر محمد بن عبدالله الذى كانت ولايته لصقلية قبل ولاية اخيه ، فان روايه ابن عذارى تنتهى ولاية ابى فهر محمد سنة ٢٢٢هـ/٨٣٧م . بينما تنتهى ولاية

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ،ص ٢٦٨ - ابن خلدون : المصدر السابق حـ٤ ، ص ٢٠٢

(٢) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ٢٤٥

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٦٨

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١١١ - السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

أبى الأغلب إبراهيم في سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م .

وهذه الرواية هي الرواية المرجحه وعلى أساسها نأخذ رواية ابن الاثير التى تذكر وفاة أبى فهر محمد أمير صقلية في سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م على ان المقصود منها هو وفاة أبي الأغلب إبراهيم في تلك السنة .(١)

وقد ذكرت ايضاً رواية ابن الاثير ان هذا الأمير كان لا يغزو بنفسه ، بل كان يقيم في بلرم ، ومنها يسير السرايا مع نواب له ، فتفتح البلاد وتأتي بالغنائم .(٢) ويبدو ذلك واضحاً في الغزوات السابقة التى قام بها المسلمون اثناء فترة ولايته لصقلية .

ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب (٢٣٧-٢٤٧هـ/ ٨٥١-٨٦١م) .

وبعد وفاة ابن الأغلب إبراهيم بن عبد الله والى صقلية ، اجتمع المسلمون ليختاروا من تكون له القيادة بعده ، واتفقوا على تولية العباس بن الفضل بن يعقوب القيادة وكان ذلك في رجب سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م . . وكتبوا باتفاقهم هذا إلي أمير افريقية محمد بن الأغلب بن إبراهيم ، الذى أقرهم على مافعلوه ، وكتب للعباس بن الفضل العهد بالجزيرة . ولم ينتظر العباس حتى تصله موافقة أمير الأغالبة ، فبدأ يمارس جهادة وسلطاته ، وتعتبر

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٤٦
(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٦٨ - ابن خلدون المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٢

ولا يته لصقلية فاتحة عهد جديد في تاريخ الفتح الإسلامي في صقلية ، كذلك تعتبر فترة ولايته من أعظم الفترات التى وضحت فيها السيطرة الإسلامية على البحر الابيض المتوسط . فقد كان يرسل السرايا تغزو البحر وتغير على السفن البيزنطية وتعود اليه بالمغانم والاسلاب (١) فما كاد يصل اليه كتاب الولاية (٢) ، حتى خرج العباس بنفسه في سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م على رأس قواته وجعل على مقدمتها عمه رباح بن يعقوب الذى أرسله على رأس سرية إلى قلعه أبى ثور ، وتوجه هو والجند الباقى نحو قصريانه (٣) التى كان قد اتخذها الروم عاصمة لهم بدلاً من سرقوسة المعرضه للغارات البحرية وذلك بعد إستيلاء العرب على بلرم . (٤)

وعاد رباح بعد أن أنهى مهمته بالنصر محملاً بالغنائم والاسرى الذين تم قتلهم بعد أن لحق بالعباس، أما القوة

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص ٢٨٩ - ابن عذارى المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١١١ - ابن خلدون : المصدر السابق : حـ ٤ ، ص ٢٠٢ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٤٦ ، احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٤

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٢

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٨٩

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق حـ ٢ ، ص ٢٤٧

المتوجهة إلى قصريانه فقد اخذت تفسد وتحرق وتخرب وتأسر ليخرج لها البطريق قائدها للقائهم ولكنه لم يفعل فعاد المسلمون إلى بلرم . (١)

وكان واضحا من سياسة العباس بن الفضل أنه يريد أن ينهي الوجود البيزنطي من الجزيرة ، وكان مصمماً على الإستيلاء على قصريانه ، ولكن المدينة كانت حصينة فآثر ان يلح عليها بالقتال فيؤدي ذلك إلى إرهاقها وضعفها ثم سقوطها . فقام العباس بالهجوم على منطقة قصريانه في السنة التالية ٢٣٨هـ/٨٥٢م في جيش كبير ، فغنم وخرب وقتل ، ثم أرسل برؤوس القتلى إلى بلرم (٢) . ثم توجه بعد ذلك إلى الساحل الشرقي ليوسع عملياته فبدأ بقطانيه في اتجاه الجنوب جهة سرقوسة ، ونوطس ثم أرغوس (رغوس) في الجنوب الشرقي من الجزيرة ، فانتصر عليها جميعاً وغنم وخرب وأحرق . (٣)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٨٩ - ابن خلدون المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١١١ (إلا ان روايته للغزوه ليس تفصيليا فهو يذكر فقط انه غنم غنائم عظيمه ، وسبى سبيا كثيرا واداخ بلادهم) .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق : حـ٥ ، ص ٢٨٩ - ابن عذارى المصدر السابق ، حـ١ ص ١١١ (وهو يكتفي بذكر الحملة والاشارة لاعمال القتلى وبعث الرؤوس إلى بلرم وغيرها من اعمال التخريب).

(٣) ابن عذارى المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١١١ - ابن الأثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص ٢٠٢ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، حـ٢ ، ص ٢٢١

وقام بحصار مدينة بثيره مدة خمسة أشهر ، ولم يفك حصارها إلا في سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م بعد أن صالحه أهلها على خمسة آلاف رأس من الماشية . (١)

واستمرت سياسة العباس هذه في سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م من حيث الإلحاح على مدن وحصون الروم بالغزو . فكانت السرايا تخرج للجهاد تحت قيادة العباس بن الفضل فتفسد وتخرب وتسبى وترجع بالغنائم العظيمة . (٢)

أما في سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م فيشير ابن عذارى إلى خروج العباس بن الفضل للغزو ، فكان يبث السرايا ويفسد المزروع وأنه أقام في جبل مانع مدة ثلاثة أشهر ، يضرب كل يوم حول قصريانه ، فيقتل ويصيب ، وتتوجه سراياه فتغنم في كل جهة ، وأغزى أخاه علي بن الفضل في البحر ، فأصاب وغنم وانصرف إلى بلرم بأعدادا كبيره من الماشية. (٣)

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق حـ ٥ ، ص ٢٨٩ - ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١١١ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٢ (وفي رواية ابن عذارى وابن خلدون يرد ان مدة الحصار كانت ستة اشهر وان عدد الماشية ستة آلاف رأس

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١١١ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٢

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١١١ ، ١١٢ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ٢٤٨ .

ثم كانت سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م وفيها غزا العباس بن الفضل الروم بالصائفه فغنم وسبى ، وكان ينتقل من حصن الى حصن ، فاستطاع فتح اكثرها ، وكان الصلح نصيب بعض منها . (١)

وفي سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م توفى الأمير الأغلب أبو العباس محمد بن الأغلب ، وولى ابنه أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٤٢هـ - ٢٤٩هـ/ ٨٥٦ - ٨٦٣م) . واستمرت في عهدة حركة الفتح الإسلامى لمدن صقلية وحصونها .

واستمر كذلك الحاح المسلمين وعلى رأسهم العباس بن الفضل على قصريانه ، فغزاها في سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م فخرج له اهلها فهزمهم وقتل منهم عدداً كبيراً . ثم قصد سرقوسه وطبرمين وغيرها من المدن فنهبها وخربها وأحرقها على طريق مسيرته . (٢)

ثم توجه العباس بن الفضل الى القصر الجديد وحاصره لمدة شهرين وضيق على مَنْ به من الروم ، حتى عرضوا عليه ان يدفعوا له خمسة عشر الف دينار مقابل رحيله عنهم . لكنه رفض ذلك .

وطالت مدة الحصار فسلموا له الحصن بشرط

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١٢ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٨٩ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٩٠

ان يطلق مائتى نفس ممن به ،فأخذ الحصن وباع كل من وجده فيه الإ مائتى النفس التى عينوها ، ثم هدم الحصن . (١) ويذكر سعد زغلول عبد الحميد تعليقاً على كلمتى (والله اعلم) التى ذكرها ابن الاثير في نهاية روايته بأنها تظهر لنا شك ابن الأثير في تلك الرواية. وأنه ربما كان المقصود بشرط اطلاق مائتي النفس هو الا يأخذ منهم فدية، بينما كان على الآخرين أن يفتدوا أنفسهم بالمال أو أن يسترقوا . (٢)

وكذلك ارغم العباس بن الفضل أهالى حصن شلفوده على مصالحته بشرط ان يخرجوا من الحصن لكى يهدمه ، فكان له ماأراد . (٣)

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٩٠ - ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ ١ ص ١١٢ (يذكر ان العباس وافق على مصالحتهم مقابل فدية قدرها ١٥ الف دينار) .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٤٩

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٩٠ - ابن عذارى المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١١٢

فتح قصريانـــــــــه :

وأخيرا جاء وقت فتح قصريانه بعد أن أصبحت الظروف مناسبة لفتحها بعد طول انتظار . ففي سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨ - ٨٥٩م وبعد انتهاء فصل الشتاء واصبح الجو اكثر دفئا توجه العباس بن الفضل بجيوشه من بلرم إلى قصريانه كعادته فخرب وفسد فيها . ثم سار قاصداً سرقوسه ليحاصرها براً بعد أن وجه أخاه علي بن الفضل بأسطول بحرى ليقوم بحصارها من جهة البحر . ولكن أُسطول علي ابن الفضل التقى بأسطول رومى يتكون من أربعين شلنديا ، وكان قائدهم يسمى الأُقريطش أى الكريتى ، فكانت بينهما معركة عنيفة انتهت بانتصار المسلمين وأسرهم لعشرة من شلنديات الروم برجالها ومن ثم عاد الجيش البرى وكذلك الأسطول إلى بلرم محملين بماغنموه من مغانم واسلاب وسبى . (١)

ثم جاء الشتاء ففكر العباس بن الفضل ان يغزو في فصل الشتاء على غير المعتاد ليرى مايصيبه من نجاح ، فسير شاتيه إلى قصريانه قام رجالها بنهب وتخريب الاقليم ، ثم عادوا إلى بلرم ومعهم رجل كان له عند الروم مكانة ومنزلة ، فأمر العباس

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٩٠ - ابن خلدون المصدر السابق ، حـ ٤ ص ٢٠٢ - ابن عذارى : المصدر السابق حـ ١ ، ص ١١٣ (لكنه يذكر انه دارت على المسلمين جوله ، فقتل منهم ، واخذت لهم عشرون مركباً) .

بقتله فخاف الرجل وجبن وقال للعباس انه يشترى حياته مقابل ان يدله على طريق يفتح منها مدينة قصريانه ، وخاصةوان القوم في الشتاء يكونون آمنين لمعرفتهم عدم غزوهم شتاءً . وطلب أن يرسل معه العباس بن الفضل مجموعة من المسلمين ليدخلهم المدينة . فأختار العباس ألفى فارس من الأبطال الشجعان ، وسار بهم في شهرى (ديسمبر - وينابر) ومعهم الرجل الرومى ، حتى قاربوا قصريانه فكمن هناك مستتراً . بينما سير عمه رباح على رأس الألفى فارس والرجل الرومى معهم ، فساروا مستخفين في الليل ، ودلهم الرجل الرومى على المكان الذى يمكنهم عن طريقه دخول المدينة . وكان الموضع عبارةعن ثغرة في أسوار المدينة كان يخرج منها ماءنهرها محملاً بالاوساخ ، وكان في منطقة وعرة من الجبل مما أدى إلى أستخدام السلالم لارتفاع ذلك الموضع من الجبل ، والوصول إلى السور حيث توجد الثغره . وفي الصباح والحرس نيام تسللت جماعة من المسلمين للإستطلاع الى داخل السور فوضعوا السيف فى حراس الأبواب وفتحوها لكى يأتى العباس ورجاله من مكمنهم خارج السور - على عجل ، ويدخلوا المدينة على حين غره من أهلها . وكانت صلاةالصبح قد وجبت فصلوا صبح يوم الخميس منتصف شوال سنة ٢٤٤هـ/ ٢٥ يناير ٨٥٩م . وأمر العباس بقتل من وجد في المدينة من المقاتله وكذلك اخذ بنات البطارقة بحليهن وأبناء الملوك ، وكان ماغنموه من المدينة من الكنوز والذخائر مايعجز عنه الوصف . (١)

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق حـ ٥ ، ص ٢٩٠ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، حـ ٣ ، ص ١١١-١١٣-١١٤ إحسان عباس: المرجع السابق ، ص ٣٦ - حسن حسنى عبد الوهاب خلاصةتاريخ تونس ص ٨٥ - محسن محمود واحمد الشريف: المرجع السابق ص ١٦١

وعند وصول خبر انتصار المسلمين وامتلاكهم قصريانه إلى الأمير أبى إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب ، سارع بإرسال نبأ فتحها الى الخليفة العباسي المتوكل على الله واهدى له من سبيها . (١)

ويروي ابن الأثير أن العباس بن الفضل بنى فيها (اى قصريانه) في الحال مسجدا ونصب فيه منبراً . وخطب فيه يوم الجمعة (٢) (أى اليوم التالى لدخوله المدينه) . ورواية الخبر على هذه الصورة تثير التعجب والتساؤل ، فلا يعقل ان يُبنى مسجد في يوم وليله .

هذا ومن الجائز ان يكون العباس بن الفضل قد حول كنيسة من كنائس المدينة إلى مسجد ووضع له منبراً . (٣)

فشل ثأر الروم :

وما أن سمع الروم بنبأ هذه الهزيمة الساحقة وباستيلاء والى صقليه على قصريانه حتى ثارت القسطنطينيه وعلى رأسها الامبراطور

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٢ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ - إحسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٦ - حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٥ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٩٠

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق جـ ٢ ، ص ٢٥١

ميخائيل الثالث الذى سارع في السنه التاليه ٢٤٥ هـ/٨٥٩م بارسال اسطول من ثلاثمائه شلندى نحو صقليه، مجهزاً احسن تجهيز من جنود وعتاد لإسترجاع المدينه والثأر لما حل بهم من هزيمه في صقليه . ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان وذلك لأن سيادة البحركانت قد انتقلت نهائياً من أيدى البيزنطيين إلى أيدى المسلمين .

وكانت عيون المسلمين تراقب كل تحركات الروم، وعندما علم العباس بوصول تلك الحمله التى كانت بقيادة قسطنطين كوندوميتيس (Constantine Kondomytes) الى سرقوسه ، كان هو ورجاله وأساطيله لهم بالمرصاد .وتقابل الفريقان عند أحواز سرقوسه، وصمد الأسطول الإسلامي أمام أسطول الروم، وأبدى كل من الفريقين أقصى ما لديه من مهارة المناوره.

واستطاع المسلمون هزيمتهم حتى أجبروهم على الإنسحاب لمراكبهم والهروب راجعين إلى بلادهم وقد غنم المسلمون منهم مائة شلندى ، كما كثر القتل فيهم، ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب . (١)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص٠ ٢٩ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص٢٠٢ ، لكنه يذكر" واقلع فلهم إلى بلادهم بعد أن غنم المسلمون من اسطولهم ثلاث (أى سفن) أو اكثر) كذلك يذكران هذه الاحداث كانت في سنة سبع وثلاثين (٢٣٧ هـ) - صابر دياب : المرجع السابق ، ص ٨٥ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٦ - ٧٧ .

الا أنه ربما يكون في هذا الخبر شيئ من المبالغه، اذلا يعقل ان معركه بحريه تسفر عن أسر مائة سفينه وانهزام مائتين أخريين ولا يخسر المنتصرون فيها إلا ثلاثة شهداء فقط . (١)

وقد علق أرشيبالد لويس على هذه المعركة بقوله " ويعتبر هذا أشنع انكسار حاق بيزنطه منذ عام ٨٤٠ م " (٢)

ولكن القسطنطينيه لم تستسلم للهزيمه والدليل على ذلك أن القسم الشرقي لصقليه - وهو أقربها إلى القسطنطينيه - كان لا يزال ممعناً في المقاومة بتحريض من الروم . فقد نكثت أعداد كبيرة من القلاع الصقليه - التي استسلمت للمسلمين من قبل - ، وخرجت على طاعة المسلمين مثل قلعة سطر، وأبلا (Avola) ، وأبلاطنو (Plotani) وقلعة عبد المؤمن ، وقلعة البلوط، وقلعة أبي ثور (Caltaveuturo) وغيرها من القلاع، مما أدى إلى خروج العباس إليهم لتأديبهم، فلقيه جنود الروم وكان القتال بينهم الذى انتهى بهزيمة الروم وقتل عدد

---

(١) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص٧٧ .

(٢) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص٢١٧ (ويقصد بإنكسار عام ٢٢٥ هـ/ ٨٤٠م هو ذلك الإنتصار العظيم الذى حققه الأسطول الإسلامي بعد فتح قلوريا على الأسطول البيزنطي والذى علق عليه ابن الأثير بقوله وكان ذلك فتحاً عظيماً للمسلمين (ابن الاثير: المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص٢٥٣) .

كبير منهم. (١) ثم توجه العباس بن الفضل إلى قلعة عبد المؤمن وقلعة ابلاطنوفحاصرهما. ولكنه في هذا الأثناء أتاه الخبر بوصول قوات روميه كثيره إلي الجزيره، فأقلع عن حصار القلعتين وأمر بالمسير للقاء الروم. وكان اللقاء قريباً من قلعة جلغودى (Cefolu) شرق بلرم، واشتبك الجيشان في قتال شديد انتهى بإنهزام الروم وإنسحابهم إلى سرقوسه، ومن ثم عاد العباس بن الفضل إلى بلرم. (٢)

وفاة العباس بن الفضل :-

ومن منطلق اهتمام العباس بن الفضل بالمسلمين وأمنهم قام بالإشراف على تحصين قصريانه وشحنها بالجند وذلك لكى تكون ملجأ يلوذ إليه المسلمون كما يلوذ الروم بسرقوسه.

وفي سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦١م أراد العباس بن الفضل فتح سرقوسه وذلك ليحطم آخر أمل للروم في صقليه، فمضى على رأس جند المسلمين، وأخذ يتجول برجاله ويتحرش بالروم في منطقة سرقوسه يهزمهم ويغنم منهم، ولكنه عندما سار إلى غيران (جمع غار) قرقنه اعتل ومات بعد

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٥، ص٢٩٠ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٥٢ - إحسان عباس: المرجع السابق ص ٣٦ - صابرد ياب: المرجع السابق، ص ٨٥ - ٨٦.

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ ٥، ص ٢٩٠ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٥٢.

ثلاثة أيام في ٣ جمادى الآخره سنة ٢٤٧هـ/١٥ أغسطس ٨٦١م، ودفن في موضع موته ـ غير بعيد من قبر أسد بن الفرات ـ، لكن الروم نبشوا قبره وأحرقوه. (١)

ولاية أحمد بن يعقوب، وعبد الله بن العباس (جمادى الآخرة ٢٤٧ هـ ـ جمادى الاولى ٢٤٨هـ/أغسطس ٨٦١ - يوليه ٨٦٢م) :

بطبيعة الحال عندما توفي العباس بن الفضل اجتمع قادة الجند ليختاروا من يخلفه في قيادة الجيش وكذلك في الإمارة على صقلية.

وفي هذا الصدد لدينا رواية ابن الاثير التى تقول" فلما توفى ولّى الناس عليهم ابنه عبد اللّه بن العباس وكتبوا إلي الأمير بإفريقيه بذلك " (٢) ويوءيد ابن خلدون هذه الرواية إذ يقول" ولما توفى العباس اجتمع الناس على ابنه عبد اللّه وكتبوا إلى صاحب إفريقيه " (٣). أما ابن عذارى فيذكر لنا أن الذى ولي بعد العباس هو عمه احمد بن يعقوب وأن اهل صقليه هم الذين ولوه :

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ ٥ ص ٢٩٠ - ابن خلدون : المصدر السابق، جـ ٤، ص٢٠٢ - إحسان عباس: المرجع السابق، ص ٣٦ - ٣٧ - سعد زغلول عبد الحميد :المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٥٣ - صابرد ياب: المرجع السابق، ص٨٦ - احمد توفيق المدنى : المرجع السابق، ص ٧٧ (لكنه يقول ان تاريخ وفاته كان في ذى الحجه ٢٤٧ هـ).

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ ٥، ص ٣٠٦.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق ،جـ ٤، ص ٢٠٢

" وكتبوا بذلك إلى صاحب إفريقيه أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب، فجاء كتابه بإثباته " (١)

وللجمع بين هاتين الروايتين نقول بأن كلا منهما على صواب مع مراعاة اختلاف الترتيب الزمني .

ولتفسير ذلك يذكر سعد زغلول عبد الحميد عن رواية النويري التي تقول ان الناس ولوا " على انفسهم أحمد بن يعقوب، ثم ولوا عبد الله بن العباس، وكتبوا إلى أمير القيروان ، فولى خمسة أشهر " . (٢) وما زال الكلام عن سعد زغلول عبد الحميد الذى يقول : وبما أن الوالى الجديد ، وهو خفاجه بن سفيان وصل من القيروان إلى صقليه فى شهر جمادى الأول من السنه التاليه ٢٤٨هـ/يوليه ٨٦٢م ، فهذا يبين ان الفترة ما بين وفاة العباس بن الفضل ووصول خفاجه بلغت احد عشر شهراً ، ولى منها عبد الله بن العباس خمسة اشهر، اذن تكون ولاية عمه أحمد بن يعقوب قبله قد استمرت لمدة ستة اشهر من جمادى الآخر سنة ٢٤٧هـ/اغسطس ٨٦١م إلى ذى الحجه من نفس السنه /فبراير ٨٦٢م. ومدة ولايته هذه لا نعرف كيف كانت نهايتها إأكانت بسبب وفاته ، أم كانت بسبب عدم رضاء الجند عنه . وبذلك تكون ولاية عبد الله بن العباس ـ التى ذكرها ابن الاثير وابن خلدون ولم يذكرها ابن عذارى ـ قد بدأت من ذى الحجه سنة ٢٤٧ هـ وانتهت

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١٣

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ .

في جمادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ/ يوليو ٨٦٢ م .(١)

المهم أنه خلال فترة خمسة الأشهر التي تولى فيها عبد الله بن العباس صقليه ، اتبع نفس سياسة ومنهج أبيه في غزو الروم فأخرج السرايا وفتح قلاعاً متعددة منها جبل ابى مالك وقلعة الأرمينين ، وقلعة المشارعه .(٢)

ولا ندرى بالضبط سبب عدم تثبيت الأمير الأغلبى ابى إبراهيم أحمد بن محمد القائد عبد الله بن العباس في منصبه ، رغم ما يتمتع به عبد الله من خبرة طويلة - قضاها مع أبيه - في احوال الجهاد داخل صقليه وخارجها كجنوب إيطاليا . ربما كان السبب راجعاً لرغبة أمير القيروان ، أو يكون قد حدث خلاف بين أفراد أسرة عبد الله بن العباس شارك فيه الجند مما أدى الى عزلهم لعمه أحمد وتوليته ، وهو الأمر الذى يجعل اختيار أمير القيروان لقائد آخر من طرفه أمراً مقبولاً .(٣) وربما يكون أمير القيروان ادرك ما يرمى إليه المسلمون في صقيله ، وعلم أنهم أرادوا بإختيارهم الوالي عليهم الاستقلال بأمرهم تحت إمارة عائلة ابن الفضل ، يتوارثونها فيما بينهم خلفا عن سلف ، ويكون نتيجة هذه السياسه تقليص سلطة ونفوذ القيروان عليهم شيئاً فشيئاً من أجل ذلك امتنع امير القيروان عن الموافقه على تثبيت عبد الله بن العباس في منصبه ، وأمره بترك الولاية لخفاجه بن سفيان .(٤)

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق جـ ٢ ، ص ٢٥٤

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٠٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٢

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥

(٤) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

ولاية خفاجه بن سفيان :- (٢٤٨- ٢٥٥هـ/ ٨٦٢- ٨٦٩م)

وصل خفاجه بن سفيان إلى صقلية في جمادى الأولى سنة ٢٤٨هـ/ يوليو ٨٦٢ م، وكان شهماً عال الهمه طويل الباع في السياسة وفي الحرب. وجاء معه ابنه محمد الذى سيكون يده اليمنى، وعضده المتين، وسيفه الذى يبطش بعدوه به.

وفور وصول خفاجه بن سفيان تسلم مقاليد الأمور لولايته الجديدة في بلرم فكانت سياسته العسكرية تتسم بالقوة، وتشبه الى حد بعيد سياسة العباس بن الفضل. (١)

جهاده في اقليم سرقوسه والركن الجنوبي الشرقي :-

وكانت بداية نشاطه الحربي فور وصوله إلى بلرم، فأول سرية خرجت كان على رأسها ولده محمد متجو لمنطقة سرقوسه، فغنمت وحرقت وخربت، وهزم من خرج له من الروم، وفي طريق عودته لبلرم مر على مدينة أرغوس (رغوس) فحاصرها وضيق عليها حتى طلب أهلها الأمان. ويذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م أن أهالي أرغوس أستأمنوا فيها

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، جـ٢، ص ٢٥ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص ٧٨.

مرة أخرى ، ويتساءل عما إذا كان قد حدث خلط بين التاريخيين أم أن الامر يتعلق بغزوتين مختلفتين ، وذلك بعد عصيان أهل أرغوس والرأى الأخير هو المقبول والمتمشى مع سياسة الصوائف السنوية التى كانت متبعه عند ولاة صقلية . (١)

وفي سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م توفى الأمير الأغلبى أحمد بن محمد ابن الأغلب وتولى إمارة الأغالبه من بعده الأمير زيادة الله الثانى بن محمد ابن الأغلب في ذى القعدة سنة ٢٤٩هـ/ديسمبر ٨٦٣م . (٢)

وقد أقر زيادة الله الثاني خفاجه بن سفيان على ولاية صقلية وأرسل إليه بالخلع رمز الإمارة . (٣)

وقد ظل خفاجه بن سفيان يتبع سياسة الإلحاح بالصوائف على إقليم الركن الجنوبي الشرقي من صقليه إلى ان تمكن من فتح مدينة

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٠٦
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦ .
(٣) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

نوطس جنوب سرقوسه في محرم من سنة ٢٥٠هـ/ مارس ٨٦٤م .
وقد ساعده على فتحها أن بعض أهلها أخبر المسلمين بالموضع الذى تمكنوا بواسطته من دخول المدينة . وقد غنم المسلمون منها أموالاً كثيرة ، ثم توجهوا بعد ذلك غربا وفتحوا مدينة شكلة (Scicli) الواقعة في جنوب أرغوس ، بعد أن قاموا بحصارها فترة . (١)

ثم كانت وفاة زيادة الله الثانى في ذى القعدة من سنة ٢٥٠هـ/ ديسمبر ٨٦٤م بعد سنة واحدة من ولايته ، وجاء بعده الأمير محمد بن أحمد المعروف بأبي الغرانيق - لكثرة ولوعه بتصيدها (٢) - الذى أقر خفاجه بن سفيان في ولاية صقلية . (٣)

وبنظرة سريعة على أحداث الأربعين سنة الماضية التى ذكرت سابقاً نجد أنه عندما كان أهالى حصون و مدن الروم يطلبون الأمان كان هذا يعنى الصلح . وكذلك كانت كلمة فتح تعنى الصلح في معظم الأوقات ، إلا إذا وجد نص صريح ، يذكر امتلاك المسلمين للحصن أو المدينة أو حتى إشارة إلى إقامة المسلمين فيها .

لكن بالنسبة إلى مايذكر من حرق أو هدم المسلمين للحصن

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٣٠٦ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق حـ ٢ ، ص ٢٥٦
(٢) ابن الأبار : الحله السيراء ، حـ ١ ، ص ١٧١
(٣) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع ، نفس الصفحه .

أوللمدينة وتركهم لها فهذا يعني ترك المسلمين لهذا الحصن أو لهذه المدينة ، ثم عودة الروم إليها ليعمروها بدليل أن المسلمين كانوا يرجعون للقتال في نفس الموضع من جديد . (١)

وفي سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م تعرضت منطقة سرقوسه لغارة شديدة من المسلمين ، حيث نصب خفاجة بن سفيان كميناً بقيادة ولده محمد الذى كمن لأهلها ، وفاجأهم واستطاع قتل ألف فارس منهم ، ومن ثم سميت تلك السرية " سرية الألف فارس " .(٢)

صلح طبرمين ومشاركة زوجة خفاجة بن سفيان في عقده :-

ظلت معاقل طبرمين من أشد وأمنع المعاقل التى واجهت المسلمين فقد استمر أهلها يوالون القتال ضد المسلمين الذين حالوا مرارا أن يدكوا أسوار هذه المدينة ولكنهم لم ينجحوا في ذلك . (٣) لكن في سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م كان خفاجة بن سفيان يقوم بصائفة كما تعود المسلمون ذلك . فسار خفاجة الى سرقوسة

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١٤ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٢ - صابر دياب ، المرجع السابق ، ص ٨٦-٨٧ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٩ (وهو يذكر اسمها طرميس بدل طبرمين) .

ومنها اتجه إلى أقصى الشمال الى منطقة جبل النار. وهناك أُتاه رسل أهل طبرمين يطلبون الأمان . " فأرسل إليهم امرأته وولده في ذلك فتم الأمر" وهذا ما ذكره ابن الأثير. (١)

وهذا يعني أن مسألة الأمان أو الصلح هذه كانت تعتبر نوعاً من المفاوضات المتعارف عليها في ذلك الوقت . هذا ولو أن الأمر اقتصر على إرسال خفاجة ابنه محمد فقط للتفاوض معهم لكان الأمر معقولاً لأن ولده يعتبر ساعده الأيمن في أعماله ، لكن الأمر تعدى ذلك بأن ارسل امرأته أيضا ، وربما كان للتفاخر والمباهاة بنساء المسلمين أمام الروم الذى كانوا يعتزون بنسائهم ، حتى أنهم كانوا يصحبونهن معهم في الحروب التى يخوضونها ، وذلك واضح في كثير من معاركهم . (٢)

فإرسال امرأة مسلمة لتشارك بصفة فعلية في عمل سياسى كبير مثل هذا العمل يعتبر دليلا قاطعاً على ما أُحرزته السيدة المسلمة من مكانة عليا في المجتمع الزاهر تحت الراية الأغلبية في أفريقيه أو في صقلية . وقد استطاعت هى وولدها أن تنهى مهمتها على أكمل وجه ، فقد لبى أهالى طبرمين دعوتها وأذعنوا لأمرها ، وسلموا مفاتيح المدينة لها فدخلها المسلمون صلحاً. (٣)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٣٠٦
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٥٧
(٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

لكن مشيئة الله قضت أن يهلك أهل هذه المدينة ، فقد نقضوا الصلح . ولا توضح الرواية أسباب هذا النقض . والمهم أنهم ثاروا على المسلمين في غفلة منهم وأخرجوهم من المدينة وأغلقوا الأبواب وقتلوا وأذلوا من بقى منهم ولم يستطع الخروج ، ثم بعد ذلك اعتصمو ابقلاعهم .(١)

وهذا الغدر من أهل طبرمين أثار غضب خفاجة بن سفيان واعتبر السكوت عليه ضعفاً وهواناً ، وقد يوءدى إلى انتقاض بقية مدن صقلية على المسلمين كطبرمين ، فسارع في إرسال ابنه محمد على رأس سرية للمسلمين ففتح المدينه وسبى أهلها . (٢)

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٢ - احمد توفيق المدني : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ،ص ٣٠٦

صلح أرغوس (رغوس) والغيران :-

وفي سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م نفسها ، نكث أهل أرغوس الصلح الذى كان بينهم وبين المسلمين منذ سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م كما ذكر سابقاً ، فسار لهم خفاجة بن سفيان لتأديبهم ، ولكنهم طلبوا الأمان من جديد . ومن أجل نقضهم للصلح السابق كانت شروط الصلح هذه المرة فيها بعض القسوة عليهم ، مما أضطر أهل أرغوس أن يطلبوا من خفاجة السماح لعدد معين من أهل المدينة ان يخرجوا منها بأموالهم ودوابهم في مقابل ان يغنم هو الباقي. ووافق خفاجة على طلبهم هذا وأخذ هو جميع مافي الحصن من مال ورقيق ودواب وغير ذلك (١) . كما يذكر ابن الاثير في حوادث هذه السنة أن خفاجة بن سفيان توجه إلى أهل الغيران - وهى قريبة من سرقوسه - فهادنهم في مقابل دفع الجزية للمسلمين ، ثم بعد ذلك افتتح حصوناً كثيرة (٢) . ثم أراد خفاجة " بن سفيان " أن يكمل فتوحه لكنه مرض مرضاً شديداً . لدرجة أنه عاد إلى بلرم محمولاً في محفة . (٣)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص٣٠٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق حـ٢ ، ص ٢٥٨ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص٣٠٦ - ويذكر ذلك ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١١٤ - وابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٣

(٣) ابن عذارى : نفس المصدر ، ونفس الصفحه - ابن الاثير : نفس المصدر ، ونفس الصفحه - ابن خلدون : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

محاولة المسلمين مرة أخرى فتح سرقوسه ، وقطانيا :-

وما أن جاءت سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م حتى كان خفاجة بن سفيان في أتم صحة وأحسن حال ، فسار على الفور لتكملة جهاده في أقاليم سرقوسه . فسار من بلرم متجهاً إلى مدينة سرقوسه ، وقطانيا فأفسد زروعهم وخرب بلادهم ، ثم عاد إلى بلرم ، ولكن رغم عودته لم يهدأ ويستكن وإنما كان يرسل سراياه إلى أرض صقلية من روم غير معاهدين للمسلمين فتعود تلك السرايا محملة بالغنائم الكثيرة . (١)

واستمر إلحاح خفاجة بن سفيان لفتح مدينة سرقوسة لأهميتها وهى تقاوم . ففي سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م التالية سير خفاجة في البداية سرايا إستكشافية قبل أن يسير سرية لسرقوسة فغنمت وعادت . وفي نفس الوقت سير ابنه محمداً في البحر بحراقات عندما أتاه الخبر أن بطريقا قدسا سار من القسطنطينيه في حملة كبيرة من الروم متجهاً إلى صقلية . لذلك عند وصولهم كانت البحرية الإسلامية فى لقائهم في جمع كبير من المسلمين ، وكان القتال شديداً بينهم وهو القتال الذى انتهى بهزيمة الروم وقتل

---

(١) ابن الاثير : نفس المصدر ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : نفس المصدر ، نفس الصفحه .

وقتل عدد كبير منهم وترك أغليهم لسلاحهم ولمتاعهم في أيدى المسلمين وفرار المراكب السليمة راجعة على أعقابها خاسرة . أما المسلمون فقد عادوا إلى بلرم في أول شهر رجب /أواخر يونيو .

واتجه خفاجة بن سفيان مرة أخرى إلى سرقوسة فهاجمها وأفسد زرعها وغنم منها وعاد إلى بلرم في أول شهر رجب مع عودة الأسطول الإسلامي . (١)

فشل محاولة أخرى لفتح طبرمين :

تعتبر طبرمين من المدن المحصنة في صقلية والتى صعب على المسلمين فتحها ، فكان المسلمون يلحون عليها بالسرايا لفتحها ولكن الأمر كان ينتهى بعقد صلح بين الطرفين وكان آخر صلح بين أهل طبرمين وبين المسلمين سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م ، ولا ندرى هل نقض أهالى طبرمين هذا الصلح أم لا . المهم أن مدينة طبرمين كانت هدف خفاجة بن سفيان في سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م، وقد صمم خفاجة على فتحها في هذه السنة عندما جاءه عرض من بعض

----

(١) ابن الاثير : نفس المصدر ، ونفس الصفحه ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١١٥ - ابن خلدون : نفس المصدر ، نفس الصفحه .

أهل طبرمين لتسهيل دخول المسلمين إليها عن طريق معابر سرية توصلهم الى داخل المدينة . وهكذا اسارع خفاجة بإرسال ابنه محمد في شهر صفر/ يناير - فبراير مع جماعة من المسلمين يرافقهم ذلك الدليل الطبرمينى . وعندما اصبحوا على مقربة من المدينة توقف محمد وأمر بعض عسكره ان يتقدموا ليدخلوا المدينة مع الدليل حتى إذا ملكوا بابها وسورها يلحق بهم إلى داخل المدنية عندما يفتحون أبوابها . ولكن ما أن دخل رجال هده الفرقه من المسلمين ومعهم الدليل إلى داخل المدينة وتم لهم الإستيلاء على أبوابها وسورها حتى شرعوا في السبى والغنيمة ولم يعطوا إشارة الهجوم النهائي لمحد وبقية جند المسلمين .

ومن جهة أخرى تأخر محمد بن خفاجة ومن معه من العسكر عن الوقت الذى وعدهم أن يهجم فيه على المدينة ربما لتردد منه أو لعدم ثقته بنجاح العملية في وقتها المحدد . فظن الجند الإسلامي الذى دخل المدينة أن العدو أوقع بمحمد ورجاله ، فتوقفوا عن السبى ، وهرجوا منهزمين من المدينة . وربما كان انهزامهم لخوفهم من أهالى المدينة أن يثوروا عليهم بعد أن يشعروا بما حدث داخل أسوار مدينتهم ، والمسلمون قلة لا يستطيعون مجابهة الأهالى . وعندئذ وصل محمد ومن معه من العسكر الى أبواب المدينة فرأى المسلمين يخرجون منها منهزمين ، فظن أن جنده قد هزموا فعاد راجعاً معهم إلى بلرم . وهكذا كانت غلطة يسيرة السبب في عدم فتح طبرمين . وماأن تخلص أهل المدينة من المسلمين حتى قفلوا أبواب المدينة واعتصموا داخلها . وهكذا

فشلت محاولة فتح طبرمين بعد أن كادت تنجح . (١)

ولكن ابن خلدون يذكر أنه بعد ان دخل جند المسلمين المدينة ومعهم الدليل وأخذوا في السلب والنهب " جاء محمد ابن خفاجة من ناحية أخرى فظنوه مدداً للعدو فأجفلوا ورآهم محمد مجفلين فرجع ". (٢)

ولذا لم تتحقق أمنية غالية على خفاجة بن سفيان ، ألا وهى فتح مدينة طبرمين ، فلو كانت قد تحققت هذه الأمنية . لأصبحت أعمال خفاجة وفتوحاته موازية لأعمال العباس ابن الفضل عندما استولى على قصريانه بنفس الطريقة قبل هذه الأحداث بإحدى عشرة سنة .

سرقوسة والضغط عليها من جديد :-

وفي شهر ربيع الأول / فبراير - مارس من السنة نفسها خرج خفاجة بن سفيان - الذى لم يضعف من عزيمته ذلك الفشل السابق - من بلرم على رأس قواته متجهاً الى مرسة (برسة) ، في حين سير ولده محمداً في سرية كبيرة العدد والعدة إلى سرقوسة . وعندما

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ٢٥٩ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٨١

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٣ (حيث القراءة طرميس بدلاً من طبرمين) .

تقابل محمد وجنده مع الروم الذين كانوا كثيرى العدد دار بينهم قتال شديد ضعف المسلمون فيه ، أدى ذلك إلى هزيمة المسلمين وانسحابهم إلى خفاجة بن سفيان بعد أن قُتل منهم عدد كبير (١) لكن ابن عذارى يذكر أن سبب الهزيمة هو " مقتل شجاع من شجعان المسلمين فانكسروا لقتله ". (٢) وعندما وصلوا إلى خفاجة سارع بالخروج إلى سرقوسه على رأس قواته ، فحاصرها وضيق على من بها من الأهالى وأهلك زرعها وأفسد بلادها. (٣)

مقتل خفاجة بن سفيان :-

وبعد أن استطاع خفاجة تأديب أهالى سرقوسه ، تركها واتجه صوب بلرم . وفي طريقة إليها نزل بوادى الطين ، ولكن الظاهر أنه أحسن بمكيدة يراد بها قتله من قبل الروم ، فقرر الرحيل عن وادى الطين ، فسار منه ليلاً . وأثناء مسيرة اغتاله رجل من عسكره فطعنه طعنة قاتله أدت إلى موته ، وكان ذلك في شهر رجب سنة ٢٥٥هـ/ ١٥ يونيه ٨٦٨م . وهرب القاتل إلى سرقوسة

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٣٠٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٣ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١١٥
(٣) ابن عذارى : نفس المصدر ، نفس الصفحه - ابن الاثير : نفس المصدر ، ونفس الصفحة - ابن خلدون : نفس المصدر ونفس الصفحه .

ممايدل على أن الروم كان لهم يد في مقتل خفاجة . وحُمل خفاجه لبلرم فدفن بها . (١)

ولاية محمد بن خفاجة بن سفيان (٢٥٥-٢٥٧هـ/٨٦٩-٨٧١م)

بعد مقتل خفاجة ودفنه في بلرم اجتمع قواد الجند الإسلامي مع المسلمين ليتفقوا على أن يولوا عليهم بعده ابنه محمداً ، وكتبوا بذلك الى الأمير الأغلبى أبي الغرانيق محمد بن أحمد ، الذى اقر محمداً بن خفاجة ، وأرسل له كتاب العهد بولاية صقلية ومعها الملابس الرسمية المعروفة بالخلع ، وكان ذلك يوم السبت ٢٤ رمضان سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م. (٢)

وفور تولى محمد بن خفاجة منصبه ، سير جيشاً بقيادة عمه عبد اللّه بن سفيان إلى إقليم سرقوسه ، فقاتل أهلها وأهلك زرعها وعاد ثانياً إلى بلرم . (٣)

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ١١٥ - ابن الاثير : المصدر السابق : حـ ٥ ، ص ٣٠٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، حـ ٣ ، ص١١٤ .

(٢) ابن عذارى : نفس المصدر ، ونفس الصفحه - ابن الاثير : نفس المصدر ، ونفس الصفحه - ابن خلدون : المصدر السابق حـ٤ ص٢٠٣ - ابن الخطيب : المصدر السابق حـ ٣ ص١١٤-١١٥

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٣٥١

ولكن القدر لم يمهل محمداً بن خفاجة ليستمر في فتوحه هذه إذ كانت نهايته القتل على أيدى بعض خدمه الخصيان من الصقالية ، وكان ذلك في ٣ رجب سنة ٢٥٧هـ/٢٨ مايو ٨٧٠م . ممايعني أن فترة ولايته صقلية لم تستمر أكثر من سنتين فقط . وقد هرب من قتلوه ليلاً ، وفي الغد عندما عرف خبر قتله ، جد الناس في طلب من قتلوه حتى أدركوهم وقتلوهم . (١)

---

(١) ابن عذارى : نفس المصدر ونفس الصفحه - ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٣٦٤ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٦١ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٨٣ .

خلفاء محمد بن خفاجـــه :-

بـعد مقتل محمد بن خفاجة ومن قبله أبيه خفاجه بن سفيـــان أصاب الناس شيء من الجزع والارتباك والقلق ، فكان لابـــد من الإسراع في تولية والٍ جديد يعمل على إقرار الأمن وإرجاع الطمأنينة الى نفوس الناس، فاجتمع قواد الجند الاسلامي وولـــوا على أنفسهم محمداً بن أبي الحسين ، وكتبوا إلى الأمير الأغلبـــى ابى الغرانيق محمد بن أحمد بالقيروان يعلمونه بالأمر وبمـــن ولوه عليهم ، لكنه رفض الوالى الذى عينه مسلمو صقليه ، وعهـــد بولايتها إلى رباح بن يعقوب ، وعهد كذلك بولاية الأرض الكبيـــرة أى قلورية وانكبرده وماوراءهما من إيطاليا ، إلى أخى ربـــاح ، وهو عبدالله بن يعقوب . (١)

لكن رواية ابن عذارى تقول بأن الأمير ابى الغرانيق عهـــد بولاية صقلية لأحمد بن يعقوب وتتفق بالنسبة لولاية الأرض الكبيـــرة لعبد الله بن يعقوب . (٢)

كما تتفق رواية ابن الاثير مع رواية ابن عذارى فيما يختـــص بولاية أحمد بن يعقوب على صقلية ، وتصنيف إلى ذلك أنه مـــات سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧١م . (٣)

----

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق حـ٢ ، ص٢٦٢
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١١٥
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص ٣٦٤

ونرجع للرواية التي يذكرها سعد زغلول عن النويرى لأنها هى الرواية التي سوف نأخذ بها فيمن خلف محمداً بن خفاجه وذلك بسبب إتساقها وإنتظام أحداثها ، فبعد تولى الأخوين الولاية لم تطل ولاية رباح بن يعقوب إذ توفي في محرم سنة ٢٥٨هـ/ نوفمبر - ديسمبر ٨٧١م . وحدث نفس الشيء لأخيه فقد مات في إيطاليا ، بعده في شهر صفر من نفس السنة /يناير - فبراير . فماكان من قواد الجند إلا أن اختاروا والياً اخر وهو أبو العباس بن عبد الله بن يعقوب ، لكنه أيضاً لم يمكث إلا أشهراً ثم مات ، فولوا من بعده أخاه . ثم وصل عهد الأمير أبى الغرانيق بالولاية للحسين بن رباح ، لكنه لم يلبث أن عزله ، وولى بدلاً منه عبد الله بن محمد بن عبد الله التميمى وذلك في شوال سنه ٢٥٩هـ/اغسطس ٨٧٢م. (١)

ومماسبق يتضح لنا أنه قد ولى على صقلية في خلال سنتين فقط أربع ولاة ، ممايدل على حالة القلق والاضطراب التي كانت سائدة بها . وفي سنة ٢٥٩هـ/ ٧٢-٨٧٣م قام المسلمون بحملة إلى سرقوسة وقد كانت في عهد والى صقلية الحسين بن رباح ، وانتهت هذه الحملة بالصلح على أن يطلقوا " أى أهل سرقوسه " الأسرى الذين كانوا عندهم من المسلمين وكانوا ثلاثمائة وستين أسيراً فلما أطلقوهم ، رجع عنهم الحسين بن رباح إلى بلرم. (٢)

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ٢٦٢

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١١٦ - ابن الاثير المصدر السابق ، حـ٥ ، ص ٣٧٠

وقد انتهت فترة ولاية الأمير الأغلبي أبي الغرانيق محمد بن أحمد بوفاته في جمادى الاولى سنة ٢٦١هـ/ ١٧ فبراير ٨٧٤م ، وولاية أخيه إبراهيم بن أحمد من بعده .

ومنذ تولية الإمارة وربما من قبلها من سنة ٢٥٩هـ إلى سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٢ الى سنة ٨٧٧م لا نجد ذكراً لأحداث مهمة في المصادر التاريخية التي تكلمت عن صقلية وبالذات عن سرايا الصوائف والشواتي في البر والبحر على السواء . وربما هذا يرجع إلى حالة القلق والاضطراب التي كانت تعيشها صقلية نتيجة مقتل خفاجة وولده محمد . هذا بجانب تعدد الولاة الذين تداولوا حكم صقلية وجنوب إيطاليا فيما بين سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م وسنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م . (١)

وهناك سبب آخر لهذه الحالة في عهد الأميرالأغلبي إبراهيم ابن أحمد ، ليس مصدره صقلية وإنما مصدره عاصمة الأغالبة القيروان نفسها . فقد تولى عرشها الأمير إبراهيم بن أحمد وكان في بداية ولايته جباراً عنيداً طاغية . فقد كان مصاباً بنوع من الهستريا الدموية وذلك عندما شعر من عائلته ميلاً للتخلص منه فألقى القبض على عمه الأغلب بن محمد وأخيه الأغلب

---

(١) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٦٣

ابن أحمد وابن أخيه أحمد بن أبي عبد الله وأرسلهم الى صقلية مبعدين فحبسوا في دار الإمارة عند جعفر بن محمد . (١)

ومن أخبار ظلم وطغيان الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد قول ابن الآبار مانصه " ثم ارتكب من العدوان وسفك الدماء مالم يرتكبه أحد قبله ، وأخذ في قتل أصحابه وكتّابه وحجّابه، حتى إنه قتل ابنه أبا عقال وبناته ، والأخبار عنه في ذلك فظيعة شنيعة " . (٢)

ولاية جعفر بن محمد : (٢٦٤-٢٦٥هـ/٨٧٧-٨٧٨م) .

وخلاصة القول أن فتوحات المسلمين في صقلية وجنوب إيطاليا لم تنشط إلا في ولاية جعفر بن محمد سنة ٢٦٤هـ/ ٧٧-٨٧٨م ، وكانت هذه المرة لفتح مدينة سرقوسة التى ألح المسلمون عليها كثيراً بالسرايا لفتحها فماكانتلفتح إلا أن يشاء الله .

---

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ص ٨٤- ٨٥

(٢) ابن الآبار: المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٢- ابن خلدون : المصدر السابق حـ ٤ ص ٢٠٠ ، (إلا إنه يذكر عن إبراهيم بن أحمد قوله " وانه أصابه آخر عمره ماليخوليا أسرف بسببها في القتل ..." .

فتح سرقوسة :

تابع جعفر بن محمد سياسة من سبقوه في الإلحاح على مدينة سرقوسة بالصوائف والشواتي ، فقام بغزو إقليمها في تلك السنة فأفسد زروعها . بعد ذلك استطاع أن يزيد من نشاطه العسكرى فاتجه بفتوحاته حتى شمل أرض قطانيه وطبرمين ورمطة (١) فعمل جنده على تخريبها ونهبها حتى يضعفوا من مقاومتها تمهيداً لفتحها فيما بعد . ثم عاد جعفر بن محمد وكرر محاولة فتح سرقوسة وصمم على ان يقتطف هو ثمرة جهود من سبقوه من أمراء صقلية في محاولة فتحها . فقام هو ورجاله بحصار المدينة من جهة البحر ، وفي نفس الوقت سير أسطول المسلمين ببلرم ليحاصرها من جهة البحر وأخذ يضيق عليها الخناق حتى نجح في الإستيلاء على بعض أراضيها وبقى جعفر على حصاره لسرقوسه ،وأحسن أهلها أن الساعة الأخيره لسقوط مدينتهم قد دنت ، فقاموا بالدفاع عنها دفاع اليائس المستميت ، فتفانوا في الزود عن هذه المدينة التى كانت تمثل في نظرهم الوطن ، وتمثل الدين . واستمر الحصار لعدة شهور وكان نتيجة ذلك أن وصل خبر حصار المسلمين لسرقوسة للقسطنطينيه مما أدى إلى إرسال الأمبراطور باسيل الاول المقدوني (٢٥٣-٢٧٣هـ/٨٦٧- ٨٨٦م) ،اسطولاً بقيادة الأميرال ادريان

---

(١) رمطة : اسم اعجمي لقلعه حصينه بجزيرة صقلية بينهما ثمانية أيام وهي بعيدة من البحر فوق جبل وفيها آثار الماء (ياقوت المصدر السابق ، حـ٣ ، ص ٦٨) .

وقد جاءت هذه الحملةالبيزنطية البحرية لفك حصار المسلمين عن المدينة الهامة،لكن هذا الأسطول البيزنطى لم يستطع أن يقف في وجه الأسطول الصقلى الذى انتصر عليه (١) . وأخيراً تم تطويق المدينة تطويقاً محكماً أنهكت فيه المدينة ولم تستطع الصمود أمام جحافل المسلمين ومواصلة الدفاع حتى كانت نهاية الشهر التاسع من الحصار ، فداهمها المسلمون عنوة وقتل من أهلها أكثر من أربعة الآف رجل وأصاب فيها من الغنائم مالم يصب بمدينة من مدائن الشرك . ولم ينج من رجالهم احد الا الشاذ الفذ كما تذكررواية ابن عذارى . وكان ذلك في ١٤ رمضان سنة ٢٦٤هـ/ ٢١ مايو ٨٧٧م. (٢)

ثم قام المسلمون بهدم المدينة بعد إقامتهم بها لمدة شهرين وذلك في منتصف ذى القعدة / ٢٠ يوليه ويبدو أن المسلمين هدموا سرقوسة بعد علمهم بوصول أسطول بيزنطى آخر جاء في محاولة لإنقاذ المدينة وإستعادتها،فالتقى الروم مع المسلمين فظفر بهم المسلمون وأخذوا منهم أربع قطع ، قتلوا من فيها

----

(١) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ٦ ، ص ١٩

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق جـ١ ، ص١١٧ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص١٩ - ابن خلدون المصدر السابق ، جـ٤ ص ٢٠٤ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٥ -١١٦ - عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص ١٠٠

من الروم ، وأنصرفوا إلى بلرم في آخر ذى القعدة / ٣أغسطس. (١)

ويذكرنا هدمهم لمدينة سرقوسة بما فعلة حسان بن النعمان بقرطاجنة فقد هدمها أيضاً وكان الغرض من هدمها قطع الأمل على الروم في العودة إليها أو تعميرها . (٢)

مقتل جعفر بن محمد :

لم يقدر لجعفر بن محمد أن يتمتع مدة طويلة بنصره هذا في سرقوسة ، وذلك بسبب المؤامرة التى دبرها كل من الأغلب بن محمد الملقب بـ " خرج الرعونة " وأبي عقال الأغلب ابن محمد بن أحمد ، ولى العهد السابق . فقد استطاعا إغراء بعض غلمان جعفر بن محمد للغدر به. وقد كانا محبوسين عنده بأمر من الأميرالأغلبى إبراهيم بن أحمد ، كما ذكرت سابقاً . (٣) وقد وفق الأغلب بن محمد الأغلب في الإستيلاء على بلرم وضبطها بمعاونة أبى عقال الأغلب بن محمد بن أحمد ولكن نتيجة لفعلتهم هذه وللطريقة التى أخذا بها الحكم

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ص١٩ - ابن عذارى المصدر السابق ، حـ ١ ص١١٧ .
(٢) احمد توفيق المدنى : المرجع السابق ، ص ٨٧
(٣) انظر قبل ، ص٢٠٥ - ٢٠٦

لم يطمئن إليها أهل بلرم ، فقبضوا عليهما وأخرجوهما من صقلية إلى إفريقيه مصفدين بالأغلال ليرى فيهما الأمير إبراهيم بن أحمد ابن الأغلب أمره. وتولى صقلية من بعدهما الحسن بن رباح . (١)

ولاية الحسن بن رباح : (٢٦٥/٢٦٧هـ/٨٧٨-٨٨٠م)

وفي سنة ٢٦٥هـ/٧٨-٨٧٩م بعد أن سقطت مدينة سرقوسة في أيدى المسلمين بدأوا يتطلعون إلى الاستيلاء على مدينة طبرمين التى تليها في الأهمية وكانت لا تزال في يد الروم . لذلك كانت هذه الصائفة التى سارت في سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م لغزو طبرمين ، وكان على رأسها الحسن بن رباح ، فالتقى مع الروم ودارت بين المسلمين والروم حربٌ شديده ، رجحت فيها كفةالروم في بادئ الأمر وقتل عددٌ من المسلمين ، ولكن لم تلبث الكفة أن مالت جهة المسلمين فاسترجعوا شجاعتهم فكانت لهمالغلبة على الروم، فهزموهم وقتلوهم ، وقتلوا بطريقهم الذى كان يتولى قيادتهم . (٢)

نكبة أسطول صقلية :

لكن في سنة ٢٦٦هـ/٧٩-٨٨٠م سير الحسن بن رباح

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق، حـ١ ، ص١١٧- سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، حـ ٢ ، ص٢٦٨- احمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص ٨٥

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق، حـ١ ، ص١١٧

والى صقلية أسطوله غازياً الروم، فألتقى في البحر على مقربة من صقلية بالأسطول الرومى الذى كان يتألف من مائة وأربعين مركباً ، ولكن يبدو أن عدد مراكب المسلمين كانت قليلة لأنها لم تستطع الصمود أمام الأسطول البيزنطى بالرغم من قتالهم الشديد ضد الروم واستماتتهم في الدفاع عن أسطولهم . وانتهى الأمر بغلبة الروم على المسلمين وترك المسلمون مراكبهم ليأخذها الروم ، ورجع من سلم منهم منهزمين إلى مدينة بلرم وكان رد الفعل لدى المسلمين على هذه الهزيمة أن اخذوا يشنون غارات ثأرية على الروم المجاورين لهم لعدة شهور ، يفسدون زروعهم ويخربون أراضيهم ويغنمون منهم . (١)

ولاية الحسن بن العباس: (٢٦٧-٢٦٨هـ/ ٨٨٠-٨٨١م)

ومماسبق ظهر للأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد ضعف الحسن بن رباح في قيادة جيش وأسطول صقلية فعهد في سنة ٢٦٧هـ / ٨٠-٨٨١م بولاية صقلية إلى الحسن بن العباس . الذى سير السرايا ضد الروم وبثها في نواحي صقلية ، كذلك خرج بنفسه إلى قطانية فأفسد زرعها ، ومنها توجه إلى طبرمين فأفسد زرعها أيضا وقطع أشجارها . ومن هناك سار إلى " بقارة " ففعل بها كما فعل بسابقتها ، وعاد بعد ذلك إلى

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق، حـ١ ، ص١١٧-ابن الأثير : المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص٢٥.

بلرم.ولم تكن الغلبة دائماً للمسلمين ، فقد نجح الروم في هذه السنة في تسيير سرايا ضد المسلمين في عهد الحسن ابن العباس فأصابوا من المسلمين كثيراً .(١)

ويبدو أن المسلمين كانوا مازالوا متأثرين بمقتل خفاجة وولده محمد وأن حالة الإضطراب والقلق مازالت سائدة في صقلية بدليل انتهاز الروم هذه الفرصة وخروجهم في سرايا للقاء المسلمين وهزيمتهم ، ومثال على ذلك ماحدث سنة ٢٦٨هـ/ ٨١-٨٨٢م التالية عندما نجح الروم في مواجهة سرية ارسلها الحسن بن العباس يتولى قيادتها رجل يعرف بابى الثور (ربما كان صاحب القلعة المعروفة بهذا الاسم) فكان نصيب المسلمين الهزيمة كما أصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر.(٢)

ولاية محمد بن الفضل : (٢٦٨-٢٧٠هـ/ ٨٨١-٨٨٣م)

عزل الحسن بن العباس عن ولاية صقلية ووليها محمد ابن الفضل وكان ذلك بأمر من الأمير الأغلبى إبراهيم بن أحمد في سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م .(٣) وتعتبر فترة ولاية محمد بن الفضل

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، حـ٦ ، ص٣٦- ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١١٧ (اكتفي بذكر ولاية الحسن بن العباس في سنة ٢٦٧هـ) وكذلك ابن الخطيب : المصدر السابق ، حـ٣ ، ص١١٦ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ص٣٩ .

(٣) ابن الاثير: نفس المصدر ، ونفس الصفحة - ابن عذارى المصدر السابق ، حـ١ ، ص١١٩- ابن الخطيب: المصدر السابق ، حـ٣ ، ص١١٧

عودة الى العهود القوية التى مرت على صقلية مثل عهد العباس ابن الفضل ، وخفاجة بن سفيان ، فما كاد يتسلم أمور الولاية حتى سارع بإرسال السرايا وبثها في منطقة الساحل الشرقي الشمالى من صقلية تنشر الحرب والرعب فيتلك البقاع وتعيد هيبة الجيش الإسلامى فى قلوب الروم

وكذلك خرج هو في حشد عظيم من جنوده البواسل متجهاً الى قطانيه فأهلك زرعها ، ثم توجه بعد ذلك بمراكبه الى الشلندنيات التى كانت في ميناء المدينة فهزمها ودمر كثيراً منها وأكثر القتل في بحارتها . ورحل بعد ذلك الى مدينة طبرمين شمالا فأفسد زرعها ، واثناء رحيله عنها تقابل مع عساكر الروم فقاتلهم وهزمهم هزيمة منكرة وقتل منهم عدداً كبيراً ، فقد قيل أن عدد القتلى بلغ ثلاثة آلاف رجل من الروم بعث برؤوسهم الى بلرم . (١)

وسار المسلمون بعد ذلك الى قلعة جديدة كان الروم قد بنوها قريباوسموها مدينة الملك ، فهاجموها عنوة وقتلوا مقاتلتها من جند الروم ، وسبوا من فيها من نساء . (٢)

وحين جاءت السنة التاليه٢٦٩هـ/ ٨٨٢م سار محمد بن الفضل على رأس جند صقلية متجها ناحية رمطه ، فبلغ بعسكره

---

(١) ابن الاثير: نفس المصدر ، ونفس الصفحه .

(٢) ابن الاثير : نفس المصدر ، نفس الصفحه .

الى قطانيه فقتل وخرب نواحيها ، وسبى وغنم ثم انصرف الى بلرم في ذى الحجة . (١)

ولاية الحسين بن أحمد (٢٧٠-٢٧١هـ/٨٨٣-٨٨٤م)

ولا يوجد لدينا رواية تثبت كيف انتهت ولاية محمد بن الفضل الا رواية واحدة عن ابن الخطيب إذ قال " ثم عزلة في ربيع الأول سنة سبعين ومائتين (٢) " وهذا يعنى أن الامير الأغلبى إبراهيم ابن أحمد عزله ، وأما خلفه ، وهو الحسين بن أحمد فنعرفه من رواية ابن الاثير الذى يذكر بعد سرد ما قامت به سرية سنة ٢٧١هـ/٨٤-٨٨٥م في منطقة رمطة من تخريب ، وبعد عودتها بالغنائم والسبي ، ان امير صقلية الحسين بن أحمد توفي (٣) ، وذلك من غير مقدمات عن عزل محمد بن الفضل أو تولية الحسين بن أحمد . المهم أن الحسين بن أحمد تولى صقلية سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م ، وهذا يجعلنا ننسب له عزوة سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م .

---

(١) ابن الاثير : نفس المصدر ، ص ٥٠
(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ١١٧
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق حـ ٦ ص ٥٩

ولاية سوادة بن محمد بن خفاجة : (٢٧١-٢٧٣هـ/٨٨٤-٨٨٦م)

ثم تولى صقلية احد أفراد أُسرة خفاجة بن سفيان وهو حفيده سوادة بن محمد بن خفاجة ، وذلك سنة ٢٧١هـ/٨٤-٨٨٥م ، وهو الذى سيعيد لنا سيرة والده وجده العطره في صقلية .

في بداية ولايته خرج بنفسه في عسكر كبير الى مدينة قطانية فأهلك مافيها . ثم توجه سواده بعد ذلك الى طبرمين فقاتل أهلها وافسد زرعها ، وفي أثناء تقدمه فيها اضطر البطريق قائد الحامية الرومية وحاكم المدينة ان يرسل رسولاً من قبله يطلب من سواده بن محمد هدنه وبعد المفاوضات بينهما كان اعطاؤهم الهدنة بشرط أن تكون لمدة ثلاثة أشهر في مقابل فداء ثلاثمائة أسير من المسلمين يدفع بهم الروم الى سوادة . عندئذ رجع الى بلرم .(١)

وما أن انتهت فترة الهدنة أى الثلاثة اشهر في ربيع سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م حتى عاد سوادة بن محمد يسير السرايا الى أراضى الروم في الجزيرة تفسد وتخرب وترجع بالغنائم والسبى .(٢)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص ٥٩ .

(٢) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٧١ .

مماسبق سرده من أحداث نجد أن اكثر اعتمادنا كان على كتاب ابن الاثير في جمع معلوماتنا عن فتوح المسلمين في صقلية . لكن للاسف نجد أن رواية ابن الأثير في هذا الصدد تأتى الى سنة ٢٧٢هـ/٨٥-٨٨٦م وتنقطع ، ولا تعود لسرد بقية احداث صقلية الا بعد خمس عشرة سنة اى في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م وسوف نعتمد على ابن عذارى في تكملة هذا النقص من رواية الفتوح الإسلامية في صقلية .

عزل أهل بلرم سواده وارساله الى افريقية :

في سنة ٢٧٣هـ/٨٦-٨٨٧م رأى اهل بلرم أن سوادة بن محمد ليس بالرجل الذى يصلح لإدارة صقلية حكماً وحرباً وخاصةً بعد ما أنزله الروم في العام الذى مضى بأهالى مدينة سبرينه ومدينة منتيه في إيطاليا ، فأعلنوا خلع طاعته وقاموا بالقبض عليه وعلى أخيه واهله وبعض رجاله وارسلوهم مكبلين بالأغلال إلى أفريقية . وفور إرساله إجتمع الأهالى في بلرم وولوا على أنفسهم بدلاً عنه أبا العباس ابن على . (١)

ولاية أحمد بن عمر بن عبدالله بن ابراهيم بن الاغلب المعروف بحبشي (٢٧٣-٢٨٧هـ/٨٨٦-٩٠٠م)

ولم يوافق إبراهيم بن أحمد أميرأفريقية على إمارة أبى العباس ابن على الذى اختاره المسلمون في بلرم لأنه -

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص.١٢٠ - ابن الخطيب المصدر السابق ، حـ٣ ، ص١١٧

ـ فيما يبدو ـ كان يريد واليا قويا يستطيع أن يضبط الأمور في صقلية ويقف أمام سرايا الروم المتكررة هناك . وقد وقع اختياره على واحد من بطانته وقرابته وهو أحد أحفاد ابراهيم بن الأغلب الكبير مؤسس دولة الأغالبة ، وهو أبو مالك احمد بن عمر بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب المعروف بحبشي . وكان من القواد المعروف عنهم الشجاعة والبطولة . وليس ثمة شك في أن سبب اختياره يرجع أيضا الى أن الأمير إبراهيم بن أحمد أراد الإعتماد على جاهه وفضله ومكانته ليرجع الى المسلمين في صقلية ثقتهم في واليهم وليثبت لأهل صقلية مدى اهتمام القيروان بهم وبهذه الجزيرة ومن ثم كانت ولاية حبشي ولاية شرفية وأشبه بسفارة منها بإمارة ، وذلك لأن المعارك التي دارت في الجزيرة في سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م لا يذكر ابن عذارى فيها إسم حبشي ، وربما يرجع ذلك الى أن هذه المعارك كانت بقيادة أحد رجاله ، أو لأنه كان يقيم بإفريقية ويرسل من ينيب عنه في إمارة الجزيرة وقيادة جيوشها الإسلامية .(١)

سوادة بن محمد للمرة الثانية : ٢٧٦-٢٧٨هـ/٨٨٩-٨٩١م)

وفي سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م توجهت سرية صائفه الى طبرمين ، ويذكر ابن عذارى أنها كانت بقيادة سوادة بن محمد الذى قام بحصار المدينة (٢) . وهذه الرواية تعني أنه ربما أعاد الأمير إبراهيم ابن أحمد أمير إفريقية سواده بن محمد لصقليه ليس واليا عليها

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص٢٧٣

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٢١

وانماليعمل تحت إمرةحبشي أو نائبا عنه هناك .

محمد بن الفضل ايضا لثاني مرة : (٢٧٨-٢٨٧هـ/٨٩١-٩٠٠م)

كذلك نجد أن محمد بن الفضل يعود واليا لصقلية للمرة الثانيةوذلك في سنة ٢٧٨هـ/٨٩١ م (١) ، لكن يبدو أنه لم يصل صقليه إلا في السنة التاليه . فحسب ماذكرته الروايات التاريخيه كان دخوله بلرم عاصمة المسلمين بصقليه في يوم ٢ من شهر صفر ٢٧٩هـ/١٧ يناير ٨٩٢م. (٢)

ويبدو أن الوضع في أفريقية كان مضطربا ، فقد كان الأغالبه أمراء البلاد يعانون من الاضطرابات والقلاقل . أولاً بسبب إنحياز بعض قبائل البربر الى ابى عبد الله الشيعى داعي الفاطميين في بلاد المغرب ، وثانياً بسبب العداء بين العرب والبربر في أفريقية . وثالثاً بسبب الحرب بين الطولونيين والاغالبة فيما بين سنتى ٢٦٧ ، ٢٨١هـ /٨٨٠ ، ٨٩٤م. فكل هذه الأسباب أدت الى وقف الحملات التى كانت تخرج لإستكمال فتح صقلية . (٣) بل انه نتيجة لهذه العوامل التى تعرضت لها إمارة الأغالبة في أفريقية وافق الأمير إبراهيم بن أحمد على أن

---

(١) نفس المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٢٢

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٢٢ ، احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٩٣

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٢٨ - صابر دياب : المرجع السابق ، ص٨٩

يعقد أهل صقلية في سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م صلحاً مع الروم وإن كانت شروطه ليست في صالح المسلمين ، وكانت شروطه ان يطلق الروم سراح ألف اسير مسلم في مقابل ان يقدم أهالي صقليه رهائنهم الى الروم ،ضمانا للوفاء في كل ثلاثة اشهر ثلاثة من العرب، وثلاثة من البربر ، وأن يكون هذا الصلح لمدة أربعين شهراً . (١)

الفتنة بين العرب والبربر :

في سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م اشتدت الاضطرابات في إفريقيه وكان لها تأثيرها على جزيرة صقلية التى قامت فيها فتنة بين عربها وبربرها . وكانت تصل للأمير إبراهيم بن أحمد أخبار هذه الفتنة عن طريق صاحب البريد الذى كان يعلمه بأسماء المتسببين فيها . وفي خلال ذلك وردت كتب من الأمير إبراهيم بن أحمد الى المسلمين في صقلية يدعوهم الى الرجوع لطاعته ، ويتعهد لهم بالأمان أجمعين ، إلا بعض زعماء الفتنه فلم يعطهم الأمان وطلب من المسئولين في صقلية القبض عليهم ، وهو أبو الحسن يزيد وولديه ، والحضرمي (وهو زعيم عربى لا نعرف الا لقبه هذا) فألقى القبض عليهم . وأرسلوا إلى أمير إفريقيه إبراهيم بن أحمد في نفس السنة . وعند ما وصلوا إلى حضرة الأمير تناول أبو الحسن سماً فمات لساعته ، ثم أمر الأمير بقتل ولديه ، كما قتل الحضرمي

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٢٩

ضربا بالمقارع بين يديـــه . (١)

ولاية ابي العباس بن إبراهيم بن أحمد : (٢٨٧-٢٨٨هـ/٩٠٠-٩٠٠، ٩٠١م)

ذكرنا فيما سبق أن الأمير إبراهيم بن أحمد أمير إفريقيـــه كان قد إستعمل على ولاية صقلية أبا مالك أحمد بن عمر الأغلبى المعـروف بحبشي في الفترة المضطربة التى مضت ، وكان ذلك سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م وذكرنا أيضا ان ولايته ربما كانت سفارة شرفيه لعدم ورود إسمه في المعـارك التى كانت تدور في صقلية بين المسلمين والروم . أو ربما يكون قـد عزل بعد فترة قصيرة من ولايته السابقة ثم عاد للولاية مرة أخـرى الا أنه سرعان ماصُرف عنها وولى الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبى إبنــه أبا العباس الذى كان قائداً محنكاً وقام بإخماد فتن كثيرة من قبل فـي إفريقيـــة . (٢)

وكان وصول أبى العباس الى الجزيرة في غرة شعبان سنـــة ٢٨٧هـ/١ أغسطس ٩٠٠م في مائة وعشرين مركباً وأربعين حربيـــاً (اى السفن الحربية) (٣) . وقد وصل أبو العباس في وقت كانـت الفتنة على أشدها ، فطرفا النزاع سواء العرب أو البربر كان كل منهمـا

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ص١٣١ - احمد توفيـق المدني : المرجع السابق ، ص ٩٤ (وهو يذكر اسم الحضرمـى هو" عبد الله الحضرمي" .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق جـ٢ ، ص٢٧٦

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٩٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٣٠٣ - (يذكر وصوله في مائـة وستين مركباً)

يقيم في مكان بعيد عن الآخر . فالعرب يقيمون في بلرم ، أما البربر فكانوا يقيمون في جرجنت ، وكان العرب في بلرم يهاجمون البربر في جرجنت ، وبخبرته في هذه الحروب ومعرفته بظروف الفتنة في الجزيرة توجه بأسطوله الى مدينة طرابنش(١) الرومية ونزل إليها وحاصرها . (٢)

وعند ما علم عسكر بلرم بوصول ابى العباس تركوا قتال البربر في جرجنت وعادوا الى بلرم ، وأرسلوا جماعة من شيوخهم ، وعلى رأسهم قاضى المدينة بطاعتهم له واعتذارهم عن قصدهم جرجنت وقتالهم أهلها ، وبعد استماعه لهم سمح للقاضى بالعودة وحجز جماعة المشايخ عنده . (٣) ثم بعد ذلك وصل اليه جماعة من أهل جرجنت وشكوا له من أهل بلرم وأخبروه أنهم مخالفون عليه وأنهم سيروا مشايخهم خديعة ومكراً وأنهم لا إيمان لهم ولا عهد ، وطلبوا منه ليعلم صدق كلامهم أن يختبر صدق نواياهم (أى أهل بلرم) بأن يرسل في طلب بعض زعمائهم وحددوا له أسماءهم . (٤)

---

(١) طرابنش : هي مدينة صغيره الساحه ، غير كبيرة المساحة ، مرساها من احسن المراسي ، وأوفقها للمراكب بينها وبين تونس مسيرة يوم وليله ، فالسفر منها واليها لا يتعطل شتاء / ولا صيفا الا ريثما تهب الريح الموافقة فمجراها في ذلك مجرى المجاز القريب (ابن جبر : رحلة ابن جبير ، ص٣٠٨)

(٢) ابن الاثير : نفس المصدر ، نفس الصفحه - ابن خلدون : نفس المصدر : نفس الصفحه ، (وهو يذكر اسم المدينة طرابه بدلا من طرابنش) .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ١/ ، ص١٣١ - ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص٩٧ .

(٤) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

فماكان من أبى العباس الا أن أرسل الى بلرم ثمانية من مشايخ أهل افريقية يطلبون حضور الأشخاص الذين عين أسماءهم أهل جرجنت أمام الأمير أبى العباس. لكن أهل بلرم إمتنعوا عن اجابة هذا الطلب ، وليس هذا فحسب ، بل قاموا بحبس المشايخ الافريقيين المرسلين لهم وذلك كما يقول ابن عذارى" مكافأة لفعله في مشياخهم " . (١)

هكذا أصبح خلاف أهل بلرم للأمير الأغلبى جهاراً ، فجهزوا عسكرهم وحشدوا حشودهم وتوجهوا في منتصف شعبان / ١٦ أغسطس لمقاتلة ابى العباس في طرابنش وعلى رأسهم مسعود الباجي ، وركمويه وهو رجل تسميه رواية ابن الاثير (امير السفهاء) ، وبجانب هذا الجيش البرى ، سير أهل بلرم الى طرابنش اسطولا في البحر مكونا من نحو ثلاثين قطعه ، وذلك لتكون الحرب متكاملة برا وبحرا ولكن الله لم يرد لهم النصر اوالقتال ، فقد هاج البحر على أسطولهم، فعطب أكثره ومن بقى عاد الى بلرم . اما بالنسبة لجند أهل بلرم في البر فلقد وصلوا الى أبى العباس فكان بينهم قتال شديد ، قتل فيه منهم عدد كبير لكنهم افترقوا ثم عادوا للقتال من جديد في يوم ٢٢ شعبان / ٢٢ اغسطس ، واستمر القتال الى وقت العصر ، فكانت نهايته الهزيمة لاهل بلرم ، وتبعهم ابوالعباس الى بلرم براً وبحراً . (٢)

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٣١ - ابن الاثير : نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحه (إلا إنه يذكر ان أبا العباس اعتقل مشايخ اهل بلرم بعد أن علم برفضهم طلبه ، وانه لم يعتقلهم سابقا بل كانوا أشبه بالضيوف عندهم

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق ، حـ٦ ، ص٩٧ - ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٣١

ولكن اهل بلرم لم ييأسوا بل استعدوا مرة أخرى . وعندما سمعوا باقتراب ابى العباس من بلرم عادوا لقتاله وذلك في ١٠ رمضان / ٨ سبتمبر ٩٠٠م . واستمر القتال بينهم من الصباح الباكر الى العصر ، فكانت الهزيمة من نصيب أهل بلرم ، الذين استمر القتل فيهم الى المغرب . (١)

وقد انتهت فتنة أهل بلرم بسيطرة ابى العباس عليها ودخوله المدينة واعطائه الأمان لأهلها في تعيين قواده على أرباضها في ٢٠ رمضان / ١٨ سبتمبر هذا وقد نهبت اموال المدينة، كما هرب كثير من رجالها ونسائها الى طبرمين . أما بالنسبة لركمويه واصحابه من رجال الحرب فقد فروا الى بلاد النصرانيه كالقسطنطينيه وغيرها . ثم أخذ أبو العباس جماعة من وجوه أهل بلرم فوجههم الى أبيه بإفريقية . (٢)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ﺣ٦ ، ص ٩٧

(٢) ابن الاثير : نفس المصدر ، ونفس الصفحه ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ﺣ١ ، ص ١٣١ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ﺣ ٤ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ (وروايته عن هذه الفتنة مختصره اذ يقول " وانتقض عليه اهل بلرم واهل كبركيت - يقصد جرجنت - وكانت بينهم فتنة فاغراه كل واحد منهم بالآخرين ثم اجتمعوا لحربه وزحف اليه اهل بلرم في البحر فهزمهم ولستباحهم وبعث جماعة من وجوهها الى ابيه وفر آخرون من اعيانهم الى القسطنطينيه واخرون الى طرميس - اى طبرمين - فاتبعهم . .)

غزو طبرمين وقطانيــــه :

ثم توجه أبو العباس بعد ذلك لمتابعة مسيرة الجهاد في صقلية بعد أن هدأت الأمور في بلرم ، فسار إلى طبرمين فقطع كرومهـــا ، وقاتل الروم المقيمين بها ، ثم رحل إلى قطانيه جنوباً فحاصرهـــا ولكنه لم ينل منها غرضاً فرجع إلى بلرم . (١)

ثم في سنة ٢٨٨هـ / ٩٠٠م غزا أبو العباس د منش ، وريو في الأرض الكبيرة ثم رجع بعد ذلك إلى مسينا وعند وصولـــــه لها هدم سورها ، وفي هذه الأثناء اذا به يفاجأ بأسطول بيز نطـــي وصل لتوه من القسطنطينيه قرب مسينا فهزمه واخذ منه ثلاثيـــن مركباً . وعاد إلى بلرم ، ليقضي بها الشتاء (٢)

استدعاء أبي العباس الى أفريقية وتوليه عرش الأغالبة :

و مكث أبو العباس ببلرم إلى سنة تسع وثمانين فأتاه كتـــاب أبيه إبراهيم يأمره بالعودة إلى إفريقية سريعـاً وامتثل أبو العبـاس لطلب والده ، فرجع إلى إفريقية جريدة في خمس قطع من المراكـــب المسماة الشواني ، وذلك بعد أن ترك قيادة جنده في يد ولديـــه

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص٩٧ - ابن خلدون : المصدر السابق : حـ٤ ، ص٢٠٤

(٢) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ، ص٩٨ - ابن خلدون : نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

أبي مضر (زيادة الله) وابي معد . (١) وبذلك انتهت ولاية أبي العباس لصقلية والتي استمرت حوالي سنتين ، قضى فيها على الفتنة ، ونشر الأمن والأستقرار في نفوس الناس، وأقر الامور بصقلية ، ومن ثم أعاد الجهاد في صقلية وايطاليا كسابق عهده من العز والمجد والغزوات المتتابعة . وما إن وصل ابو العباس لإفريقيه حتى استخلفه أبوه بها كنائب لهعلى البلاد في حين قرر الأمير ابراهيم بن أحمد التوجه إلى صقليه مجاهداً لأنه كان ينوى الحج بعد الجهاد . وقد كان في إمكانه الحج عن طريق مصر ولكنه خشي أن يمنعه صاحبها ابن طولون فتجرى بينهما حرب فيقتل المسلمون لذلك آثر التوجه للحج عن طريق القسطنطينيه مروراً بصقلية وبذلك يجمع بين الحج والجهاد ويفتح ماتبقى من حصون صقلية. (٢)

وقد ذكرت سابقاً أنه كانت قد أصابته نوبات هستيريه جنونيه فقام بأعمال ظالمة ظلم فيها أهله وخدمه وبطانته . (٣)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق حـ٦ ، ص ٩٨

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص٥ (كان فتح القسطنطينيه عن طريق البر أملاً يراود المسلمين بعدان فشلت الحملات البحرية الثلاثة التي وجهها الأمويون لفتحها . ولقد راود هذا الأمل المسلمين في الأندلس بعد أن انساحت فتوحاتهم في بلاد غاله ، غير أن هزيمتهم في موقعة بلاط الشهداء قضت على هذا الأمل . وهاهوذا الأمل يعود في فتح القسطنطينيه عن طريق البر بعد أن نجح الأغالبه في فتح صقليه ، وجنوب إيطاليا ، وليس ببعيد أن الأمير الأغلبى إبراهيم بن أحمد اراد ان يتوج جهاد المسلمين في صقلية وفي جنوب إيطاليا بهذا الفتح الكبير فتح القسطنطينيه .

(٣) انظر قبل ، ص٢٠٥-٢٠٦ ،

ولكنه في سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م أظهر التوبة والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة ، فكان بعد ذلك أمره بإستدعاء أبنه أبى العباس من صقلية ثم قراره الجهاد فيها . (١) الا أن ابن خلدون يذكر رواية اخرى كانت السبب في استخلافه ابنه والرحيل للجهاد فيقول " وجاء في هذه السنه رسول المعتضد بعزل الأمير إبراهيم لشكوى اهل تونس به فاستقدم ابنه أبا العباس من صقلية وارتحل هو إليها . . " . (٢)

المهم أن الأمير إبراهيم بن أحمد أخذ يستعد للجهاد فأخرج جميع ما ادخره من المال والسلاح . واستنفر الناس، ودعاهم إلى الجهاد ووزع الأموال الطائلة عليهم. وسار بعد ذلك إلى سوسة في مطلع سنة ٢٨٩هـ/٩٠١ -٩٠٢م فدخلها وعليه فرو مرقع في ذى الزهاد - وما إن اطمأن إلى تمام التجهيزات للحملة حتى سارع بالإبحار من سوسة فى أسطول ضخم متوجهاً إلى صقلية في آخر ربيع الآخر من نفس السنة. (٣)

جهاد إبراهيم بن أحمد في صقليه : (٢٨٩- الى ١٨ من ذى القعدة ٢٨٩هـ/٩٠١-٢٥ اكتوبر ٩٠٢م)

وكان وصوله لصقلية ونزوله مدينة نرطنوا (Neritinum)

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٣٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٣٤

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٢٠٤ - حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص٨٩

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص٥ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٤٠١ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ، جـ٢ ص ٢٨١

في ٢٨ رجب سنة ٢٨٩هـ فامتلكها ، وكانت السياسة التي أظهرها إبراهيم بن أحمد في صقلية تتسم بالعدل والإحسان للرعية (١) . وربما كان ذلك لكي يستفيد من أهالي صقلية في جهاده ، حتى قيل إنه فرق الخيل والسلاح على أصحابه وأمر بالعطاء ، فأعطى الفارس عشرين ديناراً والراجل عشرة . (٢) ثم توجه في البحر إلى طرابنش حيث أقام هناك محاصراً لها سبعة عشر يوماً أعطى اثناءها الارزاق لمن معه . ثم سار بعد ذلك إلى بلرم فوصلها في ٢٧ شعبان /٨ أغسطس وهناك بقي أربعة عشر يوماً وزع فيها الأرزاق على أهل بلرم وعلى من بها من الغزاة البحريين ، كما أمر برد المظالم. (٣)

فتح طبرمين وامتلاك المسلمين لها نهائيا :

ثم سار إبراهيم بن أحمد متوجهاً إلى طبرمين التي كانت غاية وهدف كل والٍ من ولاة صقلية أن يفتحها ويمتلكها . وما إن عرف أهالي طبرمين بغاية الأمير إبراهيم ، حتى استعدوا لقتاله . فما إن وصل الأمير الأغلبي لأسوار المدينة حتى خرج

---

(١) ابن الاثير: نفس المصدر السابق، ونفس الصفحه - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٢٠٤ (الإ إنه يذكر انه نزل مدينة طرابنه وليس نرطنوا كما ذكر ابن الاثير ثم تحول عنها إلى بليرم) .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٨١

(٣) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

حماة طبرمين من الروم للقائه . وهنا أخذ القراء يقرأون الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد لكي تحمس قواته وتهيأهم للقتال فقرأ القارىء " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً " (١) فقال له الأمير أن يقرأ" هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ " (٢) . وما إن انتهى القارىء حتى دعا الأمير إبراهيم ربه فقال : اللهم إني اختصم انا والكفار إليك في هذا اليوم . وعند انتهائه من الدعاء حمل ومعه أهل البصائر فهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاءوا وبلغ من شدة هجومهم الجند الاسلامي وتصميمهم على امتلاك هذه المدينة أن الروم لم يستطيعوا الإحتماء خلف أسوار المدينة . فبعد أن انهزموا وأخذوا يفرون من وجه المسلمين سارعوا بالإنسحاب إلى داخل أبواب المدينة . ولكن المسلمين كانوا يدخلون خلفهم المدينة عنوة ، فما كان من بعض الروم إلا ركوب مراكبهم الموجودة في الميناء والهروب بها من المسلمين . والبعض الآخر لجأ إلى حصن المدينة ، فحاصرهم المسلمون "وقاتلوهم فأستنزلوهم قهراً وغنموا اموالهم وسبوا ذراريهم"، وكان هذا الفتح العظيم في ٢٢ شعبان سنة ٢٨٩هـ/٢ اغسطس ٩٠٢م . ثم أمر الأمير إبراهيم بن أحمد بقتل المقاتلة ، وبيع السبى والغنيمة . (٣)

وماكادت تتصل أخبار سقوط طبرمين في يد المسلمين في

---

(١) سورة الفتح : آية (١)

(٢) سورة الحج : آية (١٩)

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص٦ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص٢٨١-٢٨٢

صقلية إلى مسامع الامبراطور البيزنطى (ليو السادس) في القسطنطينية حتى تألم كثيراً لهذا الخبر المشئوم وأعلن الحداد وبقى سبعة أيام لا يلبس التاج وقال : لا يلبس التاج محزون (١) ثم عزم الروم على المسير إلى صقلية ليمنعوا المسلمين من الاستيلاء عليها ، لكن بلغهم أن إبراهيم بن أحمد ماخرج الا للحج والجهاد وسوف يسير للقسطنطينيه (بعد إتمام فتح صقلية وإيطاليا) ومنها يتجه إلى مكة . من أجل ذلك احتاط الأمبراطور البيزنطى ليو السادس للأمر فترك في القسطنطينيه جنداً كثيراً ، وفى نفس الوقت سير جنداً كثيراً إلى صقلية . (٢)

مواصلة إبراهيم بن أحمد فتوحه :

وبعد هذا النصر العظيم الذى ناله الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبى في طبرمين اخد يبث السرايا إلى مدن صقلية التى مازالت في يد الروم فوجد بعضها قد تركها أهلها ، وجلو عنها ، مثل قلعة ميقش (٣) (بيقش) التى أرسل لهاجمتها حفيدة زياد اللّه بن أبى العباس ، وكذلك دمنش(٤) فقد سير إليها ولده أبا الأغلب. والبعض الآخر من اصحاب القلاع عرضوا على جند الأمير إبراهيم الصلح معهم على دفع الجزية إلا أنهم لم يقبلوا منهم غير تسليم

---

(١) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ، نفس الصفحه ، احسان عباس المرجع السابق ، ص ٣٩

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص٦

(٣) متيقش(ميقش) حصن بصقلية منيع يقع قريبا من مسينا ويطل على البحر (السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٨ هامش ٢)

(٤) دمنش : من مدن صقلية على البحر (ياقوت : المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٤٧٢).

القلاع فما كان من الروم سوى الإذعان فتسلمها المسلمون وهدموها (١)
مثال ذلك : مدينة رمطة التى كانت معقلاً من معاقل الروم
شرقى الجزيرة ، يقع جنوبي طبرمين (٢) ، فقد سير لها أبنه أبا محرز (٣)
ومدينة الياج التى أرسل إليها سعدون الحلوى . (٤)

ولاية زيادة الله بن ابي العباس صقلية : (من ذى القعدة ٢٨٩- الى ٢٠ جمادى الاخرة من سنة ٢٩٠هـ/ ٢٥ اكتوبر ٩٠٢ - ٢٢ مايو ٩٠٣م) .

ثم توجه الأمير إبراهيم بن أحمد لجنوب إيطاليا لتكملة فتوحه ، ولكنه توفى هناك وهو يحاصر مدينة كسنته -كما سيأتى فيما بعد في الفقرة التالية عن فتوح الأغالبة في جنوب إيطاليا- فحمل حفيدة زيادة الله جسده وعاد به إلى بلرم حيث دفن هناك وتولى هو من بعده ولاية صقلية . (٥)

لكن لم تمتد ولاية زيادة الله طويلا لصقلية فلم تكد تبلغ الستة أشهر حتى استدعاه والده أمير إفريقيه أبو العباس للقدوم إليه . ويذكر ابن الاثير أن سبب استدعائه انه قد بلغ أبا العباس

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٦ ؛ ص ٦
(٢) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٩٧
(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، حـ٢ ص ٤٠٢ -
سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ص٢٨٣ -
(يذكر أن الأمير إبراهيم ارسل لرمطه ابنه ابو مضر)
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السلبق ، حـ٢،ص ٢٨٣
(٥) انظر فيمابعد فقرة فتوح الاغالبه في جنوب إيطاليا
ص٢٤١ - .

أن ولده يعتكف على اللهو وادمان شرب الخمر. (١) إلا أن ابن عذارى يذكر سبباً آخر لذلك ربما يكون أقرب إلى الصحة إذ يقول إنه حثه " على القدوم عليه من صقلية ، لأنه وشى به إليه أنه يريد الانتزاء عليه " (٢) وماإن قدم إليه في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٢٩٠ هـ/٢٢ مايو ٩٠٣م حتى " قبض أبو العباس على ماكان معه من الأموال والعدة ، وحبس زيادة الله في بيت داخل داره ، وحبس ناساً من أصحابه " . (٣)

ولاية محمد بن السرقوسي صقلية : (٢٩٤-٢٩٥هـ/٩٠٦/٩٠٧م)

ثم عهد أبو العباس بولاية صقلية إلى القائد - الصقلى الأصل - محمد بن السرقوسى (٤) ، ويبدو أنه من أبناء المسلمين الأوائل الذين جاءوا لصقلية مجاهدين فاتحين ، وربما يعنى هذا أن أمراء الأغالبة آثروا ترك جبهة صقلية لأهلها وذلك لما كان يسببه لهم الأمراء المبتعثين من إفريقيه لولاية صقلية من متاعب ، وخاصة أنهم في هذا الوقت في حاجة لتكريس جهودهم للتغلب على الدعوة الشيعية التى استفحل امرها وأصبحت تشكل خطراً داهماً على الأغالبة في إفريقية . وقد حاول محمد بن السرقوسي

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص ١٠٣
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٣٤
(٣) ابن عذارى : نفس المصدر ، ونفس الصفحه .
(٤) ابن الاثير: المصدر السابق، حـ ٦ ، ص ١٠٣

جمع كلمة المسلمين في صقلية وتهدئة الأمور بها . ولم تذكر لنا المصادر شيئاً عن فتوحاته في صقلية أو في جنوب إيطاليا ، اذ كانت دولة الأغالبة في النزع الأخير من حياتها .

وظل محمد بن السرقوسي والياً على صقلية إلى أن توفي سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م(١) او سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م على قول آخر ، بعد أن عُزل من الولاية . (٢)

أثر الدعوة الشيعية فى أوضاع صقلية :

كانت بداية الدعوة الشيعية في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد الذى كان ظهور الداعى لهذه الدعوة أبو عبد الله الشيعى (٣) في عهدة

---

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٠٦

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص٨٥٢

(٣) هو ابو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعى من اهل صنعاء باليمن ولذلك لقب الصنعاني ، وكان ابوعبد الله يعتنق او الامر عقائد الاثناعشرية ، كما كان يُعرف بالمعلم لانه كان يقوم بتعليم هذا المنهب قبل ان يعتنق مذهب الاسماعيليه كما كان يطلق عليه اسم الصوفي ، لانه كان يلبس الاردية الخشنة ومرقعات الصوف وسمى المحتسب لانه كان ولى الحسبة في بعض اعمال بغداد ، فلما اتصل بمحمد الحبيب ابى عبد الله المهدى آنس فيه الكفاية والذكاء فاوفده إلى بلاد اليمن سنة ٢٧٨هـ ، فاتصل بابن حوشب داعى دعاة الاسماعيلية في هذه البلاد وصار من كبار أصحابه ، ثم كان امر ارسالة للدعوة في المغرب العربى) لمزيد من المعلومات ارجع الى ابن خلكان : المصدر السابق ، حـ٢ ، ص١٩٢-١٩٣ - المقريزى : اتقاظ الحنفا حـ١ ، ص٥٥ إلى ٥٨ - ابن أبى دينار - المونس في اخبار افريقيا وتونس ، ص٥٤ - ابو الفداء - المختصر في اخبار البشر حـ١ ، ص٦٠-٦٦ - عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ص٨٩ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطميه ، ص٤٧ - محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص١٩ .

بأرض كتامه بإفريقيه والذى كان يدعو إلى آل البيت - وقد وصلت الأخبار إلى الأمير الأغلبى بأن البربر أخذوا في الانضمام لدعوته لكنه في بداية الأمراستصغر أمره واحتقره . (١) وكان سبب تصغيره له أنه عندما سمع بخبره أرسل إلى عامله على ميله يسأله عن أمر الشيعى " فصغره عنده ، وذكر أنه يلبس الخشن ، ويأمر بالخير والعبادة ، فسكت عنه (٢)" . وكان أبو عبد الله الشيعى إلى جانب حسن قيادته للجيوش وخوضه للمعارض والحروب عالماً أديباً شاعراً وكان يحارب جيوش الأغالبة باسم عبيد الله المهدى الذى يعتبر صاحب هذه الدعوة وهو جد الخلفاء الفاطميين . (٣)

وقد ساعدت أحوال البلاد المضطربة أبا عبد الله الشيعى في نشر دعوته فقد تمنّعت بلاد إفريقية على الأمير إبراهيم بن أحمد وخالفته ، وانتزت عليه بعضها ،فقد خالفه أهل تونس والجزيرة والأربس وباجه (٤) وقمودة ،واخذوا يولون على أنفسهم رجالاً من جندهم وذلك بسبب ماكان يرتكبه الامير الأغلبى من ظلم لهم

---

(١) ابن ابى دينار: المصدر السابق ، ص ٥٢- ٥٤

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص٥٧

(٣) ابن الآبار :المصدر السابق حـ١ ، ص ١٩٤

(٤) باجه : بلد بافريقيه ، بينها وبين تنس يومان (ياقوت : المصدر السابق ، م١ ص ٣١٤) .
ويذكر ابو الفداء عنها قوله " وباجه من افريقيه .... مدينة كبيرة ولها بساتين قليله ولها عيون ماء وهى مسورة حصينه في مستو من الارض وهى عن البحر على نحو مسيرة يوم .. وبين باجه والقيروان خمس مراحل" ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٤١

لهم حتى صارت البلاد الإفريقيه ناراً موقده على الأمير، ولم يبق من أعمالها الا الساحل والشرق الى اطرابلس ، وكان الأمير يقيم في رقاده (١) فاغلق ابوابها الحديد عليه، وجمع حوله من يثق بهم ، وجعل لحمايته جنوداً من السودان بلغ عددهم حوالى خمسة الاف جندى . (٢)

ولما دخلت قبائل كثيرة في دعوة ابى عبد الله الشيعى شكل لهم ديوانا ، وأمرهم أن يصبحوا جنودا لديه يعملون على نصرته ونصره دعوته وطالبهم بالطاعة للإمام المعصوم من آل البيت . (٣)

واستمر الحال في ازدياد قوة وانصار ابى عبد الله الشيعى في الوقت الذى اخذت فيه دولة الاغالبة في الضعف ولم يدخر

---

(١) رقادة : بلده كانت بإفريقيه بينها وبين القيروان اربعة ايام واكثرها بساتين ، ولم يكن بإفريقيه اطيب هواء ولا اعدل نسيما وارق تربة منها . . والمعروف ان الذى بنى رقادة إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م في جنوب القيروان ، وانتقل اليها من مدينة القصر القديم فلم تزل بعد ذلك دار ملك لبنى الاغلب الى أن هرب عنها زيادة الله من أبى عبد الله الشيعى (ياقوت الحموى : المصدر السابق م٣ ، ص٥٥ ، ٥٦ - عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، ص ٩٠).

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١، ص١٢٨

(٣) المصدر السابق ، ص١٢٣ .

الأمير إبراهيم بن أحمد وسعا في القضاء على دعوةابى عبد الله الشيعى ، فقد حاول جذبه واستمالته إليه في بادئ الأمر ، فأرسل اليه رسالة يعده ويتوعده فيها ، لكن أبا عبد الله الشيعى لم يستجب له ، ورد على رسالة الأمير الأغلبى برسالة دل فيها على جرأته وتصغيره وتحقيره لشأن الاغالبة ، كما كشف له في هذه الرسالة عن حقيقة ، وأنه صاحب دعوة لا يثنيه عنها إغراء أو ترهيب.(١) فما كان من الأمير إبراهيم بن أحمد سوى اللجوء الى الحل الثاني وهو محاربة أبى عبد الله الشيعى للقضاء عليه ، فأرسل له حملة في سنة ٢٨٧هـ / ٩٠٠ م انتهت بالإخفاق ، ثم أرسل له حملة اخرى كان مصيرها كسابقتها الهزيمة . (٢)

وفي سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م لم يكتفى أبو عبد الله الشيعى بنشر الدعوة الفاطمية بإفريقية ، بل اخذ يعمل على بسط نفوذها بها ، فوقعت في يده عدة مدن (٣) . من أجل ذلك وفي نفس هذه السنة بعد أن اعلن الأمير إبراهيم بن أحمد التوبه والتوجه لصقلية للجهاد أرسل حملة بقيادة ابنه الاحول عدتها اثنا عشر الفا واتبعهم بمثلهم لقتال أبى عبد الله الشيعى ، فالتقى به وهزمه وقتل من رجاله الكثير ، فانسحب أبو عبد الله الشيعى

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٠

(٢) حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ، حـ٣ ، ص ١٩٨

(٣) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢١

الى جبل ايكجان . أما الاحوال فوصل الى مدينة تاصروت فأحرقها هي ومدينة ميله (١) . ثم توغل الاحول في بلاد كتامه فعسكر بها وأرسل سرية تتجسس أخبار أبي عبد الله الشيعى فقابلتها طائفه من اصحابه فهزموهم واتبعوهم الى معسكر الاحول فاضطرب واحفل وفر من بلاد كتامة عائدا الى القيروان. (٢)

وبعد أن تولى ابو العباس عرش الاغالبة سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م بعد وفاة ابيه غازيا في صقلية وجنوب إيطاليا جهز جيشا كبيرا جعل على رأسة اخاه الاحول وأرسله للقاء أبى عبد الله الشيعى وقتاله . فلما بلغ أبا عبد الله الشيعى نبأ هذه الحملة خرج اليها بجيش كبير وتقابل الجيشان عند كموشه وقتل من الفريقين جند كثير وانهزم الاحول ، ولكنه اقام في مقابلة أبى عبد الله الشيعى يادفعه ويمنعه من التقدم. (٣) ثم كان مقتل الأمير أبى العباس يوم الأربعاء آخر شعبان سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م بعد سنة واحدة واثنين وخمسين يوماً من توليته الإمارة. وقد قتله ثلاثة من خدمه الصقالبه وهو نائم ، وذلك ليتولى ابنه زيادة الله عرش الأغالبة ويكون لهم الحظوة عنده ، وأتوا برأسه لابنه زيادة الله الذى كان محبوسا بأمر أبيه ابي العباس، فلما تولى

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص٣٣ (وهو يذكر اسم ابو خوال بدل الاحول)- المقريزى : المصدر السابق حـ١ ص٥٨ ، ومدينه ميله باقصى افريقيه ، بينها وبين بجايه ثلاثة ايام ، وبينها وبين قسطنطينه يوم واحد (ياقوت : المصدر السابق ، م٥ ، ص٢٢٤).

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق، حـ٤ ، ص٣٣- ٣٤

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق، حـ٦ ، ص١٠٣- ابن خلدون نفس المصدر السابق ، ص ٣٤

الحكم أمر بقتلهم . (١)

ومنذ بداية حكمه انعكف الامير زيادة الله على الملذات والشهوات وملازمة الندماء والمضحكين واهمل امور المملكة وأحوال الرعية. (٢) كما ارسل كتاباً يستدعي به عمه الاحول بلسان أبيه ويحثه على السرعه اليه ، وعندما قدم عليه الاحول الذى لم يكن على علم بمقتل أخيه أبي العباس أمر زيادة الله بقتله (٣) ، كما قتل بعض اعمامه واخوته . (٤)

وفي أيام اشتد خطر ابي عبد الله الشيعي وقويت شوكته وعظم امره بعد أن كان الاحول يقف في وجه تقدمه فبعد قتل الاحول لم يجد ابو عبد الله الشيعي مايعيق تقدمه فأخذ يسيطر على المدن شيئا فشيئا . ففتح مجانه عنوة وقتل عاملها ، ثم فتح بعض المدن الاخرى بالامان ، فأخذ تيفاش (٥) ومسكيانه وتبسه (٦) وكذلك القصرين من قمودة . وقد سار اليه إبراهيم ابن الاغلب - وهو من بني عم الأمير زيادة الله - مرسلا من قبل

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص١٠٣ - ابن الابار : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٧٥ - ابن ابي دينار : المصدر السابق ص ٥٣ .

(٢) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ، ص١٢٣ - محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص٢١ - حسن ابراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٠

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص١٢٣ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص٤٣ (وقد ذكر اسماباخوال بدلا من الاحول) - المقريزى : المصدر السابق حـ١ ، ص٥٩

(٤) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحه .

(٥) تيفاش : مدينة ازليه بافريقيه ، شامخة البناء وتسمي تيفاش الظالمه ، ذات عيون ومزارع كثيرة ، وهي في سفح الجبل . (ياقوت : المصدر السابق ، م٢ ، ص٦٦ -٦٧) ويذكر المقريزى انها على ست مراحل من بجاية (المقريزى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص٦٢)

(٥) تبسه : بلد مشهورة من ارض افريقيه ، بينه وبين قفصه ست مراحل وهو بلد قديم به اثار الملوك وقد خرب الا ن اكثرها (ياقوت : المصدر السابق ، م٢ ، ص١٣ - المقريزى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص٦٢)

زيادة الله لقتال أبي عبد اللهالشيعي في جيش قوامه اربعون الفـا وكانت هذه آخر حمله سيرها الامير زيادة اللهلقتال ابي عبد اللـه الشيعي . غير ان هذه الحمله الضخمة كان مصيرها ايضـا الهزيمة على يد أبي عبد الله الشيعي ومقتل الكثيرين من أفرادهـا ثم انسحاب إبراهيم بن الاغلب الى القيروان وابو عبد الله الشيعـي يلاحقة الى ان دخل الأربس فقتل بها خلقا كثيرا ، ثم انصـرف الى قموده . وعندما علم الأمير زيادة الله بخبر انتصار أبي عبد اللـه الشيعي وهزيمة إبراهيم بن الأغلب فر الى الديار المصرية وذلـك في خلافة الخليفة العباسي المقتدر بن جعفر بن المعتضد فكانـت ولايته ست سنين الا شهرين واياما . وبعدها استطاع أبو عبد اللـه الشيعي السيطرة على جميع مدن إفريقية ودخل رقاده وسلمـوا له أهل القيروان مدينتهم وهنأوه بالفتح وكان ذلك في يوم السبـت مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين . وهكذا انتهت دولـة بني الأغلب على يد أبي عبد الله الشيعي ولم يبق بإفريقيه من بنـي الأغلب أحد ، وكانت مدة ملكهم مائةواثنتي عشرة سنة . (١)

أحوال صقلية في أواخر عهد الاغالبـة :-

نتيجة للاضطرابات التي كانت تعيشها أفريقية ، وإنشغـال الأغالبة في محاربة أبي عبد الله الشيعي ، لم تذكر المصـادر

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص١٢٤-١٣٥-ان ابـي دينار المصدر السابق ، ص٥٣-٥٤- المقريزي : المصـدر السابق ، حـ١ ، ص٦٢-٦٣-٦٤- ابن الآبار : المصـدر السابق ، حـ١ ، ص١٧٥ ، ١٧٦ -ابن خلكان : المصـدر السابق ، حـ٢ ص ١٩٣-١٩٤

التاريخية شيئا عن احداث صقلية طوال عهد الأمير زيادة الله الثالث آخر أمراء الأغالبة ، اللهم الا إشارة وحدة في سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦-٩٠٧م عن عودة السفارة التي كان قد أرسلها إلى بلد الروم ، ومعها رسول صاحب القسطنطينيه الامبراطور ليو السادس ، والتى ربما كان هدفها اقرار الهدنة بين الطرفين .(١)

ويذكر احمد توفيق المدنى انه بعد وفاة محمد بن السرقوسي سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م ولى أهل صقلية على انفسهم شخصا يدعى على ابن محمد ليكمل مابدأه السرقوسي من تهدئة الوضع في جزيرتهم وارسلوا للأمير زيادة الله الثالث بأفريقيه بهذا الأمر. غير أن الأمير زياد الله لم يوافق على تولية على بن محمد ، وولى عليهم من قبله احمد بن ابى الحسين بن رباح ، فانصاعوا لامره .(٢)

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ، ص٢٨٥
(٢) احمد توفيق المدنى : المرجع السابق ، ص١٠٦

بداية سلطان الفاطميين في صقلية :

وكانت مدة ولاية احمد بن ابى الحسين بن رباح لصقلية قصيرة لم تتعد السنة الواحدة . فما أن سمع اهالى صقلية بانتصار أبى عبد الله الشيعى على الأمير زيادة الله الثالث وامتلاكه افريقيه وفرار الامير الأغلبي الى مصر في سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م حتى ثاروا على الوالي وقبضوا عليه واخذوا امواله وحبسوه . ثم قاموا باختيار على بن ابى الفوارس واليا عليهم في ١٠ رجب سنة ٢٩٦هـ/١٥ إبريل ٩٠٩م وأرسلوا باحمد بن ابى الحسين ابن رباح الى أبي عبد الله الشيعى ، وطلبوا منه أن يبقى على بن ابى الفوارس واليا عليهم فلبى طلبهم ، وطلب منه مواصلة الجهاد براً وبحراً ، وبذلك أصبح على بن أبى الفوارس أول والٍ على صقلية من قبل الفاطميين . (١)

وهكذا زالت دولة الأغالبة من أفريقية وصقلية ، والتى أمضت حوالى ٨٤ سنة كان فيها أمراء الأغالبة لا ينفكون عن الجهاد في صقلية وفي جنوب ايطاليا ، حتى دانت لهم صقلية بأكملها وجنوب ايطاليا وبعض جزر البحر الابيض المتوسط . مثل مالطه وقوصره ولبندوشه ونموشه . (٢) وكان المجد الحقيقي للأغالبه هو دخول معظم أهالى هذه المناطق في الإسلام بعد أن تذوقوا حلاوة تحرير الدين الإسلامي لهم من ظلم أمراء بيزنطه الاقطاعيين ، وجور الكنيسة الكاثوليكية بروما ، فانتشر الامن والاستقرار في ربوع هذه المناطق وانتشرت الحضارة الاسلامية بها .

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، حـ٢ ص٢٨٥-٢٨٦

(٢) انظر الفصل الثالث، الفقرة الاولى ، فتح جزيرة قوصرة ، والفقرة الرابعة ، فتح جزيرة مالطة ، فتح جزيرة لبندوشه ونموشه ومحاولات فتح جزيرة سردانية .

٣- فتوح الأغالبة في جنوب ايطاليا :

صقليه نقطة وثوب على ايطاليا :

لم تسلم شبه جزيرة إيطاليا من غزوات المسلمين إليها ،فقد بدأت هذه الغزوات عند ما اشتدت موجة الفتوحات القادمه من الأغالبة بافريقيه على جزيرة صقليه ، واتخذ المسلمون صقلية نقطة وثوب إليها وقاعدة بحرية للحملات البحرية الموجهة إليها . (١)

وقد استفاد المسلمون من أحوال إيطاليا الداخلية المضطربة في فتوحاتهم . كما لم تستطع بيزنطه أن تفعل شيئا أمام هجمات المسلمين على جنوب إيطاليا وذلك لأن سيادة بيزنطة على إيطاليا كانت قد انتهت نهاية سيئة نتيجة للجهود التى بذلها كثير من حكام بيزنطة لفرض مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح ثم المذهب اللايقوني على الشعب الإيطالى والبابويه المتمنعه طوال القرن الثامن الميلادى الثانى الهجرى مما ادى الى ضياع سيادة بيزنطة هناك (٢) هذا فضلا عن مشكلات بيزنطه الداخلية بسبب الصراع والتنافس على العرش، كما كانت الدولة البيزنطية في ذلك الوقت تتعرض للهجوم عليها من جهة الشرق من قبل الخلافة العباسية في منطقة الثغور ، وفي البلقان كانت تتعرض لخطر خارجي آخر يتمثل في غارات البلغار على اراضيها . ونتيجة لعدم قدرة بيزنطة على مواجهة غارات المسلمين على جنوب إيطاليا أتجهت البابويه الى الفرنجه لحمايتها .

وكان معظم جنوب ايطاليا خاضعاً لأمراء بنيفانت اللومبارديين

---

(١) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق، ص ١٥٩

(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ،ص١٠٩

الذين تُعرف إمارتهم في الكتب العربية باسم المملكة اللنبرديه أو النوبرديه أو الأنبرديه .

كما كانت هناك جمهوريات ايطاليه صغيرة مجاورة لإمارة بنيفانت وهي : نابلى ، وجاتيا سورنيتو وامالفى وسالرنو وكاپوا ، وهذه كلها كانت تتبع الامبراطورية البيزنطية إسمياً ويسودها النظام الاقطاعي . وقد عملت هذه الجمهوريات على الوقوف في وجه أمراء اللومبارد والحيلولة دون توسع أمراء بينفانت . (١)

بداية ظهور الأغالبة في إيطاليا :

وكان عندما قام نزاع بين دوقية نابلى ودوقية بينفانت اللومبارديه وهو النزاع الذى كانت نهايته عقد هدنة بين الدوقيتين في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م أرغمت فيها نابلى على دفع جزيه سنوية للدوق سيكار اللومباردى ولم يقبل اهالى المدينة توقيع الهدنة إلا مكرهين خائفين ، اذ لم يجدوا امامهم غير امبراطور الفرنج لويس التقى الذى استغاثوا به ، ولكنه لم يستجب لاستغاثتهم المتكررة به ضد اللومبارد . عندئذ لم يجد اندريه دوق نابلى امامه سوى الاستنجاد بمسلمى صقليه لرفع الحصار اللومباردى الذى كان مفروضا على نابلى ، فلبوا نداءه وسارعوا لنجدته وارغام سيكار على الانسحاب وعلى عقد صلح جديد اطلق بمقتضاه سراح اسرى نابلى سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م . (٢)

---

(١) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ١٥٩ - ١٦٠

(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : الاغالبة وسياستهم الخارجية ، ص ٢١٦ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ١٦٠ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٥ - ١٤٦ - ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

وبذلك بدأ التحالف بين نابلى والأغالبة ، ذلك التحالف الذى أكد الصلات التجارية القديمة التى كانت بين أهالى هذه المدينة ومسلمى شمال أفريقيه . (١)

والدليل على قيام هذا التحالف العثور على عمله ذهبيه تحمل اسم الدوق أندريه محاطة بحروف وزخارف ونقوش عربية . (٢) وقد تم هذا التحالف بالرغم من اعتراضات بيزنطه على تلك العلاقات في ذلك الوقت والمهم ان هذا التحالف كان ذا فائدة عظيمة وقيمة جليلة بالنسبة للمسلمين لأنه ساعد على إضعاف قوة الأسطول البيزنطى في مياه البحر التيراني في اللحظة الحاسمة التى كانت بيزنطة في حاجة الى نابلى بجانبها . (٣)

أما من جهة الهجوم الاسلامي على جنوب إيطاليا واستلائهم على مدن منها . فقد كانت بدايته في عام ١٩٧هـ/ ٨١٢م في عهد أبى العباس عبدالله الأول (١٩٦هـ - ٢٠١هـ/ ٨١١-٨١٦م) عند ما هاجم الاسطول الأغلبى - القادم من افريقيه - لامبدوزا ، وبوتزا ، وايشيا على الشواطى الايطالية ، واحتفظوا بها لمدة ثلاثين سنة . (٤)

---

(١) محمود اسماعيل عبدالرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه - ارشيبالد لويس : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .
(٢) محمود اسماعيل عبدالرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٦ ، هامش ٣
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ص ٢١٣
(٤) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦١

وفي سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م هاجم المسلمون برنديزى واستولوا عليها ، ويقال ان المهاجمين كانوا من مسلمى شمال إفريقيه أو من مسلمى كريت وربما منهما معا .

وقد قام اسطول من البندقية مكون من ستين قطعه حربية للدفاع عن ذلك الاقليم ولكنه عانى اهوالاً شداداً قرب كروتونى على خليج طارنت حيث حطمه الاسطول الاسلامي تماما ، واستولى المسلمون على برنديزى التى استمرت سيادتهم عليها حتى عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م أى نحو ثلاثين سنه . (١)

وكان هناك هجوم من مسلمى صقلية على برنديزى قبل هذا في عام ٢٢٢هـ/٨٣٦م ، ولكنه كان عبارة عن غزوة استطلاعية فقط ، فلم يطل مكوث المسلمين بها بسبب سماعهم أخبار إعداد حملة عظيمة لمواجهتهم فقاموا بإحراقها وعادوا الى بلرم . (٢)

---

(١) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ١٦١ - ارشيبالد لويس : المرجع السابق ص ٢١٤ - محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، جـ١ ، ص ٢٧٦ . فرانشيسكو غابرييلى : الاسلام في عالم البحر المتوسط ، الفصل الثاني من كتاب تراث الاسلام القسم الاول تصنيف شاخت وبوزورث ، ترجمة محمد زهير السمهورى تعليق وتحقيق شاكر مصطفى ، ضمن سلسلة كتب عالم المعرفة هامش ص ١٢٣

(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٧ (لكنه يذكر تاريخ هذه الغزوة في سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م) - احمد توفيق المدني - المرجع السابق ، ص ١٤٦ (وهو يذكر الغزوة في سنة ٨٣٨م) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

وفي سنة ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م مات امير بينفانت الدوق سيكار د وس اللومبرد ى فانقسمت مملكة لمبارد إلى إمارتين متصارعتين هما بينفانت وسالرن [1] .
وأدت هذه الاحوال المضطربة بجنوب إيطاليا الى تشجيع الاغالبه بصقلية على مهاجمة جنوب ايطاليا ثانية ، فهاجم المسلمون في تلك السنه شبه جزيرة كلابريا - وهى التى أطلق عليها المسلمون اسم قلوريه - فخربوا مدينة كابوا اثناء غزوة سريعة خاطفة . [2] تقابل فيها الأسطول الإسلامي الصقلي مع الأسطول البيزنطي فهزمه بعد قتال شديد ، وعاد الأسطول البيزنطى إلى القسطنطينيه مهزومةً وكان فتحاً عظيماً للمسلمين . [3]

كذلك احتل المسلمون في نفس السنة طارنت - وهى قاعدة بحرية هامة تطل على مدخل البحر الادرياني [4] ، لكن في سنة ٢٢٨ أو ٢٢٩هـ/ ٨٤٢ أو ٨٤٣م تولى مسلمو كريت حكم طارنت ، وقد امتد حكمهم لها حوالى ٤٩ سنة . [5]

---

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٧

(٢) ابراهيم على طرخان : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه - محمود عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، نفس الصفحه .

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، هـ ٥ ، ص ٢٥٣ - ابن خلدون : المصدر السابق ، هـ ٤ ، ص ٢٠٠ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٤) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٢ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٧

(٥) ابراهيم على طرخان : نفس المرجع السابق ، نفس الصفحه - ارشيبالد لويس : المرجع السابق ص ٢١٥ ، (يذكران مسلمى كريت هم الذين استولوا عليها) فرانشيسكو غابرييلى : الاسلام في عالم البحر المتوسط ، الفصل الثاني من كتاب تراث الاسلام ، القسم الأول ص ١١٦ - هامش ص ١٢٣ .

واستمرت غزوات وسرايا المسلمين لقلوريا حتى سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م التي انتصر فيها المسلمون على الأسطول البيزنطى ، بعد وفاة الامبراطور باسيل الاول المقدونى (ت ٢٧٣هـ /٨٨٦م) . (١)

ففي سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م ارسل الامبراطور ثيوفيلوس رسله الى البندقية يدعو دوقها ويحثه لتحرير طارنت ، فتقدم أسطول البندقية نحوها ، غير ان سفن الاسطول الأغلبى استطاعت اغراقه . (٢)

وأعقب ذلك قيام مسلمى صقلية بعدة غارات بحريه إنتقاماً لحملة البنادقة السابقة ، فاتجهوا بأسطولهم الى الجزء الشمالى من بحر الادرياتيك ، واغاروا على شواطىء دلماسيا في نفس تلك السنة فنهبوا واحرقوا مدينة اوسيرو في جزيرة خرسو (كرسو) ثم اجتازوا البحر فنهبوا وأسروا أناسا من أنكونه (انكونا) (٣) . وظلوا يواصلون زحفهم حتى وصلوا الى مصب نهر ألبو ، فاغاروا على مدينة بارى (باره) ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها . (٤) واثناء عودتهم الى صقلية استولوا على عدد من السفن التجارية البندقية العائده من صقلية . (٥)

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢٢٠- ٢٢١- ابراهيم على طرخان : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٨ -عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ص ١٠٢ (وهو يذكر ان اسطول البنادقة كان موءلفا من ستين سفينة).

(٣) محمد كرد على : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٢٧٦ ، على حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص ٥٨ -ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٥ ، محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٨

(٤) ابن الاثير: المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٦٣ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٨

(٥) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٥ - محمد كرد على : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٢٧٦

وقد عادوا الكرة من جديد في العام التالى ٢٢٧هـ/ ٨٤١م، فاتجهوا الى شمال البحر الادريانى وغزوا خليج كوارنيرو (Quarnero) واستطاعوا احراز نصر حاسم على أسطول بحرى للبندقية عند جزيرة سان سيجو . (١)

امارة بارى :-

وعندما اشتد الصراع الذى نشب في امارة بينفانت اللومباردية عام ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م بين الأميرين الحاكمين لهذه الإمارة بعد إنقسامها لم يكن امام هذين الأميرين المتنافسين على السلطة سوى الإستعانه بجند المسلمين كل منهما ضد خصمه ، فاتجه الأمير رادلشيس (رادلكيس) امير بينفانت الى مسلمى افريقيه وصقليه للإستعانه بهم ضد خصمة الامير سيكونولف امير سالرن الذى استعان بمسلمى الأندلس المقيمين بجزيرة كريت ضد خصمة .

وكان ذلك فرصة سانحه للمسلمين للتدخل مرة اخرى في سياسة البلاد الإيطاليه ، فأرسل أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله والى صقلية فرقة من الجند الإسلامى اشتركت مع جند نابلى في محاربة امير سالرن،

---

(١) ارشيبالد لويس : نفس المرجع السابق، ونفس الصفحه - محمد كرد على : نفس المرجع السابق، ونفس الصفحه - محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق، ونفس الصفحه .

وكان النصر حليف جند الأغالبة الذين استطاعوا الإستيلاء على مدينة باري والأراضي المحيطة بها .(١)

الإ أن ابن الأثير يذكر في روايته ان المسلمين لم يستطيعوا ان يفتحوا مدينة باري سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م ، وانما كان فتحها على يد خلفون البربري في عهد الخليفة العباس المتوكل (٢٣٢-٢٤٧/ ٨٤٦ - ٨٦١م) (٢) وقد نجح المسلمون في احتلال بنيغانت نفسها لمدة خمس سنوات (٢٢٨ - ٢٣٣هـ/ ٨٤٢ - ٨٤٧م) (٣)

ويذكر احمد توفيق المدني عن كتاب (غارات الهمج) للمؤرخ الكبير فرديناند لوط قوله " كذلك كان كونت مدينه باري الأمير باندو قد فتح لهم (اى لمسلمى الاغالبه) ابواب مدينته ، ولم يكن النجاح حليف المسلمين في نصرة هذا الأمير (اى امير بينفانت فقد انهزموا ورجعوا لمدينة باري فتمكنوا من اكنافها واصبحت لهم طيلة ثلاثين سنه مركزاً منيعاً يباشرون منه اعمالهم وغاراتهم، ولقد اضطر رادلشيس امير بينفانت ان يفتح ابواب عاصمته بينفانت في وجه حلفائه الاشاوس وكان المسيطر الحقيقى على تلك الإماره هاتيك

---

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٥ - احمد توفيق المدني - المرجع السابق ، ص ٧١ - ابراهيم على طرخان - المرجع السابق ، ص ١٦٢

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٦٣

(٣) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

الأوقات هو زعيم المسلمين مصعر وذلك ابتداء من سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م" (١)

وتعتبر باري ميناءً هاما على مدخل الأدرياتي وتتحكم فيه كثيرها من الموانيء الجنوبية ، من اجل ذلك اتخذها المسلمون قاعدة لغزو البلاد المتاخمة ، ومن اشهر قوادها المسلمين المفرج ابن سلام . (٢)

هذا ويذكر ابن الاثير ان المفرج بن سلام أتى بعد خلفون البربري " وأنه قد فتح أربعة وعشرين حصناً واستولى عليها فكتب الى والي مصر يعلمه خبره وأنه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام (اى الخليفة العباسي) على ناحيته ويوليه اياها ليخرج من حد المتغلبين وبنى مسجدا جامعا" (٣) وهو يعني بكلامه هذا انه يريد ان يتبع الخلافة العباسية في بغداد ولا يريد تبعية بني الأغلب بإفريقيه . (٤)

وقد امتد نفوذه على أشهر بلاد أبوليا ، ولكن لم يمهله القدر ليهنأ بولايته فقد قتل على يد أصحاب لهينافسون على الحكم . وخلفه شخص يسمى سوران ، فبعث الى الخليفة العباسي المتوكل

---

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٦

(٢) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٣

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، هـ ٥ ، ص ٢٦٣ ، ويذكر نفس الرواية البلاذري : فتوح البلدان ، القسم ١ ، ص ٢٧٧

(٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٥

ليعقد له على ولايته باري ولكنه مات قبل ان يبرح رسوله الى الشرق . (١)

ويذكر محمد كرد على انه " لعل هذا الفاتح (يقصد المفرج ابن سلام) كان من اهل اقريطش (كريت) لا صله له مع الأغالبه في أفريقية ، فعمد الى الخلافة العباسية في بغداد يراجعها مباشرة لتصبح ولايته " . (٢)

وقد اشتهر حاكم باري (باره) المسلم بالتسامح الديني فيذكر ارشيبالد لويس انه كان يساعد حجاج الغرب ، وهم في طريقهم إلى فلسطين ، ولم يقف عند حد تيسير حصولهم على السفن فحسب وإنما أعطاهم جوازات خاصة تيسر لهم الأمور في مصر . (٣)

واستمر حكام باري (باره) المسلمين في ارسال سراياهم للإغارة على جنوب ايطاليا ، حتى وصلت غاراتهم إلى جنوب نابلي وسالرن (٤) ، إلى أن جاء الامبراطور لويس الثاني فنزل ايطاليا وفتح بها سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م مدينة باري كما سيأتي فيما بعد .

وقد لمس رجال هذه الامارة ما للمسلمين من قيمة في ميدان العلم والعمران ، علاوة عما كان لهم من شهرة في ميدان الحرب

---

(١) البلاذري : المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ٢٧٧ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٣

(٢) محمد كرد على : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٧٧

(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٧٥

(٤) محمد كرد على : المرجع السابق ، جـ ١ ص ٢٧٧

والقتال فانفتحت في وجوه الرواد المسلمين أبواب مدن جنوب إيطاليا الواقعة تحت سيطرة المسلمين وكانوا يحملون معهم رايات المدنية والعلوم والفنون ، وكان ذلك هو حجر الأساس في تكوين عصر النهضة الأوربية . (١)

واما غارات المسلمين في شرقي شبه جزيرة ايطاليا فقد كانت اكثر نجاحاً من غاراتهم في البحر التيراني . ويبدو ان نابلى بعد مساعدتها لمسلمى صقلية للاستيلاء على مسينا تخلت عن تحالفها معهم . وربما يكون السبب في نقض هذا التحالف اتخاذ المسلمين قواعد لأساطيلهم في سواحل نابلى ، وكانت هذه القواعد قريبة من نابلى لدرجة انها هددت أمنها وتعرضت لتجارتها . (٢)

---

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٢

(٢) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٥ - محمود اسماعيل عبدالرازق : المرجع السابق ، ص٢١٩

غزو روما :-

تعرضت روما لغزو المسلمين سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩ م ، وقد كانت في يوم السبت في عيد الفصح في تلك السنة ، ولم يسىء المسلمون الى البابا ليو الثالث لكبر سنة . (١)

ثم كانت الغزوة الثانية لروما ، والتى حدثت بعد نقض نابلى للحلف الذى بينها وبين الاغالبة وذلك لأنها لم تعد في حاجة إلى حلفائها المسلمين بسبب انتهاء التهديد اللومباردى وكذلك لتهديد قواعد أسطول الأغالبة الصقلى على شواطيء نابلى لتجارتها . (٢)

ولتعويض هذا التحالف الذى كان مع المسلمين سارع دوق نابلى سرجيوس بعقد حلف مع المدن البحرية المجاورة وهى أمالغى وجاتيا وسرنتو (٣) ، وهو الحلف الذى اطلق عليها اسم (حلف كمبانيا) (٤) واشتركت

---

(١) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٤
(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٩
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ص ٢١٦ - محمود اسماعيل عبد الرازق - المرجع السابق ، ص ٢١٩ - ابراهيم على طرخان المرجع السابق ، ص ١٦٤ (يذكر هذا الحلف بعد هجوم المسلمين على روما).
(٤) ابراهيم على طرخان : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

هذه المدن في تكوين أسطول لمواجهة النشاط الأغلبي، واستطاعت هزيمة المسلمين في البحر واجبارهم على التخلي عن مراكزهم في جزيرة بنـــزا (Ponza) قرب نابلى ، وفي رأس ليكوزيا (Licosia) احدى رؤوس خليج سلرنو (١) . الا أن هذا الهجوم من نابلى وحلفائها لم يضعهدا ًللإغارات الأغلبية هذا إذا لم يكن قد زادها عنفاً وكثره. (٢)

ففي سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م هاجم المسلمون الأراضى البابويه ، وهزموا حاميات كيفتيافكيا ونوفا أوستيا ، ووصلوا في هذه الغزوة إلـــى ضواحى مدينة روما وحاصروها . (٣)

الإ أن حسنى حسنى عبدالوهاب يذكر سبباً آخر لهـــذه الغزوة إذ يقول إنها كانت ردة فعل من المسلمين للغارة الشنيعـــة التى دبرها سكان أواسط البلاد الإيطالية ضد الساحل التونسى قبـــل هذا التاريخ بسنة أوسنتين ، فقد قاموابمباغته شواطىء الساحـــل التونسى ليلاً واحاطوا بالسكان على حين غرةفي منازلهم المتفرقـــة عن بعضها ، وأسروا منهم عدداً كبيراً ساقوهم عبيداً وعادوا بهـــم

---

(١) ارشيبالد لويـس : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحـــه - محمود اسماعيل عبدالرازق : نفس المرجع السابق ، ونفـــس الصفحه .

(٢) محمود اسماعيل عبدالرازق - نفس المرجع السابق ، ونفـــس الصفحه .

(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٦- ابراهيم علـــى طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

إلى بلادهم ، وهناك باعوا بعضاً منهم في أسواقهم الكبيرة هذا إلى جانب مانهبوه من الأرزاق والأقوات .

وعند ما علم الأمير أبو العباس محمد بن الأغلب بنبأ هذه الكارثة ثارت ثائرته وصمم على اخذ ثأر المسلمين بتجهيز حملته السابقة الذكر والتى كانت تشتمل على ٧٣ سفينه .(١)

ويقول ايضا حسن حسنى عبد الوهاب ان جيش المسلمين في هذه الغزوة لم يكن خروجه من صقلية بل كان - مرسلا من أفريقية وأنه انطلق من مرسى سوسة الحربي فقطع البحر وأرسي على مصب نهر التبرى (التيبر) ثم اجتاز ذلك النهر حتى ارسى تحت جدران مدينة روما سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م.(٢)

ولم تكن لدى المسلمين في ذلك الوقت قوة كافية تمكنهم من قتال روما وتحديها واحتلالها ، فما كان منهم إلا مهاجمة كنيستى القديس بطرس والقديس بولس ، وهما خارج الأسوار ، فنهبوها واخذوا ما فيها من الذخائر والتحف(٣) . وظل الجند

---

(١) حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٢

(٢) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٧ (عن كتاب غارات الهمج للمؤرخ فرديناند لوط)

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب : نفس المرجع والصفحه - محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ - احمد توفيق المدني : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه - فرانشيسكو غابرييلي الاسلام في عالم البحر المتوسط ص ١٢٢ - ١٢٣ - هـ . سانت ل . ب . موسى : ميلاد العصور الوسطي ، ص ٢٦٣ عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ١٠٣

الاسلامي يتردد بين المدينه وأحوازها ما يقارب الشهرين، وفي اثناء هذه المده بنى المسلمون رباطاً صغيراً على مصب نهر التيبر لكي يراقبوا الصادر من العاصمه والوارد إليها. وفي هذه الأثناء توافدت النجدات المسيحيه من جانب الأمم الأفرنجيه بعد أن طلبها البابا لنجدة روما[(١)].
فأضطر الجند الإسلامي الى رفع الحصار عن المدينه بعد أن اقتتلوا مع الجند الإيطالي وسفن الثغور الايطاليه قتالاً شديداً، وعادوا إلى بلادهم في أفريقيه مثقلين بالغنائم والأسرى[(٢)].

ودخل الجيش الاسلامي الأغلبي سوسه وفوقه اعلام النصر تخفق عاليا، وقد كان في استقبالهم الأمير الأغلبي وكبار رجال الدوله. وكانت هذه أول مره في التاريخ تحتل فيها مدينة روما تلك المدينه الأزليه كما تسمى عند الأفرنج، ولم تستطع أى أمه من قبل الأغالبه الاستيلاء عليها منذ انتصاب الديانه المسيحيه بها.[(٣)]

وقد احدثت تلك الغزوة أثراً كبيراً في البلاط الكارولنجي، وبالرغم من ذلك لم يستطع الأمبراطور لوثر الأول (٢٠٢ - ٢٤١هـ/ ٨١٧ - ٨٥٥ م) القيام بعمل حاسم لوقف النشاط الأغلبي في إيطاليا لإنشغاله بخوض حروب خارج إيطاليا استغرقت كل جهوده.[(٤)]

---

(١) حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص ٨٢ (يذكر المؤلف ان بقايا هذا الرباط لا تزال تشاهد حتى وقت تأليفه لكتابه المطبوع سنة ١٩٧٦ م).
(٢) محمد كردى على: المرجع السابق، ص ٢٧٨ - احمد توفيق المدنى: المرجع السابق، ص ٧٥ - ٧٦.
(٣) حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص ٨٢.
(٤) محمود اسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ص ٢٢١.

ثم قام الاسطول الأغلبي بحصار مدينة قايط ، ولم يستطع الفرنج ولا اللومبارد صدهم عن ذلك ، فكان فشلاً آخر للمسيحية الإ أن مدينة قايط دافعت عن نفسها وصمدت ضد هجوم المسلمين ، ولم ينقذها منهم الاعاصفه هوجاء اتلفت أغلب سفن الأسطول الإسلامي . (١) وعلى الرغم من ذلك فقد اشتد خطر الأغالبه ضد مدينة بينفانت ، كما حاصروا جاتيا في منتصف سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م .

وفي العام التالي ٢٣٣هـ/٨٤٧م ظهر لويس الثاني في جنوب إيطاليا ، وتقابل مع الاغالبه في عدة معارك ، نال فيها بعض الانتصار ، لكنه لم يلبث ان حلت به الهزيمة في العام نفسه حتى كاد أن يقضي عليه لولا دوق نابلي . (٢)

وفي السنه نفسها تمكن الحلفاء المسيحيون من استرداد مدينة بينيفانت ، والقضاء على الحاميه الإسلاميه التى كانت بها وعلى رأسهم زعيمهم الأميرمصعر . وتم ايضاً الصلح بين أمير مدينة بينيفانت وأميرسالرن على اقتسام كامل بلاد ايطاليا الجنوبيه وتعاهدا على أن لا يركن احدهما لجانب المسلمين ضد خصمه مره أخرى . (٣)

---

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .
(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢١ .
(٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

وقد حاول لويس الثاني جاهدا ان يلم شمل الامارات الايطاليه لاقصاء الأغالبه عن باري وطارنت، لكن محاولاته كلها ضاعت عبثا ، بسبب انصراف هذه الامارات الى امورها الخاصه . (١)

وفي سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨ م استأنفت نابلي والمدن المجاورة لها (أي مدن حلف كمبانيا) توثيق علاقاتها بالمسلمين كما كانت من قبل وذلك بعد أن استطاعت ان تضع حداً لتوغل المسلمين في السواحل الإيطاليه ، وبذلك أصبحت العلاقه بينها وبين بلرم -عاصمة المسلمين بصقليه - علاقة صداقه وسلام استمرت لمدة عشرين سنه أو تزيد . (٢)

وفي السنه التاليه ٢٣٥هـ/٨٤٩ م أغار الأغالبه على السواحل الكارولنجيه في إيطاليا وخارجها ،وأخذوا يقضون مضاجع السواحل الشرقية فاحتلوا مدينة لوني ولكنهم لم يمكثوا بها بل تركوها بعد أن احرقوها . (٣)

وفي نفس تلك السنه صعدوا مع مجرى نهر الرون وتمكنوا من الاستيلاء على مدينة آرل بفرنسا . (٤)

---

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢١.
(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٦.
(٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٨.
(٤) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ،ص ٢٢١ - احمد توفيق المدني : نفس المرجع السابق، ونفس الصفحه .

غزو روما للمره الثالثــــه :-

بعد غزو روما لثاني مره باشر الامبراطور لوثرالأول (١) وابنـــه لويس الثاني (٢) ملك إيطاليا تحصين الجهة التى يلتقي فيها نهر التيبـــر بالبحر وذلك دفاعا عن كنيسة القديسين بطرس وبولس ضد أية غـــاره إسلاميه أخرى . (٣) وكان ما توقعه الأمبراطور لوثر الأول وابنه لويـــس الثاني فقد عاود المسلمون المحاوله لغزو روما ، فعملوا على حشـــد أسطول كبير على سواحل ، جزيرة سردانيه في سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م وساروا به في البحر حتى رسوا به في اتجاه مدنية أوستى ، ولكنهم وجدوا مصـــب نهر التيبر محصنا ضد غاراتهم فلم يتمنكوا من اقتحامه . وفي هذه الاثناء تجمعت الاساطيل الإيطاليه لمواجهة أسطول الأغالبه لكنها لم تتمكـــن من تحقيق أهدافها ، لأن زوبعه شديده هبت وأدت الى تشتيت وتحطيم الاسطول الأغلبى . (٤)

وفي السنه نفسها كان الأمير المفرج بن سلام يعمل على تثبيـــت مركزه ويدعم سلطانه بمدينة بارى التى بنى بها مسجداً للمسلمين ، ولمـــا تحقق له ذلك أعلن انفصالـه عن أمير صقليه ، واتخذ لنفسه لقباً لم يكـــن

---

(١) امبراطور من اباطرة الدوله الرومانيه المقدسه حكم من سنة (٢٠٢ - ٢٤١ هـ/٨١٧ - ٨٥٥م) انظر سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا فـــى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٦٦٥ .

(٢) امبراطور من اباطرة الدوله الرومانيه المقدسه حكم من سنة (٢٣٦ - ٢٦٢ هـ/٨٥٠ - ٨٧٥م) انظرسعيد عبد الفتاح عاشور: المرجـــع السابق ، ج ١ ، ص ٦٦٥ .

(٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٧ - ١٤٨ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ ، هامش رقـــم ١

(٤) احمد توفيق المدني : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٨ - ١٤٩ - محمود اسماعيل عبد الرازق ، نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحـــه .

منتشرا يومئذ بين المسلمين وهو لقب " السلطان ". (١)

وقد انتهز المفرج بن سلام سلطان بارى فرصة الخلافات التى بين امراء ايطاليا وزعماء مدنها وعدم قدرتهم على محاربة إمارته القويه فكان يرسل بغاراته لتنكل بهذه المدن وتغنم منها وتسبي حتى أنه كان يرسل بسفنه مثقله بالرقيق ليباع في الأسواق الأفريقيه . (٢)

والمهم أن هذه الغاره التى شنها المسلمون على روما أظهرت لروما عجز البابويه وعدم قدرتها على مواجهة الغزاة ، ومن أجل ذلك لم يجد البابا بداً من ان يعهد إلى لويس الثاني ملك إيطاليا بتبنى الدفاع عن المسيحيه في الغرب لأن الإمارات الإيطاليه لم تعد تقوى على القيام بهذه المهمه بسبب خلافاتها واضطراب أحوالها ، ولأن نشاط الأغالبه البحرى ضد سواحل ومدن جنوب إيطاليا اصبح يهدد إيطاليا كلها ،(٣) وخاصه بعد عودة العلاقات الوطيده بين المسلمين في بارى وبين نابلى فقد مكنت المسلمين من القيام بغارات على وسط إيطاليا وجنوبها . وقد بلغت هذه الغارات ذروة التخريب سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠ م حتى اصبح الاقليم كله على وشك السقوط في ايدى المسلمين (٤). ولذلك خاف لويس الثاني حاكم ايطاليا ،فصمم على استرداد بارى من ايدى المسلمين . وقد بارك البابا حماسه هذا ، لكنه لم يوفق ولم يلق نجاحاً يذكر وكان ذلك في سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م . وقد كان سبب فشله هذا أنه لم يكن يملك اسطولاً كبيراً قوياً يستطيع به ان يطرد المسلمين من مواقعهم

---

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص١٤٩ - ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .
(٢) احمد توفيق المدني : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .
(٣) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .
(٤) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

الحصينه على الشواطئ التى كانوا يوغلون منها بعيداً في غاراتهم الداخليه. ومن هنا ندرك فشل حصار لويس الثاني لبارى وذلك بسبب سيطرة المسلمين على المسالك البحريه . (١)

وفي سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م توج لويس الثاني امبراطوراً (٢) ولكنه لم يستطع مواجهة الأغالبه بسبب إنشغاله بمشكلاته في شمال إيطاليا ، وصراعه مع البابا نيقولا الأول . (٣)

وكان في ذلك فرصه انتهزها الأغالبه لتوطيد سيادتهم في جنوب إيطاليا ، فتمكن العباس بن الفضل والى بلرم من الأستقرار بجنوده هناك . (٤)

وفي سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م جند الأمبراطور لويس الثاني الإيطاليين وكوّن منهم جيشاً ليدافعوا عن بلادهم بأنفسهم وعمل على تجهيز أسطول كبيراً حاصر به مونت كاسينو في السنه التاليه ٢٥٣هـ / ٨٦٧م . وقد استطاع هزيمة الأغالبه في عدة معارك حتى جعلهم يعتصمون في مدينتى بارى وطارنت (٥) الا أن سلطان بارى تمكن من هزيمة هذه الجموع الايطاليه في نفس السنه . (٦)

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٨ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٢) كان تتويج لويس الثاني في السنه المذكوره واما سبب ذكر اسمه قبل تتويجه فا عتقد أنه كان ينيب عن والده في الحروب وفي حكم إيطاليا .

(٣) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع ونفس الصفحه .

(٤) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ .

(٥) محمود اسماعيل عبدالرازق : المرجع السابق ، ٢٢٣ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٦) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع ونفس الصفحه .

وفي السنه نفسها بدأت الأحوال تتغير ، فقد استطاعت بحرية البندقيه والقسطنطينيه ان تمارس نشاطها في البحار الايطاليه . فانتصرت البندقيه على المسلمين في البحر تجاه طارنت ، وربما يرجع ذلك لتحالفها مع لويس الثاني ملك ايطاليا -، وبذلك تكون قد ثأرت للهزيمه التى منيت بها في البحر منذ سبعة وعشرين عاما . (١)

كذلك ارسل باسيل الأول المقدوني امبراطور بيزنطه (٢٥٣ - ٢٧٣ هـ/ ٨٦٧ - ٨٨٦ م) حملة من مائه سفينه بقيادة البطريق نكيتاس يريد إنقاذ راجوزه ، التى كانت محاصرة من قبل قوات مشتركة من أهل كريت وطارنت ، فأنتصر البيزنطيون وفكوا الحصار عنها .(٢) الا أن فرديناند لوط الذى ينقل عنه احمد توفيق المدني يذكر ان هذه الحمله اضطرت للرجوع من حيث أتت ، أى انها لم تنتصر. (٣)

وفي أول شهر رجب من سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م سير والي صقليه خفاجه بن سفيان ولده محمد بحراً على رأس أسطول لمدينه غيطه - في الأراضي الإيطاليه - فحاصرها بحراً ، وعمل على بث السرايا والجند الإسلامي حولها براً لمدة زادت على شهرين ، ففنم غنائم كثيرة شحن بها مراكبه ، ثم عاد الى بلرم في شهر شوال . (٤)

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص٢١٨ (وعن الهزيمة التى ذكرها انظر قبل نفس الفقرة ، ص٤٦).

(٢) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

(٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٤) ابن الاثير: المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص٣٠٦ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ .

سقوط إمارة باري الإسلامية :-

وقد توفى البابا نيقولا الأول في سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م وخلفه البابا أدريان الثاني الذى لجأ ايضا الى الامبراطور لويس الثانى ملك إيطاليا وعهد إليه بمهمة الدفاع عن المسيحيه في الغرب، فأستجاب الامبراطور لويس الثاني لطلب البابا رغم يقينه بأنه لن يستطيع ابعاد الأغالبه عن شبه جزيرة إيطاليا الا بإمتلاكه أسطولاً قوياً . ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، توجه الى البيزنطيين يطلب منهم مساعدة الاسطول البيزنطي فأستجاب له الامبراطور البيزنطي باسيل الأول . (١) وكذلك خاطب جماعات المسيحين جميعا فأمدوه بقوه من رجال صقالبه دلماشيا وصربيا (بلاد يوغوسلافيا الحاليه) (٢)

وهكذا في سنة ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠ م ظهر أمام باري اسطول كبير اشتمل على فرق بحريه من راجوزه ودلماشيا ،ومن جهة البر كانت تحاصرها قوات الامبراطور لويس الثاني، (٣) هذا بجانب الاسطول البيزنطى الذى جاء يعزز الحصار البحرى لتلك الحمله ، وبذلك اكتمل الحصار براً وبحراً ، وحمى وطيس المعركه . (٤) وقد اخذ المسيحيون يضيقون الحصار على باري حتى سقطت آخر الأمر سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧١م في يد الامبراطور

---

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٣- ٢٢٤.
(٢) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٩ - ١٥٠
(٣) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٨.
(٤) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ،ص ١٥٠

لويس الثاني الكارولنجي ملك ايطاليا . (١)

ورغم هذا النصر الكبير الذى احرزه الإيطاليون ومن ساندهم لإسترجاع بارى فقد كان وقعه في نفوسهم ليس طيبا بدليل عدم ذكر مؤرخى لويس الثاني وخلفه شارل الاصلع كلمه واحده نتبين منها استرداد بارى من يد المسلمين . (٢)

كذلك نتج عن هذا النصر أن ساءت العلاقه بين امبراطورايطاليا لويس الثاني الكارولنجى وبين الامبراطور البيزنطي باسيل الأول وذلك بسبب ما اظهرته بيزنطه من مخاوف تجاه مطامع لويس الثاني في جنوب إيطاليا . (٣)

كما نقم أمراء إيطاليا على لويس الثاني لنفس السبب اى لاغتنامه الفرصه لفرض سلطانه عليهم واخضاعهم ، فدبروا له مكيده وأوقعوه أسيرا بين ايديهم ، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن تعهد لهم بترك جميع الغنائم والاسلاب التى استولى عليها بعد انهيار إمارة بارى المسلمه ، وبألا ينتقم منهم جزاء خيانتهم . (٤)

وعاد لويس الثاني الى شمال ايطاليا بعد أن حبطت أعماله وبقي هناك حتى وافته المنيه في سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م ، فنعم الامبراطور

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص٢١٨ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ - احمد توفيق المدني : نفس المرجع السابق ونفس الصفحه .

(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

(٣) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٤) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٠٥ (عن الفصل الثانى من كتاب غارات الهمج للمورخ فرد ينان لوط) .

باسيل الاول وحده بجني ثمار تلك الجهود . (١)

لذلك لم يتورع امير بينيفانت عن التماس حماية بيزنطة سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، وقد وافق الامبراطور البيزنطي باسيل الأول على طلبه . (٢)

وفي نفس السنه استعادت قوات بيزنطه سيطرتها على أترانتو، وذلك لحقد الامبراطور باسيل الأول على لويس الثاني ، وكذلك لرغبته في توطيد سلطانه بجنوب ايطاليا . (٣)

جهاد الأغالبه في جنوب إيطاليا بعد سقوط إمارة باري :-

وأما وقع سقوط إمارة باري المسلمه على الأغالبه في افريقيه وصقليه فقد زادهم حماساً للجهاد فأستمروا يشنون الغارات على السواحل الغربيه لشبه جزيرة إيطاليا . فقد تكرر هجومهم على سالرن ، ووصلوا حتى كابوا ولم تنجح محاولات الامبراطوريه البيزنطيه لوقف هذا الهجوم حتى سنة ٢٦٢ هـ/ ٨٧٥م . (٤)

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ،ص ٢١٨ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

(٣) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .
ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٤) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ،ص ٢٢٥ - ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

وكانت مدن الساحل الايطالي التجاريه تساعد الأغالبه وتوءازرهم في غاراتهم هذه حتى أن لويس الثاني أعلن بأن نابلي تعتبر افريقيه أخرى . (١)

وبعد وفاة لويس الثاني ملك ايطاليا خلفه شارل الاصلع (٢٦٢ — ٢٦٤هـ/ ٨٧٥ - ٨٧٧م) الذى تخلى عن امور ايطاليا . وبتخليه هذا اتاح الفرصه للأغالبه لكى يزداد نفوذهم في شبه جزيرة إيطاليا مرة أخرى كذلك ساعد موقفه هذا على استعادة بيزنطه سلطانها في جنوب إيطاليا ، فقد أخذت بيزنطه مكانه في الدفاع عن جنوب إيطاليا ضد الأغالبه . (٢)

غزو روما للمرة الرابعة :-

وبالفعل فقد نجح الأغالبه بعد موت لويس الثاني ملك ايطاليا في مهادنه ومصانعة بعض امراء اللمبارد الصغار في الجنوب، بل تواجدوا في دوقية نابلي ، وهددوا روما نفسها ، وكادوا يسيطرون عليها بعد أن تواطأ معهم بعض موظفي البلاط البابوى على تسليم المدينه لهم في عام ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م • هذه رواية محمود اسماعيل عبد الرازق . (٣)

---

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٦

(٢) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

(٣) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

أما روايـــة محمـــد كـــــرد

علىوابراهيم على طرخان فتقول بأن هذه الغزوه حدثت سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠ م وكان قوامها جند من أفريقيه والأندلس الذين نشطوا وجهزوا حمله كبيـره استطاعوا الوصول بها الى روما وضواحيها . وقد ساعد على وصولهم الـى روما ان نابلى والمدن المجاوره لها (أى مدن حلف كمبانيا) كانت لا تـزال على صله وثيقه بالمسلمين في بارى وفي صقليه في ذلك الوقت . فهددوهـا حتى اضطر البابا حنا الثامن (٢٥٩ - ٢٦٩هـ/ ٨٧٢ - ٨٨٢م) أن يفاوضهم في الصلح والجلاء عن روما مقابل أن يدفع لهم جزية سنوية مقدارهـــا الف مثقال من الذهب،[1] أو خمسة وعشرون الف (٢٥٠٠٠) قطعـــة فضه .[2] والسبب الذى من أجله دفع البابا حنا الثامن هذه الجزيـه للمسلمين هو أنه الى جانب وطأة حصار المسلمين لروما أن جهوده المضنيـة التى بذلها لجيش شارل الجسور (شارل الأصلع) ملك إيطاليا الكارولنجى، وبيزنطه ومدن امالفي وجاتيا ونابلى لحماية املاك البابويه قد باءت بالفشل فشارل الجسور (الاصلع) لم يستجب لندائه لعدم امتلاكه أسطولاً قويـــاً يبعث به الى جانب عدم مضارعته في الكفاءه لسلفه لويس الثاني .[3] وبالنسبه لنائب شارل الجسور فقد انصرف عن توسلات البابا ، اما زوجه الامبراطـور شارل الجسور فقد فشلت محاولات البابا لحثها على التأثير على زوجهـــا لمواجهة الأغالبه ، ووصل الأمر الي أن هدد البابا الامبراطور شارل الجسور بسحب لقبه الامبراطورى فلم يعره الامبراطور شارل الجسور اهتماما وصم

---

(١) محمد كردى على : المرجع السابق ، جـ ١ ،ص٢٧٨ - ابراهيم على طرخان: المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٢) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ،ص٢١٩ - محمود اسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق ،ص ٢٢٦ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٥٠

(٣) ابـراهيم على طرخان : المرجع السابق ،ص ١٦٤ - ١٦٥ - ارشيبالــد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

أذ نه عن تهديداته . (١) وأما بيزنطه فقد كانت غير مطمئنه الى تقرب البابا من أباطرة الدوله الرومانيه (الكارولنجيين) (٢)، وكذلك لأنها مشغوله بأمر صقليه وبلاد الشرق. ومن ناحية امالفي وجاتيا ونابلى (مدن حلف كمبانيا) فقد كانوا على صله وثيقه بالمسلمين ولا يريدون معاداتهم ومن أجل ذلك اضطر البابا حنا الثامن لدفع هذه الجزية للمسلمين ليحظى هو واملاك البابويه (الكنيسه) في وسط إيطاليا بشيء من السكينه والأمان (٣).

سقوط طارنت في يد البيزنطيين :-

ولم يبق في يد المسلمين الأغالبه في جنوب ايطاليا الإطارنت . وفي سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م توجه أسطول إسلامي من طارنت - وربما من كريت - للإغاره على البندقيه ، فقام بإحراق ميناء كوماتشو الواقع على مصب نهر البو. وتعتبر هذه الغاره آخر غارات المسلمين في شمال البحر الادرياتي . (٤)

وفي هذه الأثناء بدأ نفوذ البيزنطيين ينتعش في إيطاليا وذلك منذ أخذهم أترانتو، وكذلك منذ تسليم أهالي باري مدينتهم الى قائد

---

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص٢٢٦
(٢) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص٢١٩ - ابراهيم على طرخان المرجع السابق ، ص ١٦٥ .
(٣) ارشيبالد لويس: نفس المرجع ، ونفس الصفحه .
(٤) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

الثغر البيزنطي سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م .[1]

وفي سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م أنزل البيزنطيون جيشاً برياً في كلابريا يقدر بحوالى ٣٥ ألف رجل من أجل حصار طارنت براً ،وفي نفس الوقت أرسلوا أسطولاً لكي يحاصرها بحراً. ونتيجه لهذا الحصار المحكم الذى طبقه البيزنطيون لم تجد طارنت سوى الاستسلام لهم بعد أن صمد المسلمون بها وقاوموا حتى آواخر سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م .[2]

وهكذا بعد سقوط طارنت لم يبق في يد الأغالبه من أراضى جنوب ايطاليا سوى ثلاثة مواقع حصينه هي منتتية (Amantea) وسبرينه (Santa Severina) وتروبيا (Tropea)[3]

وبالرغم من ذلك استطاعت قوات الأغالبه إقامة قاعدة (إمارة) لهم في مونت جارليانو (جاريليانو) سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢ - ٨٨٣م . وأضحت هذه القاعدة (الإمارة) مركزاً لتهديد مستمر للولايات البابويه وقد استمرت هذه القاعدة نحو اربعين سنة (٢٦٩ - ٣٠٣هـ/٨٨٢ - ٩١٥م)[4]

---

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ - ارشيبالد لويس: نفس المرجع ، ونفس الصفحه .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ،ج ٢ ،ص ٢٦٩ - أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٥١ (عن كتاب غارات الهمج للمؤرخ فرد ينان لوط) .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع السابق ،ونفس الصفحه ،هامش ٢٧٤.

(٤) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٥ - ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٧.

تدعيم نفوذ بيزنطه في جنوب ايطاليا :-

ووصل نشاط بيزنطه في تلك الأثناء الى مياه صقليه. فقد ظهر أسطول بيزنطى قي هذه المياه وحقق بعض النجاح، وهدد طريق التجارة بين المدن التى تقع في جنوب إيطاليا وبين المسلمين، وتمكن من الاستيلاء على كميات كبيرة من زيت الزيتون خلال عملياته هذه حتى أثر هذا على ثمن هذه السلعه في اسواق القسطنطينيه. (١) ويبدو أن البيزنطيين أقاموا على الدوام اسطولهم هذا عند ثرمه (طبرمين)(٢) . وربما يكون وجوده هذا هو المسئول عن رجوع نابلى سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م لأحضان بيزنطه وللولاء لها بعد طول بعد عنها. (٣)

وفي سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م عقدت هدنه بين والى صقليه سواده بن محمد وبين بطريق الروم قائد الحاميه الروميه بصقليه لمدة ثلاثة اشهر في مقابل فداء ثلاثمائه اسير من المسلمين، يدفع بهم الروم الى سواده. ولكن يبدو أن هذه الهدنه كانت عباره عن خدعه حربيه ماهره من قبل الروم، ارتكب المسلمون بقبولها غلطه فادحه اذ كان الروم يهدفون بها أخذ مهله للتجهيز لأمر عظيم فما كادت تنتهى مدة الاشهر الثلاثة حتى كانوا قد رتبوا أمرهم واستعدوا للمسليمن وحصنوا مراكزهم بعد ضعف وجاءهم المدد العظيم من القسطنطينيه تحت إمرة أنجفور (مجفور أو نقفور فوكاس أو نيقوفوروس Nccefors) الذى وصل إلى بلاد المسلمين في إيطاليا وانزل جنده البر وقد كان

---

(١) ارشيبالد لويس: نفس المرجع السابق، ص ٢١٩ - ٢٢٠

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٢٠ - محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق، ونفس الصفحه.

(٣) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ٢٢٠

في عسكر كبير. [١] وظل يعمل بالمنطقة لمدة عامين ، طوراً بالقوة والعنف وطوراً بالسياسة والحيلة . [٢]

فقام بحصار مدينة سبرينه (Sonta Severina) وضيق الخناق على من بها من المسلمين فسلموها له على الأمان ثم عادوا الى أرض صقلية . وبعد ذلك وجه انجفور جنده الى مدينة منتتيه " فحاصروها حتى سلمها أهلها بأمان الى بلرم صقليه" [٣] وهو يقصد بقوله هذا تسليمهم المدنيه وعودتهم الى بلرم . وأنشأ نقفور بجنوب ايطاليا ثغرين أحدهما ثغر لونجون ـ باردبا وعاصمته بارى ، والاخر ثغر كلابريا وعاصمته ريو . [٤] وفي عام ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م تم لنقفور تدعيم قوة بيزنطة في جنوب إيطاليا . وبالنسبة لقلوريه وأبوليا فقد انتظمتا في أجناد (Themes) وأعترفت مدن كمبانيا (أما لفي وجاتيا ونابلى) بسيطرة بيزنطة ، وفعلت بينيفانت نفس الشيء وعندما وجدت بيزنطة انها استرجعت نشاطها الحربى في البحر التيراني من الجهة الاخرى (أى الجهة الإيطاليه) ، وكذلك عندما رأت سكون مسلمى صقلية بعض الشيء عن غاراتهم اعتقدت

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق، حـ ٦ ، ص ٦٠

(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق، ص ٢٢٠

(٣) ابن الاثير : نفس المصدر السابق، ونفس الصفحه .

(٤) محمود اسماعيل عبدالرازق : المرجع السابق، ص ٢٢٧

كما لو انه قد بزغ فجر عصر سلام جديد . (١)

المسلمون يستأنفون غاراتهم من صقلية على جنوب إيطاليا :-

ولكن خاب أمل البيزنطيين ولم يتحقق شيء من هذا فماكان عام ٢٧٣هـ/٨٨٦م - وكان قد توفى الامبراطور البيزنطي باسيل الأول (٢٥٣-٢٧٣هـ/٨٦٧ - ٨٨٦م) وجاء خلفه الامبراطور ليو السادس (٢٧٣- ٣٠٠هـ/٨٨٦-٩١٢م) (٢) -حتى عاد المسلمون إلى سابق عهدهم من إرسال الغارات الخاطفة السريعة التي كانت تغنم وتخرب ثم تعود الى قواعدها بصقلية . (٣)

وفي سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م حقق المسلمون في ساحل ريو انتصاراً عظيماً تكبد الروم فيه خسائر فادحه في العتاد والارواح(٤) فقد أبحرت الاساطيل البيزنطيه غربا الى ريو مخترقه مضيق مسينا ، وقرب ميلازو ، بإتجاه الشاطىء الشمالى لصقلية ، التقى هذا الأسطول البيزنطى بإسطول كبير إسلامى ، فكانت معركة شديدة بين الطرفين هزم فيها البيزنطيون . (٥) ويذكر ابن عذارى

---

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢٠
(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، حـ١ ، ص٢٦٣
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢٠- محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٧
(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٢٠
(٥) ارشيالد لويس : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه

ان القتلى من الروم في هذه المعركة اكثر من سبعة آلاف رجل وغرق لهم نحو من خمسة الآف واخذت مراكب الروم في ميلاص (١) وهرب اهل ريو . (٢)

وقد عبر ارشيبالد لويس عن هذه الهزيمة النكراء للروم بقوله :" وتكررت مأساة عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م، إذ إنهزم البيزنطيون شر هزيمة وتحطمت سفنهم " . (٣)

وكانت نتيجة هذا النصر العظيم ان اخذت مدن وحصون الروم المجاورة للمسلمين تقع في أيديهم بعد هجر الروم لها ولم تقتصر سطوة جند الأغالبة في صقلية على صقلية فقط بل تعدتها الى الارض الكبيره (إيطاليا) فكانت تبث اليها السرايا متتابعة تنتصر وتغنم وتسبى وتعود الى بلرم محملة بما غنمته (٤) .

ونتيجة لهذه الانتصارات المتواليه للمسلمين وخاصة موقعة ميلاص أرسل الامير الأغلبي إبراهيم بن أحمد شخصا يدعى مجبر بن إبراهيم بن سفيان - وهو من أهل الشرف والثروة قرب

---

(١) ميلاص : هى قريه من قرى صقليه تقع على الساحل الشمالى للجزيرة الى الشرق من مسينا .
ياقوت : معجم البلدان ، م٥ ، ص٢٤٤ - ابن الابار، المصدر السابق، ج١، ص١٨٥ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق، حـ١، ص ١٢٠

(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ (ويقصد بمأساة عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م المحاولة الفاشلة التى قام بها البيزنطيون للثأر من المسلمين لأخذهم مدينة قصريانه فقد ارسلو ثلاثمائه شلندى لقتال المسلمين ، وتقابلوا معهم ولكن أسطول المسلمين استطاع هزيمتهم وإجبارهم على الرجوع لبلادهم بعد ان غنم منهم مائة شلندى وقتل منهم عددا كبيرا) .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق، حـ١، ص ١٢٠

له يجيد الغناء ويحذقه وينادم الأمير الى مسينا وقلوريه (كلابريا) لقيادة عسكرها . ولكن اثناء عبورة في أحد الشواني الى الشاطىء الإيطالى أسره الروم وحملوه الى القسطنطينيه حيث مات في السجن هناك . (١)

غزو ريو : (٢)

وفي سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م غزا الأغالبة قلورية بقيادة والى صقلية أبى العباس بن إبراهيم بن أحمد ، حيث عبر المجاز في مراكبه الحربية إلى مدينة ريو ، التى كانت يجتمع بها كثير من الروم . فما كاد المسلمون ينزلق البر الإيطالى في شهر رجب/ يونيو من تلك السنه حتى لقيهم الروم على باب ريو . لكن رجال أبى العباس تمكنوا منهم وهزموهم شر هزيمة وسيطر أبو العباس على المدينة بالسيف وغنم منها غنام عظيمة ليس فقط من ذهب وفضه لا تقدر ولا تعد بل ايضاً من الدقيق والأمتعه التى شحنوها في مراكبهم . ثم رجع بعد ذلك إلى مسينا . (٣)

ولا ندرى حقيقه وضع مدينة ريو هذه أفتحت نهائياً . واذا

---

(١) ابن الآبار : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ١٨٥

(٢) ريو : مدينة للروم مقابل جزيرة صقلية من ناحية الشرق على بر قسطنطينيه (ياقوت : المصدر السابق ، م٣ ، ص١١٦)

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص٩٧-٩٨ - ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ، ص١٣١ - ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص٢٠٤

كان الأمر كذلك فلماذا لم تذكر رواية ابن الاثير أن أبا العباس ترك بها حامية . هذا ومن المحتمل أن يكون قد تم صلح بينه وبين أهلها رغم فتحها بالسيف . (١)

ومما يرجح القول الاخير مايذكره ابن عذارى من أنه " استأمنت له حصون ، وأعطوه الجزية " . (٢)

وعند وصول ابى العباس لمسينا هدم سورها ، ثم إذا به يفاجأ بأسطول بيزنطى وصول لتوه من القسطنطينيه قرب مسينا فهزمه وأخذ منه ثلاثين مركباً ، وعاد الى بلرم ليقضى بها الشتاء (٣)

فتوح الأمير إبراهيم بن أحمد في إيطاليا :-

وفي سنة ٢٨٩ هـ/ ٩٠١م توجه الأمير إبراهيم بن أحمد الى مسينا ، وأمر الجند بالتجمع فيها للمسير بغية الجهاد في قلورية ، فأقام بمسينا يومين حتى تم الاستعداد . (٤) ثم أمر

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق حـ٢ ، ص٢٧٩

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ١ ص ١٣١

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص ٩٨
ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص ٢٠٤

(٤) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٨ ١- سعد زغلول عبد الحميد : المرجع حـ٢ ، ص ٢٨٣ - محمود اسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق ، ص ٢٢٧

جيشه بعبور البحر الى قلوريه (كلابريا) في يوم ٢٥ رمضان / ٣سبتمبر من تلك السنة ، فدخلها عنوة فقتل وسبى ، ورهب منه الفرنجه (١) . وسار بعد ذلك يريد مدينة كُسَنّتَه (كوسنزا Cosenza) (٢) ، فأتاه رسل الروم يطلبون الامان مع دفع الجزية ، فلم يقبل منهم ورفض طلبهم ، وأمر جنده بالهجوم على المدينة ومقاتلتهم . وكان قد ابتدأ به المرض و هو عِلّة يقال لها (الذرب) (٣) ، وبدأ يضعف وتقل قوته . فبقى هو في الساقه بعيدا عن جنده ، ونزلوا هم في الوادى وحاصروا المدينة ، وكان الأُمير يشرف عليهم من بعيد ، وفي ٢٥ من شوال / ٢ أكتوبر من تلك السنة أمر بتوزيع أولاده وحفدته وقواده على أبواب كُسَنّتَه وبالهجوم عليها مع مواصلة ضرب اسوارها بحجارة المجانيق . (٤)

وقد كان لغياب الامير الأغلبي عن جنده أثره السيء إذ هبطت معنوياتهم فلم يجتهدوا في قتال الروم . وكان قد انفرد عنهم عندما اشتد عليه المرض وامتنع عنه النوم ، وحدث به الفواق . وكانت

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص ٢٠٤ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، حـ ٣ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) كُسَنّتَه : بضم اوله وفتح السين وسكون النون وفتح الهاء وهي اليوم تدعى كوسنته (Cosenza) وهي مدينة بأرض قلوريه (كلابريا) بالقرب من خليج تارنتو . (ابن الخطيب : المصدر السابق ، حـ٣ ص ٣٥ ، هامش ٥)

(٣) ابن الاثير: المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص٦

(٤) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٨٣

هذه هى بداية النهاية لإبراهيم بن أحمد فقد وافته منيته فى ليلة السبت ١٨ من ذى القعدة سنة ٢٨٩ هـ/ ٢٥ أكتوبر ٩٠١م.(١)

وبعد وفاة الأميرإبراهيم بن أحمد سارع قواد جنده بالاجتماع لاختيار من يولونه قيادة الجند وخاصةً وهم يحاصرون مدينة وفي وسط معركه مع الروم ، فكان إجماعهم على تولية حفيده أبي مضر زيادة الله بن أبى العباس ليقوم بحفظ العساكر والأموال والخزائن حتى تنتهى المعركة ويصلوا الى الأمير أبى العباس بأفريقية . (٢)

لكن زيادة الله عرض الإمارة على عمه أبى الأغلب الذى لم يتقدم على زيادة الله بسبب حبه للسلام والأمن . (٣)

أما بالنسبة لاهل مدينة كُسَنْتَه فانه لما ضاق عليهم الحصار أرسلوا يطلبون الأمان والتسليم ، فماكان منزيادة الله الا ان سارع بإعطائهم الأمان وقبل منهم الجزية قبل أن يعلموا بموت الأمير ابراهيم بن الأغلب . ثم رحل زيادة الله عن كُسَنْتَه عائدا الى بلرم بعد أن رجعت السرايا التى كان جده قد أرسلها قبل ان يشتد عليه المرض . (٤) وهو يحمل معه جسد جده إبراهيم بن أحمد

---

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، حـ٦ ،ص٦- ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ ٤ ،ص ٢٠٤ - ابن الخطيب :المصدر السابق ، حـ٣ ، ص ٣٥ - ٣٦

(٢) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ونفس الصفحه .

(٣) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ،حـ٢ ، ص٢٨٤

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص٢٠٤

بعد ان وضعوه في تابوت (١) ، ثم قام بدفنه في بلرم في ٢٣ من ذى الحجة سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م (٢) وقيل انه حمل الى افريقيه ودفن في القيروان . (٣)

وبموت إبراهيم بن أحمد ، اضطربت أحوال دولة الأغالبة في أفريقية في عهد ابنه أبى العباس عبد الله ، وفى عهد حفيده زيادة الله الثالث ، وذلك بسبب انشغالهم بمقاومة الخطر الشيعى ، الأمر الذى اثر كثيراً على الجهاد في صقلية وبالتالى على الجهاد في جنوب إيطاليا ، فانصرفوا عن عمليات الفتح بها ، ثم كان سقوط دولة الأغالبة الذى وضع نهاية لغارات المسلمين على مدن واقاليم جنوب إيطاليا . (٤) .

ولكن على الرغم من سقوط دولة الأغالبة وتوقف غاراتهم على جنوب ايطاليا فقد ظل المسلمون يسيطرون على بعض مراكزها المنيعة مثل سابينو شمال بنيفانت وجنوب بسطوم ، وجاريليانو ، وخرائب ديرافارفا . ومن هذه المراكز كان المسلمون يقومون بتهديد المناطق المجاورة لهم وخاصة روما نفسها . (٥)

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص ٦

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، حـ٤ ، ص ٢٠٤ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، حـ٣ ، ص ١٢٠ .

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، نفس الصفحه .

(٤) ا رشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص٢٢١ - محمود اسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص ٢٢٨

(٥) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٢١ (عن الفصل الثاني من كتاب غارات الهمج للموزخ فرد ينان لوط) - محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، و نفس الصفحه .

٤- فتح جزيرةمالطه وجزيرة لبندوشه ونموشه ومحاولات فتح جزيرة سردانيه :-

فتح مالطـــــه :

تعتبر مالطه من أهم جزر الأرخبيل المالطي الذى يتكون مـــن اربع جزر غير مالطه هى جزيرة جوتزو (غوزو Gozo) ، وكمونـــــه (كومينو Comino) ،وكومينتو (Cominotto) ، وفلفـــولا (Fiffola) وما يحاذيها من صخور أخرى . (١)

وتعتبر جزيرة مالطه كذلك أكبر هذه الجزر ، بالاضافة الى كونهـا جزيرة عامرة كثيرة الخيرات حسنة الموقع . (٢)

وقد تنصر أهل مالطه في القرن الأول للمسيح على يد القديـس بولس. وبعد انتهاء السيادة الرومانية الغربية على الجزيرة سيطـــرت عليها قبيلة " الفندس " ، ومن بعدهم " القـوط " ثم " البليساريـون " إلى أن آل امرها إلى البيزنطيين وبقيت في حوزتهم إلى أن فتحهـــا المسلمون . وقد عرفت الجزيرة في العصور القديمه باسم " ميليتــــه " ولكن المسلمين حرفوا هذا الاسم وسموها مالطــــه . (٣)

---

(١) شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزر البحر المتوسط ، ص ٣٥٣

(٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٣) عن تاريخ جزيرة مالطه قبل فتح المسلمين لها انظر شكيب ارسلان : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ - ٣٥٨ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

فتح المسلمين لمالطـه :

من الراجح أن محاولات فتح جزيرة مالطه خاصة وجزر الأرخبيل المالطي عامة كانت مع البدايات الأولى لفتح صقلية في عهد الأغالبة .

ففي سنة ٢٠٩ هـ/ ٨٢٤م ، أي في عهد الامير زيادة الله الأول (٢٠١ - ٢٢٣ هـ/ ٨١٦ - ٨٣٧ م) كانت هناك غزوة إسلامية لها . (١) ثم كانت هناك غزوه اسلامية أخرى لها ، ففي سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م جهز أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله والي صقلية اسطولاً " فسار نحو الجزائر ، فغنموا غنائم عظيمة ، وفتحوا مدنا ومعاقل وعادوا سالمين " (٢) .

ومن الراجح أن هذه الجزائر المذكورة في الرواية انما تعني جزر الأرخبيل المالطي .

وتعتبر هذه الغزوات مجرد محاولات متكررة للسيطرة على هذه الجزر وذلك لأن السيادة الإسلامية لم تثبت عليها إلا في سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ م حين سير محمد بن خفاجه والي صقلية جيشاً لفتحها . وكان الروم يحاصرونها فلما سمعوا بقدوم المسلمين إليها رحلوا عنها ، وكان ذلك في عهد الأمير أبي الغرانيق محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٥٠ - ٢٦١ هـ/ ٨٦٤ - ٨٧٤ م) (٣) وتشير الكتب التاريخية

---

(١) حسين مؤنس: الاسلام في حوض البحر الابيض، المجله التاريخيه المصريه ، المجلد الرابع، العدد الاول ، مايو ١٩٥١م، ص ١١٣ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق ، جـ٥ ، ص١٨٨ - ابن خلدون المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٠

(٣) ابن الاثير: المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص٣٠٧ - ابن الخطيب: المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٦ (يذكر تاريخ فتحها في سنة ٢٦١ هـ) ويؤيده في ذلك السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٣٩١ .

الى أن الاسطول البيزنطي حاول استرجاع الجزيرة لممتلكات الأمبراطورية البيزنطية في سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ م .(١)

ويبد و أن ما رواه ابن الاثير عن حصار جزيرة مالطة في هـــذه السنة إنما كان محاوله من جانب البيزنطيين لإسترد ادها ، ولما علـــم المسلمون بذلك قدموا لفك ذلك الحصار عنها ، ولما عرف الروم بقـــدوم المسلمين إليها فكوا حصارهم لها ورحلوا إلى بلادهم. ولهذا فـــإنه من المرجح أن فتح المسلمين للجزيرة إنما كان في سنة ٢٥٥ هـ /٨٦٨م وهم في طريقهم لغزو مواضع في جزيرة صقلية . (٢)

اما ارشيبالد لويس فهويذكر ان الأغالبه استولوا على جزيرة مالطـه عام ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠م . (٣)

وقد جاء إستيلاء الأغالبه على جزيرة الأرخبيل المالطي وضمهـــا لممتلكاتهم مكملاً لفتوحاتهم في صقلية ، بجانب ضمها لأملاك الدولـــة الاسلامية ، وقد اعتبر فتح مالطه وصقلية من الأحداث البارزه في تاريـــخ البحريه الإسلاميه. فمالطه تعتبر مفتاح حوض البحر الأبيض المتوســـط

---

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٢١ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠١ - حسن حســـنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٧ .

(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ - ويوءيده في ذلـــك هـ . سانت. ل . ب. موسى :ميلاد العصور الوسطى ، ص ٢٦٣ .

الأوسط والغربي وخاصةً بعد أن اصبحت جميع الجزر في تلك المنطقة الوسطى من هذا البحر في أيدى المسلمين. (١) وبذلك اصبحت سيطرة المسلمين مؤكده على المضايق الواقعه بين صقلية وافريقيه[٢].
وقد استطاع المسلمون بفضل افتتاحهم لهاتين الجزيرتين (مالطه وصقلية) تهديد ايطاليا كلها، وسيادة البحر التيرانى، وفتح مدن وحصون مهمه بجنوب إيطاليا. (٣)

وكانت جزيرة مالطه تتمتع بموقع استراتيجى عظيم الأهمية في الحوض الأوسط للبحر المتوسط. (٤) وقد ازدادت هذه الأهمية بعد أن انشأ الأغالبه بها داراً لصناعة السفن من اشجار الصنوبر التى تكثر بها، وبذلك اصبحت قاعدة بحريه هامه للأغالبة في البحر الابيض المتوسط وقفت مع اخواتها في تونس وسوسه وطرابلس، ومسينا وقوصره[٥].

وكان مقام المسلمين بمالطه أطول وأثبت من مقامهم بصقلية، فقد ظلت خاضعة للمسلمين ما يقرب من مائتين وعشرين سنة. (٦) لذلك رسخت قدم اللغه العربية وتغلغلت الروح الشرقية فيها. (٧)

---

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق، ص ١٢١ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق، ص ٦٩ .
(٢) ارشيبالد لويس المرجع السابق، ص ٢١٧.
(٣) فتحي عثمان : المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٩٢ .
(٤) فتحي عثمان : المرجع السابق، جـ ١، ص ٢١١
(٥) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق، ص ١٢١ .
(٦) شكيب ارسلان : المرجع السابق، ص ٣٦٠
(٧) فتحي عثمان : نفس المرجع السابق، ونفس الصفحه - عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص ١٠٢ .

ويذكر شكيب ارسلان عن أحمد فارس الشدياق[1] أنه نتيجة لمعاملة المسلمين الحسنه لأهل مالطه ان اعتنقت غالبية أهلها الإسلام ، وامتزجوا كثيرا بالمسلمين بها حتى أصبحوا شعباً واحداً .[2]

وقد ساعد على ذلك أن الأغالبه عمدوا إلى نقل سكان من تونس الى جزيرة مالطه ،[3]

وإذا جمعنا بين حسن معاملة المسلمين للأهالى وبين طول مدة بقائهم في مالطه لتبين لنا سبب بقاء لغتهم العربية موءثره في اللغه المالطيه. وقد اختلف العلماء في أصل اللهجه المالطيه ، فزعم بعضهم أنها في الاصل فينيقيه ، وذكر آخرون أنها لهجه عربيه ، وهذا رأى الجمهور. ولكن لسنا ندرى أهى ترجع للهجة عرب الشام أم ترجع للهجة عرب المغرب ، فإن فيها عبارات من كلتا اللهجتين ، وان كانت اللهجه المغربية هي الغالبه.[4]

---

(١) اقام العلامه اللغوى احمد فارس الشدياق بجزيرة مالطه اربع عشرة سنة ، ألف في هذه الفترة التى قضاها بها كتابه المعروف " الواسطه في معرفة احوال مالطه " - انظر في هذا الصدد شكيب ارسلان : المرجع السابق ، ص ٣٥٨

(٢) شكيب ارسلان : المرجع السابق ، ص٣٦٠ .

(٣) فتحي عثمان : المرجع السابق ،ج ١ ، ص ٢١١ .

(٤) شكيب ارسلان : المرجع السابق ،ص ٣٥٤ ، ٣٦٦- إبراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

فتح جزيرة لنبدوشه وجزيرة نموشـــه :-

هما جزيرتان تقعان في وسط البحر الابيض المتوسط شرقـــي تونس. ويوجد بجزيرة لبندوشه مرسى جيد وأمين ، أما جزيرة نموشـــه فلا يوجد بها مثل هذا المرسى ، وهما قليلتا الزرع والحيوان . (١)

أما من جهة تاريخ خضوعهما للسيادة الإسلامية الأغلبيـــة فالراجح أنهما خضعتا لهذه السيادة خلال عمليات الفتح لجزيـــرة صقلية. وكان فتحهما في سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢م في عهد الأمير إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ - ١٩٧هـ / ٨٠٠ - ٨١٢م) مؤسس دولة الأغالبه فقد كان بينه وبين حاكم صقلية البيزنطي وهو البطريق قنسطنطيـــن هدنه لمدة عشر سنوات وقد سبق ان ذكرنا ذلك في حديثنا عـــن فتح صقلية ، لكن هذه الهدنه لم يطل أمرها فما كان من المسلميـــن فى سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢ إلا أن قاموا بالهجوم على بعض الجزر التابعه لصقلية. فأرسل الامبراطور البيزنطي ميخائيل الأول (٨١١-٨١٣م) اسطولا بقيادة جريجورى وساعدته المدن الإيطاليه مثل جاتيـــا وأمالفي ، غير أن المسلمين استطاعوا ان يستولوا على بعض سفـــن هذا الاسطول قرب جزيرة لبندوشه ، وقتلوا بحارتها . ومن المرجـــح انهم استولوا على الجزيرتين في تلك السنه . (٢)

---

(١) ابراهيم على طرخان : نفس المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٢) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

محاولات فتح جزيرة سردانيه :-

هى جزيرة في بحر المغرب كبيرة وليس هناك بعد الأندلس وصقلية وأقريطش أكبر منها . (١) وهي كثيرة الجبال قليلة المياه ، كبيرة المساحه اذ يبلغ طولها مائتين وثلاثين ميلا وعرضها من الغرب الى الشرق مائة وثمانين ميلا ، وفيها ثلاث مدن هي الفيصنه (القيطنه) وهى مدينه عامره ، ومدينه قالمره ، وهي رأس المجاز إلي جزيرة قرشقه والثالثه تسمى قشتاله . (٢)

وتقع الجزيره في النصف الغربي من البحر المتوسط بين شبه جزيرة ايبريا وشبه جزيرة ايطاليا من جهه ، وبين سواحل المغرب الإسلامى وساحل فرنسا الجنوبي من جهة ثانية . (٣)

لكن الجزيرة ليس بها موانىء كثيرة ، وذلك لعدم تعرج سواحلها ، ومن أجل ذلك قلت صلاحية شواطئها الشماليه والشرقيه للملاحه ، كما اضطر سكان هذه الشواطىء وبسبب كثرة المستنقعات بها الى الالتجاء الى المرتفعات الداخلية . هذا بعكس شواطئها الغربيه والجنوبية فقد كانت صالحه للملاحه ، مما جعلها هدفا للمسلمين من ناحية الجنوب ومن ناحية الاندلس . (٤)

---

(١) ياقوت: المرجع السابق ،م ٣ ، ص ٢٠٩
(٢) الحميرى : المرجع السابق ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، ص ١٢٢ .
(٤) ابراهيم على طرخان: المرجع السابق ، ص ٧٤ .

أما من جيث تاريخها القديم فقد احتلها الرومان واتخذوها منفى ، وفي عام ٤٧٦ م سيطر عليها الوندال ، ثم جاء بعدهم البيزنطيون عندما استرد جستنيان بعض الجزر التى كانت تابعه للأمبراطوريه الرومانيه. وبقيت جزيرة سردانيه بيد البيزنطيين حتى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وكانت تعتبر في التنظيم الإدارى البيزنطي تابعه لبند صقليه .(١)

وقد توالى الغزو الاسلامي لجزيرة سردانيه لضمها لأملاك المسلمين كغيرها من جزر البحر الابيض المتوسط. وكان أول غزوة لها في عهد موسى بن نصير سنة ٩٢هـ/ ٧١٠ م ، ثم تكررت بعد ذلك الحملات عليها في عهد ولاة المغرب من قبل خلفاء بنى أميه وبنى العباس فكانت غزوة ١١٧هـ/ ٧٣٥ م ، وغزوة ١٣٥هـ/ ٧٥٢ م(٢) .

ثم جاء الأغالبه ليكملوا مسيرة الجهاد في البحر الأبيض المتوسط وقد ذكر لنا ارشيبالد لويس غزوتين قام بها الأغالبه لهذه الجزيرة ، ومن المرجح انهما كانتا في عهد أبي العباس عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب (١٩٦ - ٢٠١هـ / ٨١١ - ٨١٦ م) في عامي ١٩٧هـ/ ٨١٢م و ١٩٨هـ/ ٨١٣م) ولكنهما فشلتا وفي الغزوة الاخيرة خسر المسلمون مائة سفينه اغرقتها لهم العواصف قرب الجزيرة . (٣)

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٧٥
(٢) عن هذه الغزوات انظر الفصل الأول ، ص ٤٦، ٥٥، ٥٧
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

وقد ظلت جزيرة سردانيه آمنة من الغزو الإسلامي حتى سنة ٢٠١هـ/٨١٦م ، وفي هذه الأثناء قام البيزنطيون بتعمير الجزيرة والعمل على تحصينها . فلما كانت امارة زيادة الله بن الأغلب على إفريقيه (٢٠١ - ٢٢٣ هـ/٨١٦ - ٨٣٧ م) اهتم بالبحريه الإسلامية الأغلبيه وبالجهاد البحرى في البحر الابيض المتوسط. فخرجت سرية من سرايا الاسطول الأغلبى وغزت سردانيه سنة ٢٠١هـ/٨١٦م ، فغنموا من أهلها غنائم كثيرة . (١) وأدّى هذا النصر الى تشجيعهم لمعاودة غزوها مرة أخرى ، ففي سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١ م توجه القائد محمد بن عبد الله التميمى لغزوها ولكنه لم يستطع فتحها . (٢) ثم تكررت بعد ذلك الغزوات عليها ولكن هذه الغزوات لم تستطع السيطرة عليها وفرض السيادة الاسلامية بها حتى كان فتحها في سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤ - ١٠١٥ م على يد مجاهد العامرى صاحب دانيه والجزر الشرقيه . (٣) ورغم ذلك لم يمتد فتح المسلمين لها طويلا فقد خرجوا منها سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م . (٤)

ويرجع عدم نجاح الأغالبه في فتح جزيرة سردانيه الى عدم ملائمة مناخ الجزيرة لهم ،فضلا عن شدة مقاومة اهلها للغزوات الإسلامية ،

---

(١) السيدعبد العزيز سالم واحمد مختارالعبادى : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ،ج١ ،ص٩٧ - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق ،ج ٢ ،ص٣٨٥ - شكيب ارسلان : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ (يذكر انها كانت في سنة ٢٠٧ هـ) - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٣) السيدعبد العزيز سالم واحمد مختارالعبادى : المرجع السابق ، ص ١٢٣ . ابراهيم علي طرخان: المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٤) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

بفضل المساعدات التى تلقوها من قبل الفرنجه ، والبابويه ، والجمهوريات الايطاليه البحرية وعلى رأسها جنوه وبيزا . ومن أجل ذلك لم تتأثـــر سردانيه كغيرها من البلاد التى فتحها المسلمون ، سواء من حيث اعتناق اهلها للقصيدة الإسلامية أو تأثرهم بالحضارة الإسلامية . (١)

.. ..

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص٧٦ .

الفصل الرابع

النشاط التجارى لبحرية الأغالبة فى حوض البحر الأبيض المتوسط

١- زوال السيادة البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط.

٢- بحرية الأغالبة تلعب الدور الرئيسى فى الحركة التجارية البحرية بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه.

١- زوال السيادة البحرية البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط:

يعتبر قيام دولة الأغالبه في سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م بداية عصر جديد في تاريخ البحر الأبيض المتوسط وهو العصر الذى سيطرت فيه البحرية الإسلامية على ذلك البحر.

ولكن قبل أن نذكر متى وكيف بدأت هذه السيطره علينا أن نتعرف أولا على القوة البحرية التى كانت تفرض سيادتها على هذا البحر قبل المسلمين الأ وهي القوة البحرية البيزنطية. هذه السيادة البحرية البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط هى التى فرضت على معظم الدول الإسلامية المطلة عليه مواضع عواصمها: فعاصمة مصر في الفسطاط، وعاصمة أفريقية في القيروان، وعاصمة الأدارسه في فاس، وقرطبة عاصمة الأندلس.

وقد اشتركت هذه العواصم في صفة واحدة هي بعدها عن البحر لتكون في مأمن من مفاجآته. وفي ختام القرن الثاني الهجرى /الثامن الميلادى كانت لا تزال هيمنة البحرية البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط لا تزال قائمة. (١)

فقد تحكمت البحرية البيزنطية في المضائق البحرية في البحر الأبيض المتوسط، هذا بجانب هيمنتها على النشاط التجارى وفرضها نوعاً من الرقابة

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ١٦٢.

التجارية على الشواطيء الإسلامية كذلك حالت البحرية البيزنطية دون قيام مسلمي شمال أفريقية بنشاط تجاري من قواعدهم البحرية في تونس، وذلك بواسطة أساطيلهم الموجودة في صقلية وقوصره والتي كانت تهدد دائما المدن والموانئ الأغلبية على ساحل البحر الأبيض المتوسط. (١)

أما فيما يتعلق بالعلاقات التجارية بين البيزنطيين ومسلمي شمال أفريقيه فمعلوماتنا ضئيلة جداً في هذا الموضوع. ومع ذلك فتوجد بعض الحقائق التي تؤكد وجود تعامل تجاري عن طريق صقلية خلال السنوات الاخيرة من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي والأولى من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . (٢)

ومن هذه الحقائق ما جاء من مواد خاصه بالتجاره في اتفاقية الهدنة التي عقدت بين الأمير الأغلبي إبراهيم ابن الأغلب (١٨٤-١٩٧هـ/ ٨٠٠-٨١٢م) مؤسس دولة الأغالبه وبين حاكم صقلية البيزنطي البطريق قنسطنطين في سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٤-٨٠٥م (٣)، وكذلك اتفاقية الهدنة التي كانت بين الأمير الأغلبي ابو العباس عبد الله وبين جريجوري - القائد البيزنطي بصقلية في سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م. فقد كان يتقرر في هذه الاتفاقيات تأمين سلامة التجار من الجانبين. (٤)

---

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٢٢٩.
(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق، ص ١٧٦ .
(٣) انظر قبل، الفصل الثالث، الفقرة الثانية (فتح جزيرة صقلية) ص ١٢٠-١٢١
(٤) انظر قبل، الفصل الثالث، الفقرة الثانية (فتح جزيرة صقلية) ص ١٢١-١٢٢

ومن هذه الإتفاقيات يتضح وجود تجار من صقلية في شمال أفريقيه ، وتجار من مسلمي شمال أفريقية في صقلية ، يستفيدون في عمليات التبادل التجارى من بنود هذه الإتفاقيات والراجح أن زيت الزيتون كان - كما كان الحال قبلا - أهم ما كان يصدره المغرب مقابل حصوله على بضائع الشرق التى يتجر فيها البيزنطيون .(١)

وكانت الاندلس تشذ عن هذه الرقابه البحرية البيزنطية على تجارة البحر الأبيض المتوسط ، ويرجع ذلك لأن الأندلس كانت ترتبط بها بيزنطة بعلاقات الصداقة منذ عهد الأمير الأموى عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ/ ٨٢١ ، ٨٢٢ - ٨٥٢ م) .(٢)

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٧٦ - ١٧٧ (اما بالنسبه لعلاقات الصداقه بين الأندلس وبيزنطه ، ففي سنة ٢٢٥ هـ/ ٨٣٩-٨٤٠م وفد على قرطبة سفير من قبل قيصر القسطنطنية الامبراطور تيوفيلوس (٢١٤- ٢٢٨ هـ/ ٨٢٩ - ٨٤٢م) ، يدعى قرطيوس ، ومعه كتاب وهديه فخمه . فاستقبله الأمير عبد الرحمن بحفاوة ، وقد رد الأمير عبد الرحمن على سفارة تيوفيلوس بمثلها ، وأوفد كاتبه وصديقه الشاعر يحي الغزال الى القسطنطنيه ومعه يحيي بن حبيب المعروف (بالمنقله) انظر ابن حيان القرطبي : المقتبس من ابناء اهل الأندلس، ص ٢٥٢ - محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس، القسم الأول ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ - حسين موئنس : المرجع السابق ، ٢٩٢ .

وكان من المشكوك فيه استمرار وجود رقابة بيزنطية على شواطىء شمال أفريقيه فيما بين سوسة وقابس وبين مصر وسورية ، إذ كان من الصعب على بيزنطة - ان لم يكن من المستحيل - أن تغلق تماماً جميع طرق التجارة البحرية من قواعدها في كريت وصقلية وقبرص ومالطة وقوصرة في وجه العلاقات التجارية البحرية بين المغرب ومصر وسورية . (١)

كذلك حدث في فترة الرقابة التى فرضتها بيزنطة على تجارة البحر الأبيض المتوسط أن بعض المواني الإيطالية التى كانت تخضع اسماً فقط لهذه الرقابة أن خالفت هذا النظام . وقد جاءت البندقية فى مقدمة هذه الموانى ، إذ كانت تتمتع بحكم ذاتي تحت السيادة البيزنطية . ومنذ سنة ١٢٥ هـ/ ٧٤٢ م كان لها بحرية تتكون من ستين الى ثمانين سفينه ، ووصلت مصالحها التجارية الى ما وراء الحدود البيزنطية بفضل محافظتها بصفة عامه على رابطة الولاء نحو بيزنطة . لكن بالرغم من القيود التى كانت تفرضها بيزنطه ، فقد نشط التجار البنادقه في تصدير الرقيق والخشب لمدن الشواطىء الإسلامية . وفي عام ١٣١هـ/٧٤٨ م اشتروا رقيقا من روما ذاتها ليجنوا ثمار تلك التجارة الرابحة . ومن الراجح أن هذه التجارة هى اصل قدومهم تجاراً في ثغور أفريقيه الشمالية (٢)

---

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .
(٢) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص١٧٩ .

والى جانب البندقيه فقد حملت ايضاً لواء مخالفة نظام الرقابة البيزنطى والاعتراض عليه بعض مدن البحر التيراني ، وهى مدن كمبانيا : أما لفى ، وجاتيا ، ونابلى . ومن المحتمل أن تكون تجارة شمال أفريقية وأسبانيا وصلت زمن الكارولنجيين الى روما عن طريق هذه الموانى البحرية وبالأخص مدينة نابلى ، وذلك لما لديها من رغبة شديدة في الخلاص من القيود الأقتصادية التي تقوم بفرضها بيزنطة عليهم . (١)

ومع بداية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى بدأ الموقف يتغير في أفريقية . هذا الى جانب بداية إهمال بيزنطه شأن قوتها البحرية وربما يرجع هذا إلي أوائل عهد الملكه ايرين (١٨١ - ١٨٧هـ / ٧٩٧ - ٨٠٢ م) ، وإن لم تظهر آثار هذا الاهمال بصفة واضحة إلا في نهاية عهدها . ثم جاء خليفتها ،نقفور (١٨٧ - ١٩٦هـ/ ٨٠٢- ٨١١ م) فوجد البحرية البيزنطية في حالة سيئة للغاية . (٢)

وهكذا في الوقت الذى أخذت فيه البحرية البيزنطية تضعف أخذت دول البحر الأبيض المتوسط الأخرى تزيد من قوة وتدعيم قوتها البحرية وهذه الدول هى دولة الأغالبه في أفريقيه ، والأندلس، وسورية والامبراطورية الكارولنجيه ، الى جانب المدن البحرية الإيطالية .

---

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٨٠

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

فكانت بداية معرفة أعداء بيزنطة بضعفها بحرياً عندما نجح مسلموالاندلس - بعد رحيلهم من الاسكندرية - في النزول بجزيرة إقريطش(كريت) فس سنة ٢١٢هـ/٨٢٧ م ، ثم استكملوا سيادتهم على الجزيرة في سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥ م . وقد دانت جزيرة إقريطش لمسلمي الأندلس وسيطروا عليها وعلى منطقة بحر إيجه قرابة قرن ونصف .(١)

وفي الوقت نفسه استطاع الأغالبه بأفريقيه القيام بهجوم على صقلية أحد مفاتيح البحر الأبيض المتوسط الهامة . وقد نجح الأغالبه في الإستيلاء على صقلية بسبب ضعف الاسطول البيزنطي .(٢)

وهكذا انطوت صفحة السيادة البيزنطية البحرية وبدأت صفحه أخرى من النفوذ الاسلامي على البحار وأحس المسلمون في أفريقيه وكريت والأندلس - بإعتبارهم حكام البحر المتوسط الجدد - بأنهم

---

(١) لمزيد من المعلومات عن فتح اقريطش ارجع الي : محمد يوسف الكندى : الولاة وكتاب القضاة ، من ص ١٥٨ الى ١٨٤ - الحميدى : المصدر السابق ، ص ٣٠١ - الضبى : المصدر السابق ، ص ٤٠٧ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ق ١ ، ص ٢٧٩ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، من ص ٧٥ الى ٨٢ .

(٢) انظر قبل ، الفصل الثالث ، الفقرة الثانية (فتح جزيرة صقلية من ص ١٩٠ الى ص ٢٩٠

ورثة السيادة البحرية التى تمتعت بها القسطنطينيه مدة طويله في البحر الابيض المتوسط .

ومما لا شك فيه أنه بفضل انتصارات الأغالبه على الأساطيل البيزنطية ، وتجريد البيزنطيين من معاقلهم البحرية في مالطة وقوصرة فضلا عن صقلية قد تداعت سيادة بيزنطة البحرية ، واختفت هيمنتها على مصائر تجارة البحر الأبيض المتوسط. ولم يتم ذلك إلا عن ضعف قوة بيزنطة البحرية وظهور قوة بحرية جديدة هى قوة الأغالبه[1] ، الى جانب قوة مسلمي كريت البحرية ، ومسلمي الامويين في الاندلس فبالاضافة للجزر التى سيطر عليها الأغالبه فقد سيطر بعض مسلمي الاندلس على جزيرة كريت شرقاً (كما ذكرت سابقا) وسيطر مسلمو الأندلس على جزر البليار (ميورقه ومنورقه) غرباً . ولم يتبق إلا طريق واحد في يد البيزنطيين وهو الطريق الموصل بين القسطنطينيه وبين البندقيه ، عبر البحرين الأيونى والادرياني - وذلك لبعده عن خطر القواعد الإسلامية في البر والبحر - ورغم ذلك فإن هذا الطريق لم تستطع البحرية البيزنطية استعماله قرابة الثلاثين عاماً لوجود قواعد إسلامية في بارى وطارنت، إلى أن تم القضاء على هذه القواعد بعد عام ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م .

وهكذا سيطر المسلمون على مداخل البحار الضيقة بواسطة ما سيطروا عليه من جزر أو قواعد بحريه . فمثلاً سدت كريت مدخل بحرايجة ،

---

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

وسدت صقلية ومونت جاريليانو بجنوب ايطاليا مدخل البحر التيرانى، وسدت
جزر البليار وفراكسينت خليج ليونز. ورغم ذلك فقد حافظت بعض الشيء
بيزنطة على سيطرتها على مضيق مسينا الذى يصل بين شرق البحر الأبيض
المتوسط وغربه حتى عام ٢٩٠ هـ /٩٠٢ م. إلا أنها لم تكن سيطرة تامة
بسبب تعاون نابلى وجاتيا وأمالفى مع القوى البحرية الاسلامية تعاوناً
تأكدت صلاته أكثر من مرة. وهكذا يصح القول أن المسلمين في كريت
وأفريقيه والأندلس صاروا اذ ذاك سادة البحر الأبيض المتوسط ومالكى
زمام طرق التجارة الدولية فيه. (١)

.. ..

---

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

٢- بحرية الأغالبه تلعب الدور الرئيسى في الحركة التجارية البحرية بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه :

وكانت لسيطرة المسلمين البحرية على البحر الأبيض المتوسط آثار عظيمه على الحياة الاقتصادية والتجارية في كل الاقاليم الإسلامية المطلة على البحر الأبيض المتوسط.

وكان أكثر المستفيدين من هذا التحول هم سكان صقلية وسكان شمال أفريقية بصفة خاصة. وأدت سيطرة المسلمين على البحر الأبيض المتوسط وبخاصة على الطريق البحرى التجارى الذى يصل بين المغرب وسورية ومصر عن طريق صقلية وكريت وقبرص إلى زيادة أهمية الدور الذى قام به المغاربه كوسطاء في تجارة ذلك البحر.(١) كما أدت سيطرة المسلمين على الطريق البحرى التجارى السالف الذكر الذى يربط بين المغرب وسورية ومصر الى حماية وتأمين الطريق البحرى التجارى الذى كان يربط بين الاسكندرية وموانيء المغرب حتى سبته.(٢) فقد كانت سفن المغاربة تقلع من الاسكندرية وتبحر محاذية لساحل المغرب وترسو في الموانيء المغربية التى تمر بها

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ٢٥٢

(٢) سبته : هى بلدة مشهوره من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، بينها وبين فاس عشرة أيام . (ياقوت: المصدر السابق، م ٣ ، ص ١٨٢ - ١٨٣) .

وأهمها طبرق[(١)] ، ودرنه[(٢)] ، وطلمينه[(٣)] ، وأجدابية[(٤)] ، وسرت[(٥)] ، وطرابلس ، وقابس ، حتى تصل آخر المطاف الى سبته[(٦)].

---

(١) طبرق : وتسمى ايضا طبرقه وهى مدينه بالمغرب من ناحية البر البربرى على شاطىء البحر قرب باجه ، وهى عامره لورود التجار اليها ، وفيها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج في بحر طبرقه . (ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ١٦) .

(٢) درنه : موضع بالمغرب قرب انطابلس ، وهى من عمل باجه بينها وبين طبرقه (ياقوت : المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٤٥٢) .

(٣) طلمينه : وتسمى ايضا طلميثا وهى فرضه مشهوره تبعد عن الاسكندرية نحو مسافة شهر ، ومنها تحمل المراكب الشعير والعسل الي غيرها ، وبها قصر يسكنه يهود وهذا القصر على هيئة برج كبير ، ترسى المراكب قبالة فيقوم التجار العرب بمبايعتهم البضائع عن طريق المقايضه . (أبو الفداء : تقويم البلدان : ص ١٤٩ - الدمشقي : المرجع السابق ، ص ٢٣٤) .

(٤) أجدابيه : هى بلده بين برقه وطرابلس الغرب ، بينها وبين زويله نحو شهر سيرا ، لها مرسى على البحر يعرف بالمادور ، وهى اكثر بلاد المغرب نخلا واجودها تمرا . (ياقوت : المرجع السابق ، م ١ ، ص ١٠٠ (١٠١) .

(٥) سرت : مدينه على ساحل البحر الرومي بين برقه وطرابلس الغرب لا بأس بها ، ومن سرت الى طرابلس عشر مراحل والى أجدابيه ست مراحل . (لمزيد من المعلومات ارجع الى ياقوت : المرجع السابق ، م ٣ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ - ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ - الدمشقي : المرجع السابق ، ص ٢٣٤) .

(٦) البكرى : المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب ، ص ١٤ - ١٥ .

وقد أدى هذا النشاط البحرى التجارى من قبل الأغالبه إلى ازدهار أحوال أفريقية الاقتصادية من زراعة وصناعة وتعدين وتجارة هذا الى جانب ازدهار النهضة العمرانية من منشآت وعمائر لم يبخل الأمراء في اقامتها وتزيينها .

فقد غدت تونس في أواخر حكم الأغالبة ، بلداً زراعياً غنياً ، اكتست أقاليمه الجنوبيه بأشجار الزيتون والكروم وفاضت سهوله الوسطى بالحبوب الوفيره . (١) وقد أدخل اليها زراعة بعض النباتات الشرقية مثل القطن وقصب السكر والزعفران وهى تدل على أهمية إتصال شمال أفريقية ببلاد الشرق الأدنى . (٢)

ولم تكن صناعتها أقل انتعاشاً من ثروتها الزراعية . فقد قامت فى القيروان صناعة الزجاج والخزف المموه بالمينا ، وامتازت أنواعه برقيها وجودتها . وكذلك أصبح النسيج من الصناعات الهامة . فكانت البلاد تنتج الفاخر من السجاد والمنسوجات والاقمشه الرقيقه التى اشتهرت بها ،(٣) وقد تدخلت الحكومه فى تونس تدخلاً مباشراً لتنظيم الحياة الإقتصادية والتجارية فأشرفت على الأسعار وعلى مستوى الإنتاج وأحوال الصناعة عن طريق نظام الحسبة . (٤)

---

(١) عبد الله العروى : تاريخ المغرب ، ص ١٢٣ .
(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .
(٣) عبد الله العروى : المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
(٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

أما من جهة ازدهار التعدين في أفريقية فقد كان يتمثل بصفه خاصة في مدينة مجانه (Majjanat) على بعد أربعين كيلو متراً في شمال الشرقي من تيبسه (Tebessa)- وكان يستخرج من مناجمها الحديد والفضة والرصاص والأنتيمون (الكحل) وقد استخدمت هذه الخامات بعد تجهيزها في دور الصناعه الأغلبية وعلى الاخص فى دار صناعة سوسه.[1] وقد ترتب على هذا الإنتعاش في مجال الزراعه والصناعه في أفريقية ازدياد في النشاط التجارى .

وبالمثل حدث ذلك في صقلية فقد نشطت الحركة التجارية بها نشاطاً ملحوظاً في ايام حكم الأغالبه بها ، بعد أن كانت قد بلغت درجة كبيرة من التدهور زمن الحكم البيزنطي ، وقد جاء هذا النشاط في الحركه التجارية في صقلية نتيجه لعدة عوامل هى :

<u>أولا</u> : موقع صقلية الجغرافي الممتاز بين أفريقية وإيطاليا وغرب أوربا .

<u>ثانيا</u> : حرص الأغالبه على وجود اسطول لهم قوى في مياهها .

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ - عبد الله العروى : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

يقوم بتأمين سيادتهم عليها وتأمين الاتصال بين إفريقيه والجزيرة فضلاً عن استخدامه في مواصلة الجهاد في بقية جزر البحر الأبيض المتوسط وفي جنوب ايطاليا . (١)

ثالثا : ما كانت تتمتع به جزيرة صقلية في هذه الفترة موضوع البحث من وفرة الإنتاج الزراعى بسبب إلغاء أمراء الأغالبه للاقطاعيات الكبيرة ، وتشجيعهم تمليك مساحات زراعية صغيرة ، هذا ، إلى جانب إحيائهم للزراعه الصقليه وإمدادها بأساليب ومحاصيل جديدة . (٢)

رابعا : اهتمامهم بالصناعة والعمل على تطويرها . (٣)

وقد ساعد صقلية على القيام بهذا الدور قربها من شمال افريقيه حيث بينها وبين تونس أربعون ميلا ، وقربها كذلك من إيطاليا ، فبينهما خليج من عشرة أميال . (٤)

وبذلك أصبحت معظم مدن صقلية الساحلية مراكز تجارية هامه خاصة تلك المدن التى اشتهرت بسهولة الإقلاع منها والرسو بها مثل مدينة مسينا التى يقول عنها الإدريسى" بأن السفر منها واليها قصدا ، وأنها دار الإنشاء وبها الحط

---

(١) انظر في هذا الصدد حامد زيان غانم : المرجع السابق ،ص ١- ٤ .
(٢) فرانشيسكو غابرييلى : الاسلام في عالم البحر المتوسط ،ص ١٨ .
(٣) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٥٠ - ٥١ .
(٤) حامد زيان غانم : المرجع السابق ،ص ٤ .

والاقلاع، وبها الإرساء من جميع بلاد الروم الساحلية، وبها تجتمع السفن الكبار، والمسافرون والتجار، من بلاد الروم والإسلام والقاصدون اليها من جميع الأقطار، وأسواقها رائعة وسعتها نافعه وقصدها كثير. (١)

ونتيجة للعوامل السابقة فقد لعبت جزيرة صقلية دورا كبيرا في النشاط البحرى التجارى، وأخذت أساطيلها الإسلامية تجوب عرض البحر الأبيض المتوسط محملة بتجارة كافة البلاد المطله على شواطئه، سواء كانت هذه التجاره قادمه من الشرق أو من الغرب، كما أن مواني غرب أوربا استعادت كثيراً من نشاطها التجارى نتيجة الانتعاش البحرى التجارى بصقلية . (٢)

وكانت هناك بالمقابل حركة تجارية داخل هذه الجزيرة خاصة بعد أن اهتم المسلمون بالصناعة بها فنشطت بعض الصناعات القائمة على الانتاج الزراعى مثل صناعة السكر، وصناعة النسيج الكتانية والقطنية والحريرية التى فاقت إنتاج مصر والشام من حيث الجودة والرخص (٣)، وقد نقل المسلمون لصقلية زراعة نبات البربير (أو نبات البردى) فقامت عليه صناعة الورق الذى يفي باحتياجات حكام صقلية ، وما يتبقى من الانتاج كان يصنع حبالاً لاستخدامها في السفن . (٤)

---

(١) الحميرى: المصدر السابق، ص ٥٥٩ - حامد زيان غانم : المرجع السابق، ص ٥٠ - ٥١ (وقد نقلا الاثنان عن الإدريسى).

(٢) حامد زيان غانم : المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٤٨ .

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ١١٧ .

وبجانب هذه الصناعات قامت صناعة أخرى هى صناعة دبغ الجلود التى بلغت درجة من الرقي والازدهار بصقلية .[١]

وكذلك اهتم المسلمون بإستخراج المعادن من أرض صقليه مثل معدن الفضه والنحاس والنوشادر [٢] والكبريت والذهب . ومن الجدير بالذكر أن الذهب يوجد بجبل كبير بصقلية وكان يطلق على هذا الجبل اسم جبل الذهب وكذلك وجد بصقلية معدن الحديد والرصاص[٣] وأقام المسلمون على هذه المعادن صناعات راقية رفيعة الجودة .

وقد أدى هذا الازدهار الإقتصادى داخل صقلية إلى إنتعاش التجارة البحرية في البحر الأبيض المتوسط ، وترتب على ذلك تنويع السلعه التجارية الواردة على السفن الصقلية ، فمن الشرق حملت السفن التوابل والمنتجات الشرقية الفاخرة وبالمقابل تعود محملة من صقلية بمنتجاتها المختلفة من أقمشة (كتانية أو حريرية) أو منتجات زراعية مثل الجوز واللوز والفستق والبندق والميعه السائله (وهى ميعه طبيه تعتبر من أعظم الأدوية) كذلك كانت السفن الصقلية تحمل منتجات فنية مختلفة وتحفا خشبية وعاجية ومعدنية وأوانى خزفية وزجاجية آتيه بها من مصر والشام لتسوقها فى أوربا ، وبذلك نشطت تجارة غرب أوربا وازدهر اقتصادها .[٤]

---

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ،ص ٣٣٢ .
(٢) المقدسى : المصدر السابق ،ص ٢٣٩ .
(٣) ياقوت : المصدر السابق ،م ٣ ، ص ٤١٨ .
(٤) حامد زيان غانم: المرجع السابق ، ص ٥٢ .

ونشطت كذلك الحركة التجارية داخل جزيرة صقلية فأزدحمت أسواقها التجارية الداخلية بالبضائع والتجار، وكان يوجد في صقلية سوق خاصة لكل طائفه، فكان يوجد سوق للصيارفه وآخر للصياد له وثالث للحدادين، وكذلك للزياتين، والدقاقين، والطرازين والقصابين والسماكين والخبازين، والعطارين، والدباغين، والجزارين، والأساكفه والريحانيين والنجارين والغطائريين والحلاجين والحذائين، وباعة البقل والقمح والفاكهه، وغيرهم. (١) وقد وجد بمعظم مدن صقلية فنادق ينزل بها التجار الآجانب. (٢)

ونرجع مرة ثانية لمدينة القيروان أعظم المراكز التجارية أهمية في ذلك الوقت، فقد كان يصدر منها زيت الزيتون الذى كان يجمع من مناطق طرابلس والساحل التونسى ثم يصدر الى الاسكندريه والى صقلية وإيطاليا. (٣) وكذلك كانت تجارة الرقيق من أنشط التجارات في هذه الفترة، سواء تجارة الرقيق الابيض الذى كان يجلب من بلاد الترك بآسيا الوسطى ومن بلاد الصقالبة أى من أوربا الوسطى والشرقية، أو تجارة الرقيق الأسود الذى كان يجلب من مناطق مختلفة من القارة الافريقية مثل بلاد آلنوبه والحبشه وسواحل افريقيا الشرقية

---

(١) ابن حوقل : المرجع السابق، ص ١١٤.
(٢) حامد زيان غانم: المرجع السابق، ص٥٣ (نقلا عن الإدريسى)
(٣) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص٢٥٣- سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، جـ ٢، ص ٤٩٨ .

وبلاد السودان .(١)

وكان يشارك القيروان في هذا الازدهار الاقتصادى كثير من مدن أفريقيه مثل تونس التى كانت تعتبر مركزاً تجارياً هاماً ايضاً ،وكذلك قفصة(٢) وبجاية والاربس وطبنه(٣) .

ولم تقل أهمية مدينة قابس الواقعة عند نهاية احد الطرق الصحراوية عن المدن السابقة ولا عن سفاقس وسوسة . فقد كانت سفاقس مركزا هاما لصيد السمك وزيت الزيتون ، كما كانت سوسه سوقا لزيت الزيتون ايضاً وكانت دار صناعة رئيسيه وثيقة الصلة بصقلية .(٤)

وتأتى تجارة الذهب في المركز الثاني من حيث الأهمية في التجارة العالميه في البحر الأبيض المتوسط بعد تجارة الرقيق . فقد تدفق ذهب السودان عبر أفريقيه الى المشرق الإسلامي والى منطقة البحر الأبيض المتوسط .(٥)

وعموماً فإن أهم السلع التى كانت ترد في قائمة التبادل التجارى بين المغرب ومراكز التجارة العالمية المتصلة به هي الخشب والتمور-

---

(١) الحبيب الجنحاني : المغرب الاسلامي (الحياة الاقتصادية والاجتماعية) ، ص ٢٩ .

(٢) قفصة : هى بلده صغيره في طرف إفريقيه من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد بينها وبين القيروان ثلاثة ايام. (ياقوت: المصدر السابق ،م ٤ ، ص ٣٨٢) .

(٣) طبنه : بلده فى طرف إفريقيه مما يلى المغرب على ضفة الزاب ليس بين القيروان الى سجلماسه مدينه اكبر منها . (ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص (٢١) .

(٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ،ص٢٥٣ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ،حـ ٢ ، ص ٤٩٨ .

(٥) الحبيب الجنحاني : المرجع السابق ،ص ٣١ - ٣٢ .

زيت الزيتون - الحبوب - القطن - الملح - اللحوم - العسل - الزبدة السكر - الخزف - العنبر - المرجان - العطور - الصوف - المنسوجات - الورق - النحاس المصنوع - الخرز - الشمع - الحديد - الفرو - الجلود[(١)] .

ومما لا شك فيه أن ذلك النشاط التجارى الخارجى كان يقابله نشاط تجارى داخلى انعكس في أهمية أسواق القيروان وتعددها والنشاط المستمر بها الذى كان له شأن كبير على أسعار أسواق المدن الأخرى مثل العباسية[(٢)] ورقاده ، التى كانت تتخذ القيروان نموذجاً من حيث التنظيم وتطبيق قواعد الحسبه.[(٣)]

وقد كانت أسواق القيروان تسمى باسم اختصاصها التجارى أو كان البعض منها ينسب الى أسماء أشخاص، أو فئة إجتماعية معينه مثل " سوق اسماعيل " ، وتاجر الله ، وسوق هشام ، وسوق اليهود الرهادنة[(٤)] . أما بقية الاسواق المنسوبه الى البضاعة ، أو المهنة فهي : السوق الكبير — وربما المقصود به سماط القيروان الشهير - وسوق السراجين ، والبزازين وسوق الضرب، وسوق الجزارين ، وسوق النحاسين ، وسوق الزجاجيين ،

---

(١) الحبيب الجنحاني : المرجع السابق ، ص٢٤ .

(٢) العباسيه : مدينه بناها إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقيه قرب القيروان ، نسبها الى بنى العباس. (ياقوت: المصدر السابق ، م ٤ ، ص ٧٥ .)

(٣) الحبيب الجنحاني : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٤) عن اليهود الرهادنه انظر فيما بعد .

وسوق القطانين ، وسوق الغزل ، وسوق الخرازين ، وسوق الدجاج ، وسوق الأحد ، وحوانيت الكتانين ، وحوانيت الرفائين ، وحوانيت الفحامين ، وحوانيت الصرافين . (١)

وهكذا نرى أن النشاط التجارى الخارجي كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالنشاط التجارى الداخلي ، وهذا أدى الى تطورهما معا . ونعنى بذلك حركة النقل التجارى البحرى وحركة النقل التجارى البرى لأن القيروان كانت نقطة لقاء بين المغرب والمشرق وبين التجارة البحرية في البحر الأبيض المتوسط وقوافل التجارة البرية الصحراوية . (٢)

وبذلك عظمت ثروة أفريقية في عهد دولة الأغالبة نتيجه لهذا الازدهار الاقتصادى الذى تمثل في نشاط الحركة التجارية الداخلية والخارجية .

وقد لعبت العملة الذهبيةالتى سكها الأغالبة دوراً كبيراً في هذا الازدهار الاقتصادى الذى شهدته دولة الاغالبة . فقد أسس الأغالبة دار ضرب في مدينة القيروان كانت تضرب بها الدنانير والدراهم الاغلبية . (٣)

وقد عثر على عملات أغلبية موجوده في المتاحف المختلفة وهي من الدنانير الذهبية ذات الجودة العالية وذلك لحرص امراء بنى الأغلب

---

(١) البكرى : المرجع السابق ،ص ٢٧ . (يقول وعمرت بالأسواق والحمامات والفنادق) - الحبيب الجنحانى : المرجع السابق ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(٢) الحبيب الجنحاني : المرجع السابق ،ص ٦١

(٣) نفس المرجع السابق ،ص ٧٥ - ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

على قوة عملتهم وجودة سبيكتها ، فحافظ الدينار الذهبي على سلامة وزنه (٤ر٢٠ جرام) . [١]

وموجز القول أن القوة البحرية للأغالبة في البحر الأبيض المتوسط لعبت دوراً هاماً في انعاش الحركة التجارية البحرية بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه ، فقد أصبحت الركيزة الأساسية في هذا النشاط البحرى بعد أن ورثت في هذا الصدد دور البحرية البيزنطية التجارية بعد فتح الأغالبة لجزيرة صقلية وغيرها من جزر وسط وغرب البحر الأبيض المتوسط فضلاً عن الموانيء الهامة في جنوب إيطاليا [٢]. فلم تعد السفن البيزنطية - منذ مطلع القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى تقوم بما كانت تقوم به من دور أساسي في ميدان التجارة البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط. [٣] وأما بالنسبة للحركة البحرية التجارية مع غرب أوربا فقد لعبت بحرية المدن الايطالية الناشئة كالبندقية ونابلى وأما لفى وجاتيا وسالرئو دور الوساطة التجارية عن طريق البحرية الإسلامية للأغالبة في حركة التبادل التجارى بين الشرق والغرب. [٤]

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ،جـ ٢ ،ص٩٨-٤٩ - الحبيب الجنحاني : المرجع السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ (بجانب الدنانير الذهبية سك الأغالبة نصف الدينار وثلث الدينار لتيسير التعامل النقدى ، كما سكوا دنانير خاصة نقشت عليها كلمة " للخليفة " لأنها كانت مخصصة للمبلغ الذى كان يرسله الأغالبة في كل سنه لبيت مال الخلافة العباسية) .

(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٣٤.

(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ وما بعدها.

(٤) نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٧ وما بعدها .

وكان لليهود الرهادنه (يهود أسبانيا والمغرب) دور كبير في الحركة التجارية البرية والبحرية بين الشرق والمغرب مرورا بالقيروان وبصقلية. فيذكر لنا ابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ) أنهم كانوا يركبون من بلاد فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما ، ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ، ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدة ، ثم يمضون الى السند والهند والصين ، فيتحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار الصينى وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحى حتى يرجعوا الى القلزم ،ثم يحملونه إلى الفرما ، ثم يركبون في البحر الغربي . وربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينيه فباعوها إلى الروم ، وربما صاروا بها إلي ملك الفرنجه فيبيعونها هناك. وإن شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربى فيخرجون بأنطاكية ويسيرون على الارض ثلاث مراحل إلى الجابية ، ثم يركبون الفرات إلى بغداد ، ثم يركبون في دجله الى الأُبلَّة ، ومن الأُبلَّة إلى عمان والسند والهند والصين ، كل ذلك متصل بعضه ببعض .

أما الطريق البرى الذى كان يسلكه تجار اليهود الرهادنة فكان يبدأ من الأندلس ويتجه إلي طنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازاً المغرب الاقصى والادنى والاوسط مرورا بالقيروان ، المركز الرئيسى لتجارتهم العالميه هذه ،حتى يصل إلى مصر. ومن مصر إما أن يتجه طريقهم إلى بلاد الشام ماراً بالرملة ودمشق ثم إلى العراق ماراًبالكوفه ثم الى فارس ماراً بالأهواز ثم إلى كرمان والهند والصين ،أو يتجه الى القلزم عبر البحر الأحمر الى الجار وجدة كما سبق ان ذكرنا .(١)

---

(١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

الخاتمة

" الخاتمـــة "

في خاتمة هذا البحث أتعرض لذكر أهم النتائج التي توصلـت اليها بعد دراستي لموضوع البحرية الاسلامية في بلاد المغرب في دولة الأغالبة ١٨٤- ٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٨م ٠

فمما توصلت اليه في الفصل الأول معرفة الأسباب التي دفعت المغاربة المسلمين لإنشاء دار الصناعة في تونس ، سواء كانت أسبابا مباشرة أو غير مباشرة ، كذلك عرفت كيف أنشأوا هذه الدار ، لتكون أول قوة بحرية مغربية اسلامية في افريقيه .

وقد أتضح لي مدى نشاط هذه الدار البحرية في عصر الولاة للدفاع عن شواطئ افريقيه من أية غارة بيزنطيه الى جانب قيام المسلمين بالجهاد في جزر البحر الأبيض المتوسط في حوضيه الأوسط والغربي . ولكن للأسف لم يستمر هذا النشاط بسبب الفتن والثورات التي اشتعلت في افريقيه بين البربر الخوارج الصفريه والأباضيه ، مما شغل الولاة عن الخروج للجهاد واقتصار دور البحرية في الدفاع عن شواطئ افريقية الى جانب الأربطه التي وجدت في هذه الفتره من تاريخ افريقيه .

أما الفصل الثاني فقد اتضح لي فيه مدى اهتمام الأغالبة بالبحرية - وقد حاولت في هذا الفصل أن أجمع معلومات تعطينا صورة مكتملة بعض الشيء عن بحرية الأغالبة - وقد عرفت من هذا الفصل كيف تعدد دور الصناعة وذلك لتوفر مواد الصناعة التي كانت متوفرة في دولة الأغالبة سواء في افريقية أو في جزيرة صقلية ،

أو في بقية الجزر التابعة للأغالبه . وقد اتضح لى سبب اهتمام الأغالبة ببناء دور الصناعة في املاكهم ، وجلب المواد اللازمة لها وذلك لاحساسهم بالخطر البيزنطى بعد نقض الهدنتين اللتين كانتا بين امراء الأغالبة وبين القادة الروم في صقلية.

كذلك اتضح لى مثال آخر لمدى اهتمام الأغالبة بالبحرية وذلك بتأمين شواطىء بلادهم ، بأن أقاموا التحصينات على طول الشواطىء الافريقية للدفاع عنها . وقد كان امراء الأغالبه مولعين بحب البناء والتشييد .

وقد ساعد الأغالبة على تكوين هذه القوة البحرية القويه كثرة القواعد البحريه والمراسي على طول شواطئهم مما جعلها قوة يخشاها أعداؤها ويحسبون لها الف حساب .

وقد اتضح لى في هذا الفصل أيضا مدى قوة البحرية الأغلبية وعدد قطع أسطولها المشترك في كل معركة وذلك حسب النصوص التاريخيه المتوفرة . هذا الى جانب تقديم المعلومات الوافيه عن هذه القطع من حيث اسمائها ، والنصوص التى تثبت تواجدها في الأسطول الأغلبى ، ومن حيث وضعها ومعرفةوظيفتها والفائدة منها داخل الأسطول الأغلبي .

ومما اتضح لى في الفصل الثالث أن جهاد المسلمين الأغالبة في البحر الأبيض المتوسط كان ملحمة رائعة ، سواء كان جهادهم هذا لفتح بعض الجزر به كفتح جزيرة قوصره ذلك الفتح الذى اتضح لى انه كان في عهد الأغالبة حسب نص ابن خلدون ورواية ارشيبالد لويس في حين أن كثيرا من المصادر والكتب التاريخيه لاتذكر

اى فتح لها في عهد الأغالبة فهم يقتصرون في ذكر فتحها على الفتح الأول - الذى اعتبروه نهائيا - في عهد والى افريقيه عبد الرحمن بن حبيب الفهرى سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م. في حين انها فتحت ثانيا في عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب سنة ٢٢١هـ/٨٣٥م .

وفي الفقرة الثانية من هذا الفصل اتضح لى كيف تم لمسلمى الأغالبة فتح جزيرة صقلية التى تعتبر اهم الاحداث التاريخية في تاريخ البحر الأبيض المتوسط عامة وتاريخ دولة الأغالبة خاصة في هذه الفترة من تاريخ العصور الوسطى ، وقد استمر فتحها قرابة القرن .

وعرفت كذلك كيف فتحت كل من جزيرة مالطه وجزيرة لبندوشه وجزيرة نموشه هذا الى جانب ايضاح محاولات بحرية الأغالبة لفتح جزيرة سردانية.

كما بلغ نشاط بحرية الأغالبه ان وصلت فتوحاتهم الى جنوب ايطاليا ، وتهديدهم مدينة روما نفسها عدة مرات والتى تعتبر قلب ايطاليا ، ومقر البابويه ، ومعقل الكنيسة والمسيحيه . فقد قاموا بحصارها وتخريب أرياضها ونهب كنائسها ، وهذا في حد ذاته يعتبر نصرا كبيرا للمسلمين الأغالبة حتى ولو لم يستطيعوا الاستيلاء عليها . فهو يدل على ماوصلت اليه البحرية الأغلبية من قوة وبطش . هذا الى جانب ما اتضح لى من انشاء دويلات عربية في جنوب ايطاليا بقيت مدة من الزمن تهدد جنوب ايطاليا عامة ومدينة روما خاصة ولاية لامبدوزا ، وبرنديزى ، وبارى ، ومونت جاريليانو .

ومما اتضح لى في الفصل الرابع أنه على الرغم من ان البحرية البيزنطيه هى التى كانت سائده على البحر الأبيض المتوسط، وأنها كانت كذلك مسيطرة على تجارته البحريه الا انه جاء الوقت الذى ضعفت فيه في حين قويت البحرية الأغلبية الى جانب بحرية مسلمى كريت وبحرية مسلمى الأندلس ، فأصبح للمسلمين الغلبة على البحر الأبيض المتوسط ، وأصبح للبحرية الأغلبية بصفة خاصة ، والبحرية الإسلامية بصفة عامة دورها الفعال في التجارة بين المشرق والمغرب ، وبذلك اعتبرت البحرية الإسلامية بحق وريثة السيادة البيزنطية البحرية والتجارية في هذا البحر . وقد أسهم هذا الدور التجارى للبحرية الأغلبية في الأزدهار الاقتصادى لدولة الأغالبة .

وبذلك اكون قد أبرزت بهذا البحث - عن بحرية الأغالبه - صورة مشرقة من تاريخ الأمه الإسلامية كانت غير واضحة بالشكل الجدير بها وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك . كما أرجو أن تتحقق للقارىء الكريم هذه الصورة المشرقة التى تحققت على ايد أمراء الأغالبة - بواسطة بحريتهم - للإسلام وللحضارة الإسلامية في جزر الحوض الأوسط والغربي للبحر الأبيض المتوسط وفي جنوب إيطاليا .

والله ولى التوفيق ،،،

الملاحق

قائمة بأسماء
أمراء الأغالبة

امراء بنى الأغلـــب : (١)

١- إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، أبو اسحق :

(١٨٤-١٩٦هـ/ ٨٠٠-٨١١م)

٢- ابو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلـــب :

(١٩٦-٢٠١هـ/ ٨١١-٨١٦م)

٣- زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب :

(٢٠١-٢٢٣هـ/ ٨١٦-٨٣٧م)

٤- الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو عقال (ويلقب بخزر):

(٢٢٣-٢٢٦هـ/ ٨٣٧-٨٤٠م)

٥- محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو العباس :

(٢٢٦-٢٤٢هـ/ ٨٤٠-٨٥٦م)

٦- أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو إبراهيم :

(٢٤٢-٢٤٩هـ/ ٨٥٦-٨٦٣م)

٧- زيادة الله الثاني بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو محمد :

(٢٤٩ - ٢٥٠هـ/ ٨٦٣-٨٦٤م)

٨- محمد بن احمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو الفرانيق :

(٢٥٠- ٢٦١هـ/ ٨٦٤ - ٨٧٤م)

٩- إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب :

(٢٦١-٢٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٠١م)

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، جـ٢، ص ٣٧١ .

١٠- عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم ابن الأغلب .

(٢٨٩ - ٢٩٠هـ/ ٩٠١-٩٠٢م)

١١- زيادة الله الثالث بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو مضر :

(٢٩٠ - ٢٩٦هـ/ ٩٠٢ - ٩٠٨م)

.. ..

قائمة بأسماء
ولاة صقلية فى عهد الأغالبة

ولاة صقلية في عهد الأغالبـــــة : (١)

١- اسد بن الفرات :

(٢١٢-٢١٣هـ/٨٢٧-٨٢٨م)

٢- محمد بن ابى الجوارى :

(٢١٣-٢١٤هـ/٨٢٨-٨٢٩م)

٣- زهير بن غـــوث :

(٢١٤-٢١٦هـ/٨٢٩-٨٣١م)

٤- عثمان بن قرهب :

(تولى في نهاية ٢١٦هـ/ ٨٣١م لكنه لم يحظ بموافقة الامير زيادة الله الأول) .

٥- أبو فهر محمد بن عبد الله التميمى :

(٢١٦-٢٢٢هـ/ ٨٣١ - ٨٣٧م)

٦- أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله :

(٢٢٢-٢٣٦هـ/٨٣٧-٨٥١م)

٧- العباس بن الفضـــل :

(٢٣٧-٢٤٧هـ/ ٨٥٢-٨٦١م)

٨- احمد بن يعقوب :

(من جمادى الاخره ٢٤٧هـ/اغسطس ٨٦١م الى ذى الحجة من نفس السنه/ فبراير ٨٦٢م) .

---

(١) هذه القائمة مستخرجه من دراستنا في هذه الرسالة عن فتح صقليـــه (انظر الفصل الثالث) .

٩- عبدالله بن العباس :

(من ذى الحجة ٢٤٧هـ الى جمادى الأولى من سنة ٢٤٨ هـ/ يوليه ٨٦٢م)

١٠- خفاجه بن سفيان :

(٢٤٨ - ٢٥٥هـ/ ٨٦٢-٨٦٩م)

١١- محمد بن خفاجه :

(٢٥٥-٢٥٧هـ/ ٨٦٩-٨٧١م)

١٢- رباح بن يعقوب :

(من رجب سنة ٢٥٧هـ الى محرم ٢٥٨هـ/ ٢٨ مايو ٨٧١م - الى نوفمبر - ديسمبر ٨٧١م) .

١٣- الحسين بن رباح :

(لم يلبث ان عزل من قبل الامير ابى الغرانيق وولى بدلا منه قريبة عبدالله بن محمد بن عبدالله التميمى) .

١٤- عبد الله بن محمد بن عبدالله التميمى :

(شوال ٢٥٩ - ٢٦٤ هـ/اغسطس ٨٧٢-٨٧٧م)

١٥- جعفر بن محمد :

(٢٦٤-٢٦٥هـ/ ٨٧٧ - ٨٧٨م)

١٦- الحسن بن رباح :

(٢٦٥-٢٦٧هـ/ ٨٧٨-٨٨٠م)

١٧- الحسن بن العباس :

(٢٦٧-٢٦٨ هـ/ ٨٨٠- ٨٨١م)

١٨- محمد بن الفضل :

(٢٦٨-٢٧٠هـ/ ٨٨١-٨٨٣م)

١٩- الحسين بن أحمد :

(٢٧٠-٢٧١هـ/ ٨٨٣-٨٨٤م)

٢٠- سواده بن محمد بن خفاجه :

(٢٧١- ٢٧٣هـ/ ٨٨٤ - ٨٨٦م)

٢١- حبشى : أحمد بن عمر بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب :

(٢٧٣-٢٨٧هـ/ ٨٨٦--٩٠٠م)

٢٢- سواده بن محمد بن خفاجه :

(٢٧٦-٢٧٨هـ/ ٨٨٩-٨٩١م) وكانت ولايته لصقليه نيابه عن حبشى

٢٣- محمد بن الفضل :

(٢٧٨-٢٨٧ هـ/ ٨٩١ - ٩٠٠م) وكانت ولايته ايضا نيابة عن حبشي

٢٤- ابو العباس بن ابراهيم بن أحمد :

(٢٨٧-٢٨٨هـ/ ٩٠٠-٩٠٠، ٩٠١م)

٢٥- إبراهيم بن أحمد :

(٢٨٩- الى ١٨ من ذى القعدة ٢٨٩هـ/ ٩٠١- ٢٥ أكتوبر ٩٠٢م)

٢٦- زيادة الله بن ابى العباس :

(من ذى القعدة ٢٨٩-الى ٢٠ جمادى الاخرة من سنة ٢٩٠هـ/ ٢٥ اكتوبر ٩٠٢-٢٢ مايو ٩٠٣م)

٢٧- محمد بن السرقوسى :

(٢٩٤-٢٩٥هـ/ ٩٠٦ - ٩٠٧م)

٢٨- احمد بن ابى الحسين بن رباح :

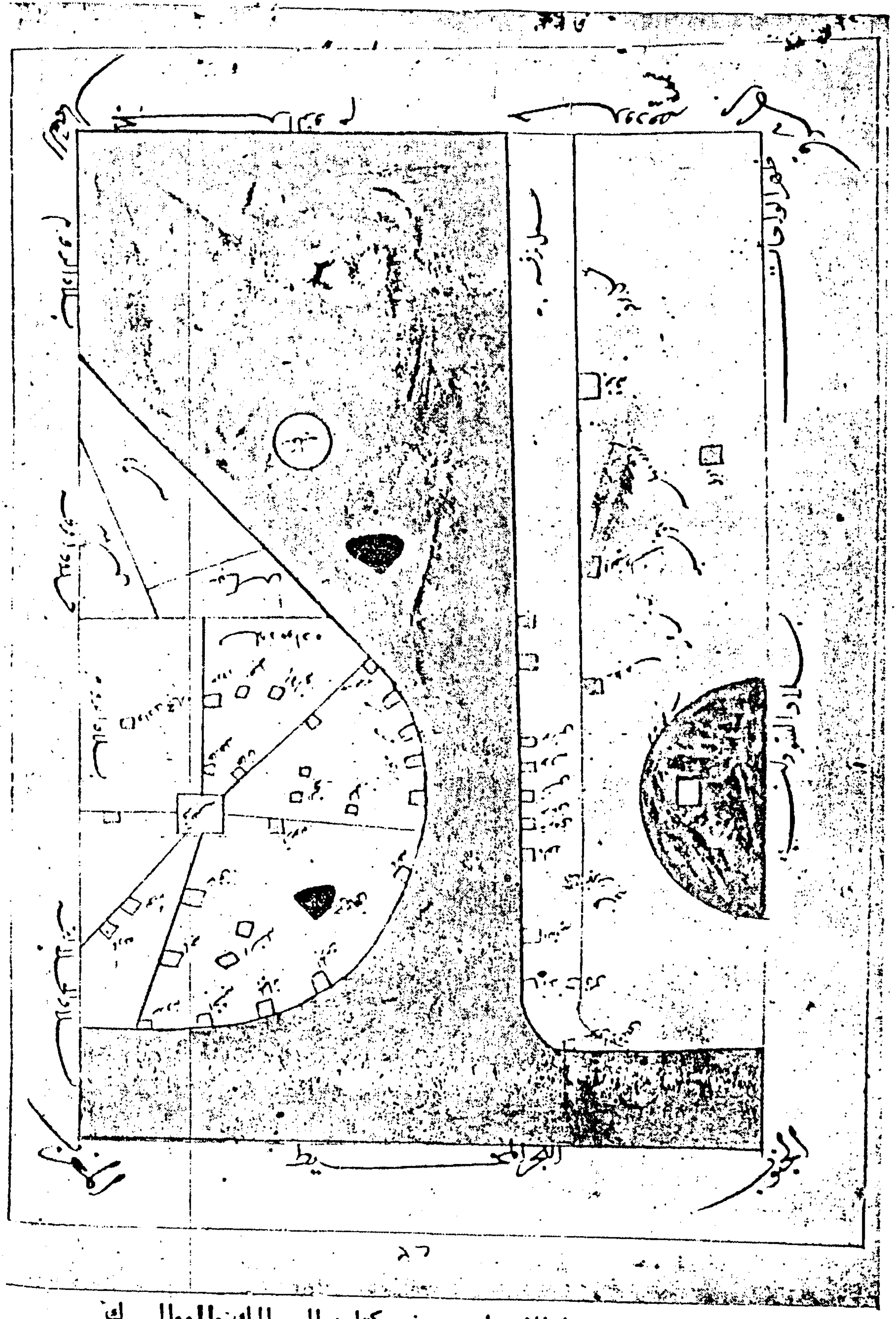
(٢٩٥ - ٢٩٦هـ/ ٩٠٧ - ٩٠٨م)

.. ..

الخرائط التوضيحية

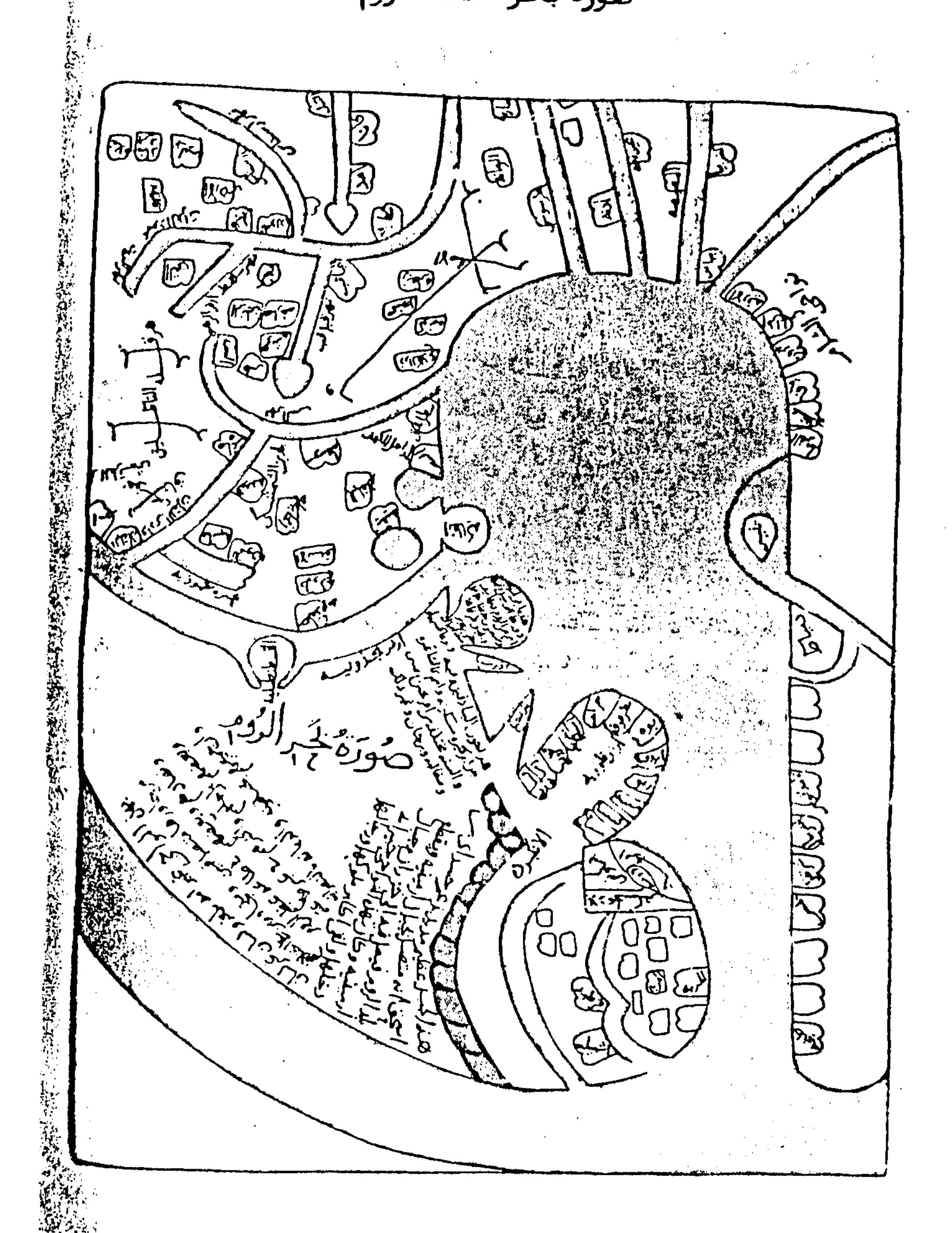


صورة البحر الابيض المتوسط " بحر الروم " كما رسمها الاصطخرى في كتابه المسالك والممالك .



صورة بلاد المغرب كمارسمها الاصطخرى في كتابه المسالك والممالك

صورة بحر الـــــروم



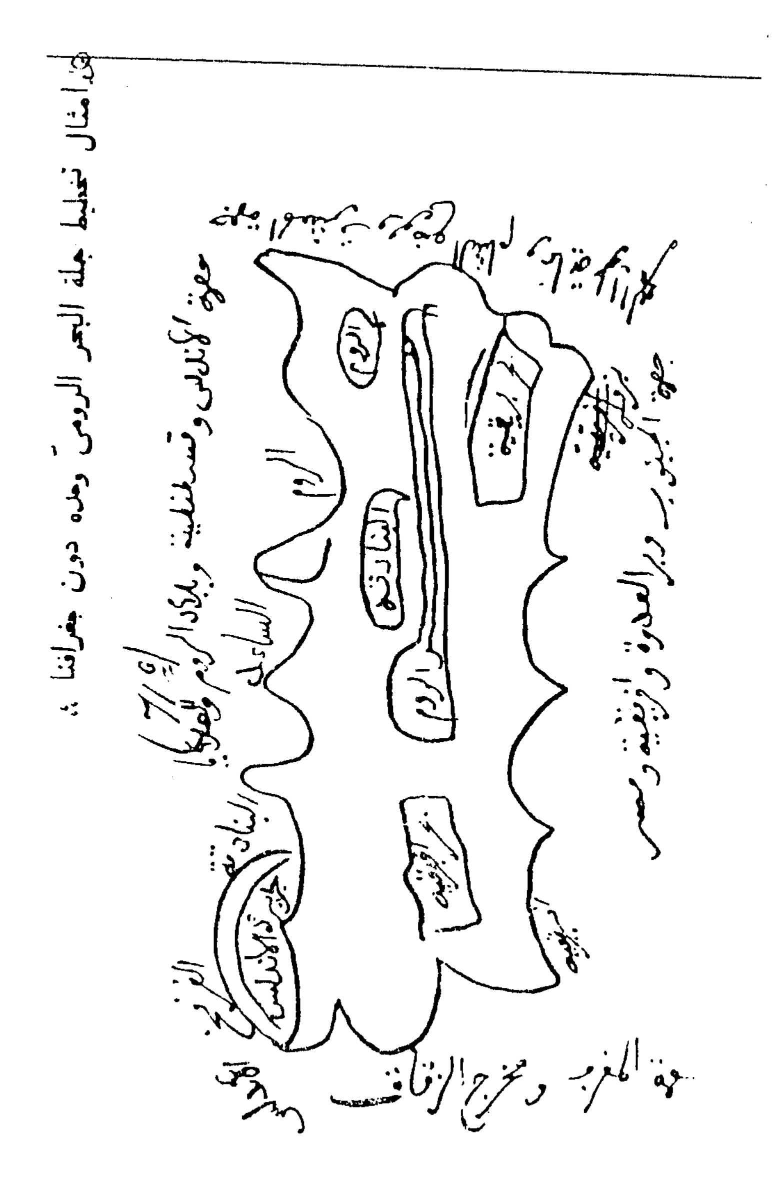
المقرن الثالث

عن كتاب صورة الأرض لابن حوقل : ت ٣٨٠ هـ

القرن الثالث

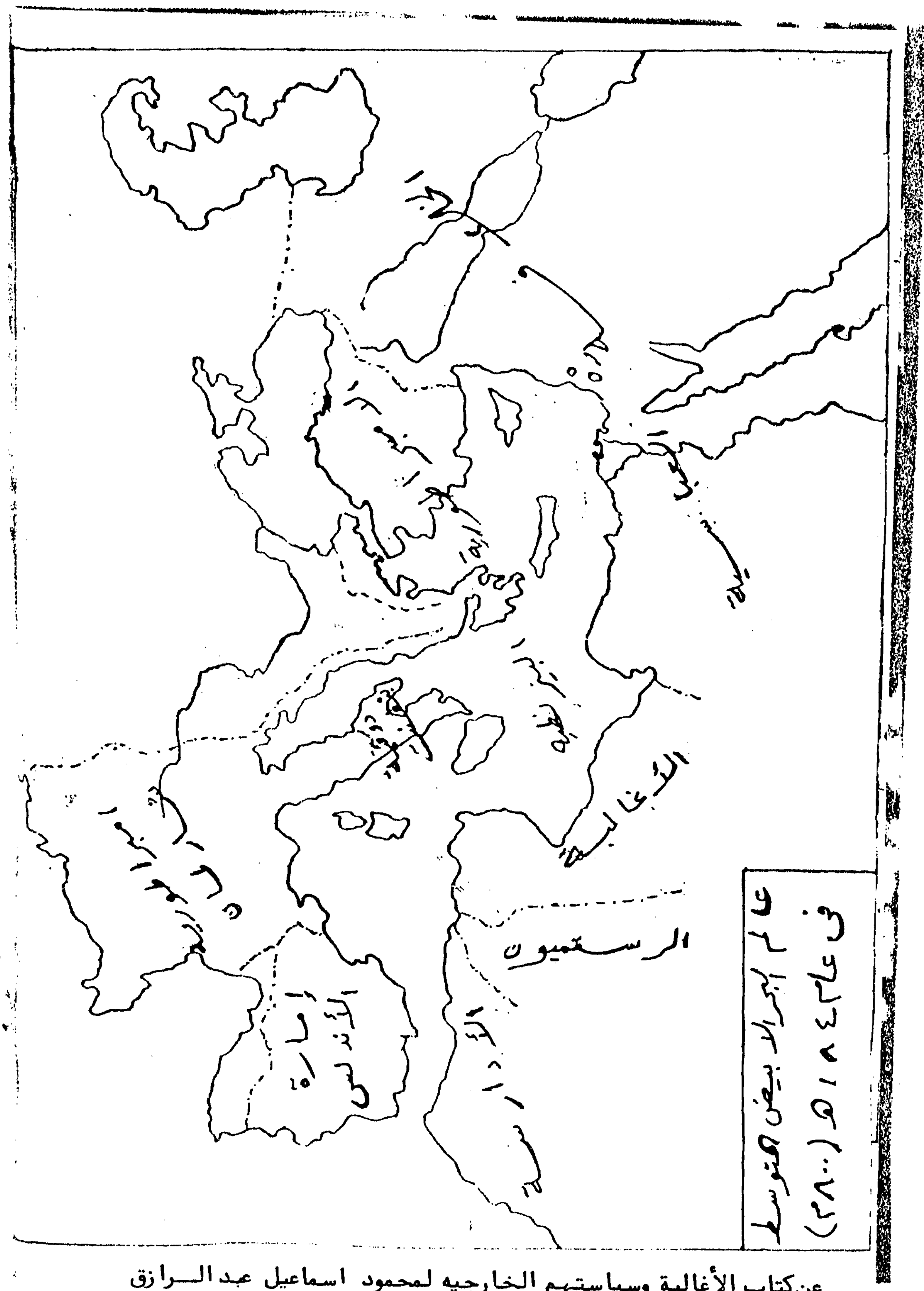
صورة المغـــــرب

عن كتاب صورة الارض لابن حوقل ت ٣٨٠هـ

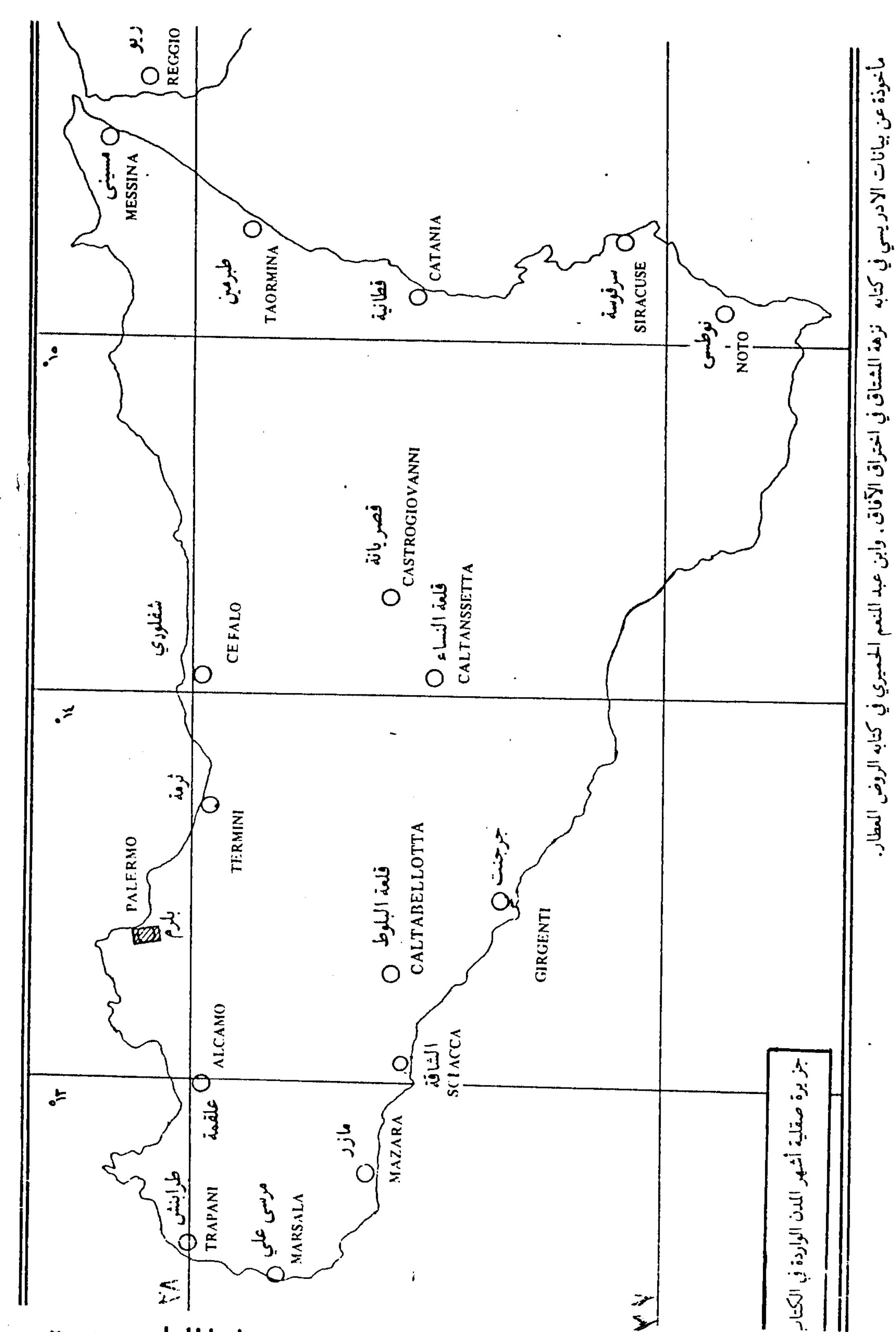


تخطيط للبحر الابيض المتوسط للمؤرخ "الدمشقـــي"

(ت٧٢٧هـ) من كتابه نخبه الدهر في عجائب البر والبحـــــر

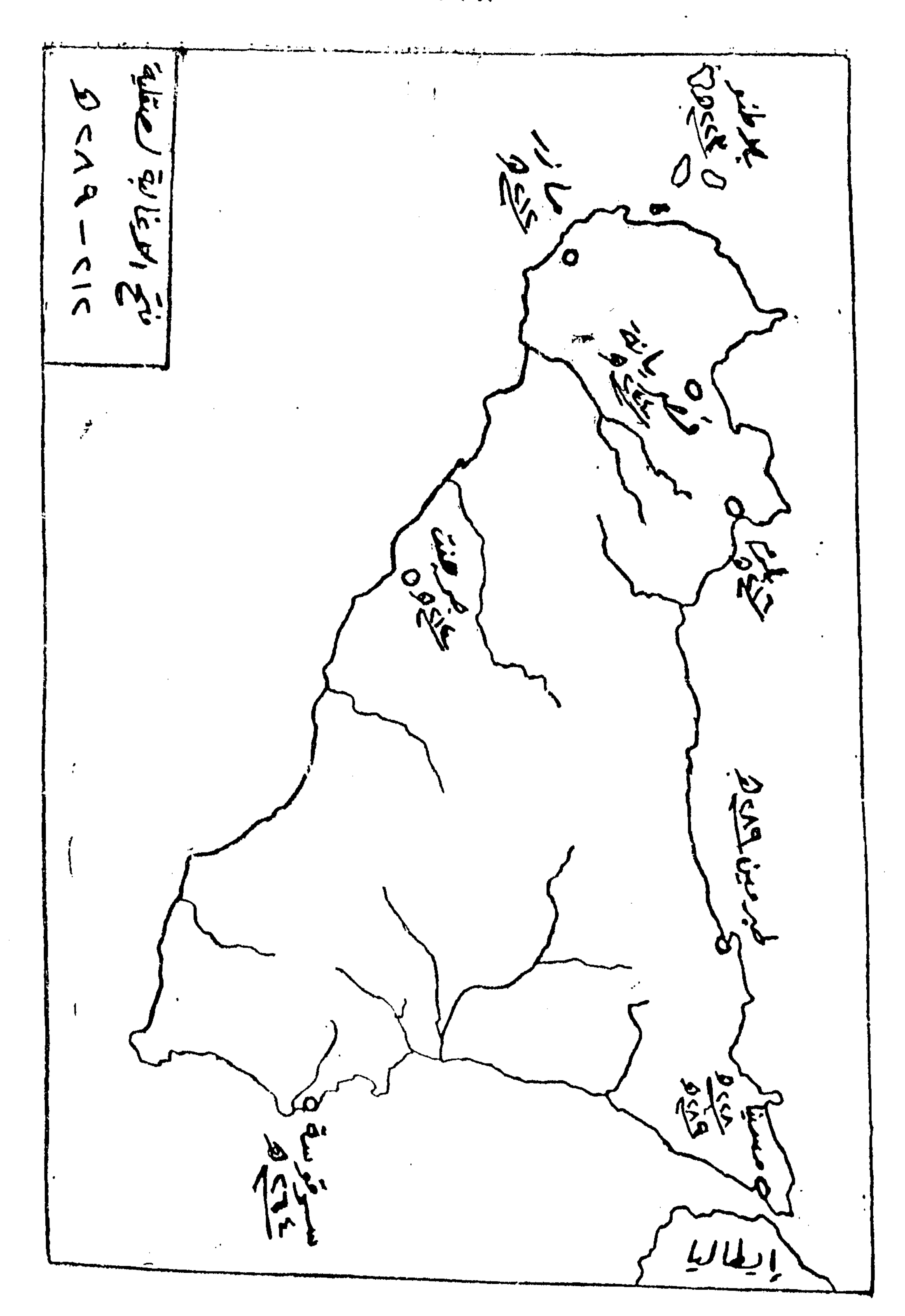


عن كتاب الأغالبة وسياستهم الخارجيه لمحمود اسماعيل عبد الـرازق

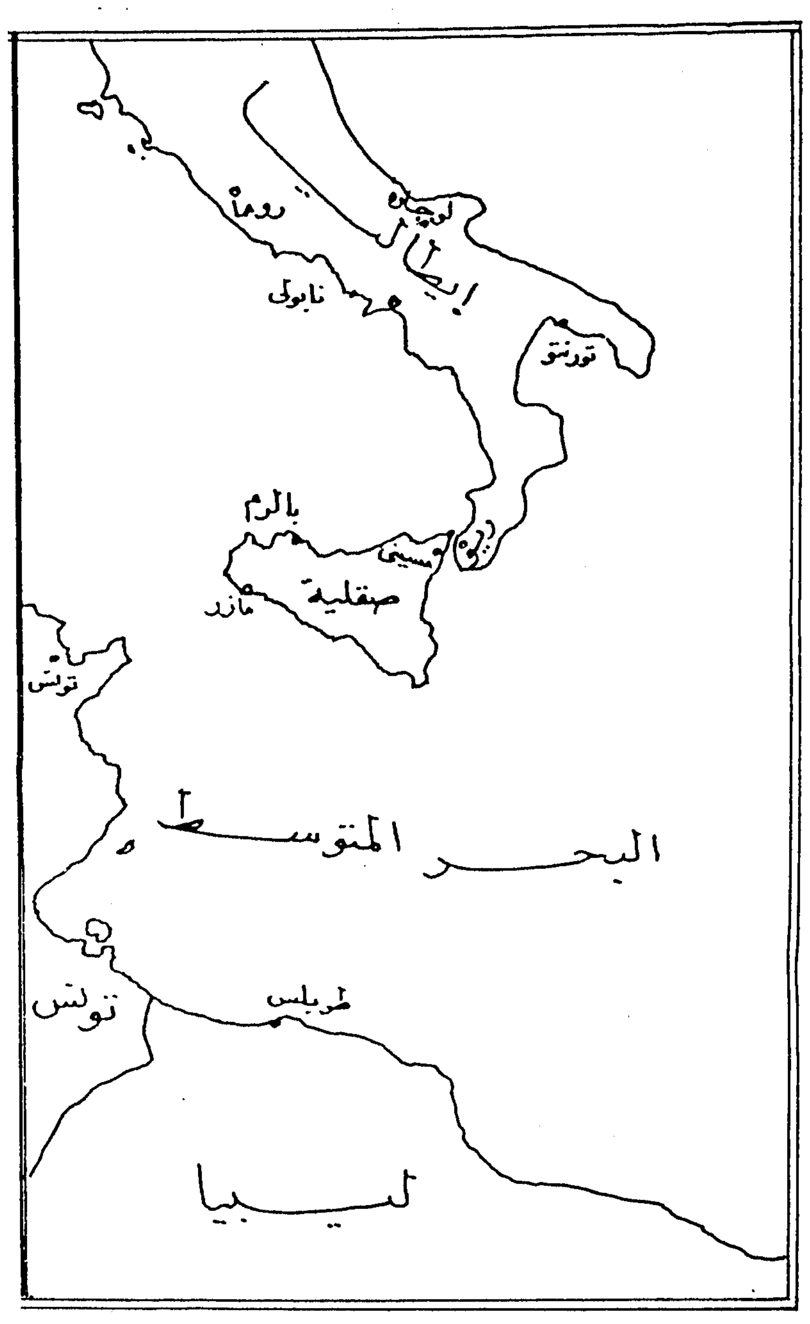


عن كتاب الحضارة الاسلامية في صقلية وجنوب ايطاليا ص ٢٠١

د . عبد المنعم رسلان



عن كتاب الاغالبة وسياستهم الخارجيـــــــة
لمحمود اسماعيل عبد الـــــرازق



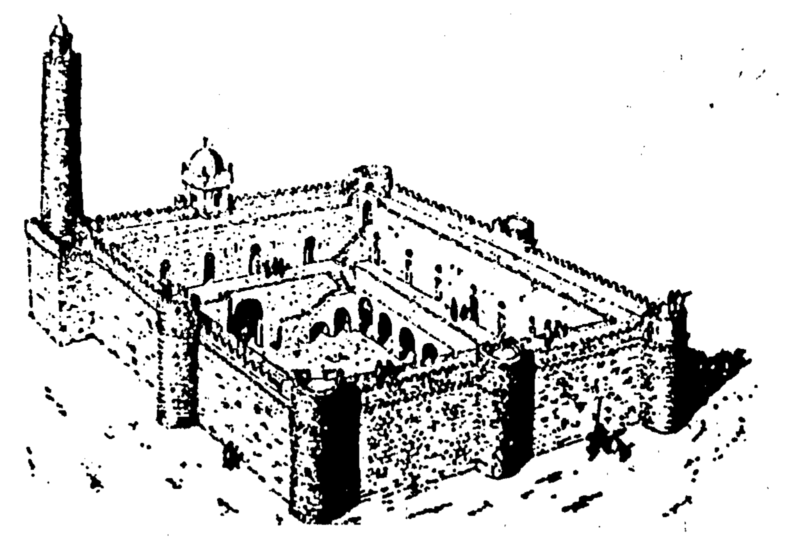
خريطة لجزيرة صقلية وجنوب ايطاليا.

— ٢٠٠ —

عن كتاب الحضارة الاسلامية في صقلية وجنـــوب ايطاليا ص ٢٠ ـ د . عبد المنعم رسلان

نشاط الأغالبة
في
شبه الجزيرة الايطالية

عن كتاب الاغالبة وسياستهم الخارجية
لمحمود اسماعيل عبد الرازق



رسم ٦ — «رباط صوصة» في تونس

٢٤

عن كتاب الفن الاسلامي

تأليف ارنست كونـــل - ترجمة د. احمد موســى



من كتاب حركة الفتح الاسلامي في القـــرن الأول
شكـــرى فيصـــل

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ - المصادر المطبوعه :

١- ابن الآبار (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)
الحله السيراء، الجزء الأول ، حققه وعلق على حواشيه حسين موئنس، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣م، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة .

٢- ابن أبى دينار (ت ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م)
الموئنس في اختبار افريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، الطبعة الثالثة ، تونس ١٣٨٧هـ

٣- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)
الكامل في التاريخ ، الجزأن الخامس والسادس، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، الناشر دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .

٤- ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)
رحلة ابن جبير، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

٥- ابن حوقل (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)
كتاب صورة الأرض ، طبعه ١٩٧٩م ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، لبنان .

٦- ابن حيان القرطبى (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)
المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه محمود على مكى ، مطابع الأهرام التجارية القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م .

٧- ابن خرداذبه (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)
المسالك والممالك ، مكتبة المثنى - ببغداد .

٨- ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤ م)
كتاب أعمال الأعلام ، القسم الثالث (تاريخ المغرب العربى في العصر الوسيط) ، تحقيق وتعليق احمد مختار العبادى ، ومحمد ابراهيم الكتابى ، نشر وتوزيع دار الكتاب - الدار البيضاء ١٩٦٤م .

٩- ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
المقدمة ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)
دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان

١٠- ———— كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، المجلد الرابع ، طبعة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، موسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

١١- ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)
وفيات الاعيان وانباء الزمان ، حققه احسان عباس ، في ٧ مجلدات ، دار صادر بيروت - لبنان .

١٢- ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)
فتوح مصر وأخبارها .

١٣- ابن عذارى (من كتاب القرن السابع)
كتاب البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .

١٤- ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان طبع فع مدينة ليدن ، بريل ١٣٠٢ .

١٥- ابو العرب تميم (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)
طبقات علماء إفريقيه وتونس ، تقديم وتحقيق على الشلبى ونعيم حسن اليافى ، نشر الدار التونسية للنشر ١٩٦٨م .

١٦- ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
تقويم البلدان، طبعة باريس دار الطباعة السلطانية ١٨٤٠م .

١٧- ———— المختصر في اخبار البشر ، الجزء الأول ،الطبعة الاولى ، بالمطبعة الحسينيه المصرية.

١٨- ابو الفضل عياض (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)
تراجم اغلبية (مستخرجه من مدارك القاضى عياض) تحقيق محمد الطالبى، طبعة ١٩٦٨م ، طبع بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.

١٩- الأصطخرى (ت في النصف الاول من القرن الرابع الهجرى)
المسالك والممالك ،تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى ، طبعة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، الناشر دار القلم ،القاهرة .

٢٠- البكرى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)
كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب، مكتبة المثنى بغداد .

٢١- البلاذرى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)
كتاب فتوح البلدان ، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة .

٢٢- الحميدى (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، طبعة ١٩٦٦م الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٣- الحميرى (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)
كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان ، بيروت .

٢٤- خليفه بن خياط تاريخ خليفه بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م، دار القلم، دمشق - بيروت - مؤسسة الرسالة بيروت .

٢٥- الدباغ (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٦م)
معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، طبعة ١٩٧٢م ، نشر مكتبة الخانجى بمصر ، والمكتبة العتيقه بتونس .

٢٦- الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)
كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مكتبة المثنى بغداد .

٢٧- الرقيق القيرواني (من كتاب القرن الخامس الهجرى)
تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجى الكعبى تونس مطبعة الوسط .

٢٨- الضبي (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس ، طبعة ١٩٦٧م ، دار الكتاب العربى

٢٩- الكندى (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م)
الولاة وكتاب القضاة ، مطبعة الآبا اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م .

٣٠- المراكشى (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، القاهرة .

٣١- المقدسي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، الطبعة الثانية ، طبعة ليدن - بريل ١٩٠٣م.

٣٢- المقرى التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه احسان عباس ، المجلد الأول ، دار صادر بيروت ، لبنان ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

٣٣- المقريزى (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)
اتعاظ الحنفا باخبار الأئمةالفاطميين الخلفا ، الجزء الأول ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

٣٤- الناصرى السلاوى (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م)
الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصي ، الجزء الأول ، تحقيق وتعليق ولدى المؤلف جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء .

٣٥- ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م)
معجم البلدان ، في خمسة مجلدان ، طبعة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

ب - المراجع الحديثه :

٣٦- ابراهيم احمد العدوى :
الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ، نشر مكتبة نهضة مصر ، بالفجالة ، القاهرة .

٣٧- الامويون والبيزنطيون ، الطبعةالثانية ، الدار القومية للطباعة والنشر .

٣٨- ابراهيم حركات :
المغرب عبر التاريخ ، الطبعة الأولى ، المجلد الاول ، طبع ونشر دار السلمى ، الدار البيضاء ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م .

٣٩- ابراهيم على طرخان :
المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ،
الناشر مؤسسة سجل العرب ، القاهرة، ١٩٦٦م

٤٠ - احسان عباس :
العرب في صقلية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م ،
دار الثقافة ، بيروت - لبنان .

٤١- أحمد شلبي :
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الاسلامية ،
الجزء الرابع، الطبعه الرابعه ، ١٩٧٥م ،
مطبعة السنة المحمديه - القاهرة .

٤٢- احمد مختار العبادى :
في تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضه
العربية والنشر ، بيروت - لبنان ١٩٧٨م .

٤٣- احمد توفيق المدنى :
المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ،
طبع سيركوز ، ١٣٦٥ هـ .

٤٤- حامد زيان غانم :
تاريخ الحضارة الاسلامية في صقلية وأثرها
على اوربا ، دار الثقافة للطباعة والنشر ،
القاهرة ١٩٧٧م .

٤٥- الحبيب الجنحانى :
المغرب الإسلامي ، الدار التونسية للنشر ،
١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، تونس ، الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع ، الجزائر .

٤٦- حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف :
العالم الإسلامي في العصر العباسى ، الطبعة
الرابعة ١٩٨٠م، دار الفكرالعربى ، القاهرة .

٤٧- حسن ابراهيم حسن :
تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافي ، والاجتماعى ، الجزء الأول والثانى ، الطبعة السابعه ١٩٦٢م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٤٨- ———————— :
تاريخ الدولة الفاطمية (في المغرب ، ومصر ، وسوريه ، وبلاد العرب) ، الطبعة الثانية ١٩٥٨م ، القاهرة .

٤٩- حسن حسنى عبد الوهاب :
خلاصة تاريخ تونس ، الدار التونسية للنشر ١٩٧٦م ، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع .

٥٠- حسين موئس :
معالم تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الاولى ١٩٨٠م ، القاهرة ، الناشر دار ومطابع المستقبل .

٥١- درويش النخيلى :
السفن الإسلامية على حروف المعجم ، طبعة ١٩٧٤م ، مطابع الاهرام التجارية .

٥٢- سعاد ماهر :
البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، وزارة الثقافة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .

٥٣- سعد زغلول عبد الحميد :
تاريخ المغرب العربى ، مطبعة المعارف القاهرة ، ١٩٦٥م ، الجزء الاول والجزء الثاني .

٥٤- سعيد عبد الفتاح عاشور :
اوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول (التاريخ السياسى) ، الطبعة الثامنة ١٩٨١م ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

٥٥- السيد عبد العزيز سالم :
المغرب الكبير (العصر الاسلامى دراسة تاريخية وعمرانية واثريه) الجزء الثاني ، طبعة ١٩٨١م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت .

٥٦- البحرية المصرية فى العصر الفاطمى ، ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، لنخبة من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية - بالتعاون مع القوات البحرية بجمهورية مصر العربية ، طبعة ١٩٧٣م ، مطابع الاهرام التجارية .

٥٧- السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى :
تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، طبعة ١٩٦٩م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

٥٨- شكيب ارسلان :
تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م .

٥٩- صابر دياب :
سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من اوائل القرن الثانى الهجرى حتى نهاية العصر الفاطمى ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٣م .

٦٠- عبد الله العروى :
تاريخ المغرب ومحاولة في التركيب ، ترجمة ذوقان قرقوط ، الطبعة الاولى يوليو ١٩٧٧م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - لبنان

٦١- عبد المنعم رسلان :
الحضارة الاسلامية في صقلية وجنوب ايطاليا الطبعة الاولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م ، الناشر تهامة ، جدة المملكة العربية السعودية .

٦٢- عبد المنعم ماجد :
العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، طبعة ١٩٦٦ م ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الجامعة العربية ، بيروت .

٦٣- ________ :
ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر . التاريخ السياسى ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية ، ١٩٧٦م .

٦٤- عبد الوهاب بن منصور :
قبائل المغرب ، الجزء الأول ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، المطبعة الملكية - الرباط .

٦٥- عثمان الكعاك :
محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر ، طبعة ١٩٥٨م .

٦٦- على حسن الخربوطلي :
الاسلام في حوض البحر المتوسط ، الطبعة الاولى ، يناير ١٩٧٠م ، دار العلم للملايين بيروت - لبنان .

٦٧- علي محمد فهمي :
البحرية الاسلامية في شرق البحر المتوسط، ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، لنخبة من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية بالتعاون مع القوات البحرية بجمهورية مصر العربية، طبعة ١٩٧٣م ، مطابع الاهرام التجارية .

٦٨- عمر فروخ :
العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط، الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م ، منشورات المكتب التجارى بيروت .

٦٩- فتحى عثمان :
الحدود الاسلاميةالبيزنطية (بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ، الجزآن الاول والثاني الناشر الدار القومية للطباعة والنشر .

٧٠- محمد جمال الدين سرور :
الدولة الفاطمية في مصر (سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها) ، طبعة ١٩٧٩م ، القاهرة .

٧١- محمد عبدالله عنان :
دولة الاسلام في الاندلس (من الفتح الى بداية عهد الناصر) العصر الاول - القسم الأول ، الطبعة الثالثة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ، الناشر مؤسسة الخانجى . القاهرة .

٧٢- ———————— :
تراجم اسلامية شرقية اندلسية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

٧٣- محمد عبد العزيز مرزوق :
الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنــان .

٧٤- محمد عبد الهادى شعيره :
الرباطات الساحلية الليبيه الاسلامية ، المؤتمــر التاريخى ١٦-٢٣ مارس ١٩١٨م (ليبيـــا في التاريخ) ص ٢٤٧ .

٧٥- محمد على دبور :
تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الثانى ، الطبعـــة الاولى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ، مطبعة عيســـى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة .

٧٦ - محمد كرد علـــى :
الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الاول والثانى ، الطبعة الثانية ١٩٥٠ م، مطبعة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة .

٧٧- محمود اسماعيل عبد الرازق :
الأغالبة (١٨٤- ٢٩٦هـ) سياستهم الخارجية ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

٧٨- محمود شيت خطاب :
قادة فتح المغرب العربى ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ، دار الفتـــح للطباعة والنشر ، بيروت .

جـ - المراجع الحديثة المعربة :

٧٩- ارشيبالد لويس :
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

٨٠ - آرنست كونل :
الفن الاسلامي ، ترجمة احمد موسى طبعة ١٩٦٦م ، دار صادر بيروت ، لبنان .

٨١- شارل اندري جوليان :
تاريخ افريقيا الشمالية ، الجزء الاول ، تعريب محمد مزالي - والبشيربن سلامه ، الطبعة الثانية ، الدار التونسية للنشر .

٨٢- غوستاف لوبون :
حضارة العرب ، نقله للعربية عادل زعيتر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٦م .

٨٣- هـ . سانت ل . ب . موسى :
ميلاد العصور الوسطى (٣٩٥ - ٨١٤) ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، ومراجعة السيد الباز العريني ، طبعة ١٩٦٧م ، الناشر عالم الكتب .

د - الدوريـــــات :

٨٤- حسن حسنى عبدالوهاب :
قصة جزيرة قوصرة العربية ، المجلة التاريخيــــة المصرية ، المجلد الثاني ، العددالثانـــي ، اكتوبر ١٩٤٩م .

٨٥- حسين موئنس :
المسلمون في حوض البحر المتوسط، المجلـــة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العـــدد الاول ، مايو ١٩٥١م .

٨٦- سيد ناجـــي :
قاضى القضاء وشيخ الفتيا المجاهد الشهيد أسد بن الفرات ، مجلة الأمه العدد السابع والعشرون السنة الثالثة ، ربيع الاول ١٤٠٣هـ/ ينايـــر ١٩٨٣م .

٨٧- فرانشيسكو غابرييلى :
الاسلام في عالم البحر المتوسط، الفصل الثانـــي من كتاب تراث الاسلام بالقسم الاول ، تصنيـــف شاخت وبوزورث ، وهو من سلسلة كتب عالـــم المعرفة ، رقم ٨ ، صدر في شعبان - رمضـــان ١٣٩٨هـ ، اغسطس ١٩٧٨م .

الفهرس

الفهـــرس

الموضوع	الصفحه
الخاتمـــة	٣١١
الملاحـــق	٣١٥
١- قائمة باسماء امراء الاغالبة	٣١٥
٢- قائمة باسماء ولاة صقلية في عهـد الأغالبه .	٣١٧
٣- الخرائط التوضيحيه	٣٢٠
قائمة المصادر والمراجع	٣٢٣
الفهـرس	٣٤٧

تصويب الاخطاء المطبعيـــة

الصفحه	السطر	الخطأ	الصواب
٢	٢١	استخحجرت	استخرجت
٤	١٤	لأبيه	لأبين
١٢	٤	كما	لما
٢٠	٦	الرانس	البرانس
٢٢	هامش ١- السطر ٥	وهو	وهم
٤٤	١٢	مائه	مائتي
٥٧	١١	في تونس اتخذه	في تونس إذا اتخذه
٧٧	١٧	وأرض المغرب اذا	وأرض المغرب. اذا
٨٥	هامش ٢	انظرفيمابعد ص٤٥-٥٦	انظرفيمابعد ص٩٣-٩٤
٩٦	١٧	على أسس القصير	على رأس القصير
٩٨	١٣	موجه هادى ممتد	موجه هادئ عند
١٠٥	٧	محمد بن السند سي	محمد بن السندى
١١٥	٨	الآخر	آخر
١١٦	٣	الا فريقيه	لا فريقيه
١٢٥	١٠	والمسلمين	من المسلمين
١٤٣	هامش٢ سطر٢	المرجع السابق	المصدر السابق
١٤٤	هامش١ سطر١	”	”
١٥٠	” ” ” ”	”	”
١٥٦	هامش ٣	ص ٣٥	ص ٣٥ هامش (١)
١٦٤	هامش ٢	ص ٢٩٠	ص ٣٩٠
١٧٤	٧	يقيم في بلاد بلرم	يقيم في بلرم
٢٢١	هامش ١ سطر ٥	ابن جبر	ابن جبير
٢٣٦	١	الاحوال	الأحول
٢٣٧	١٣	وتبه	وتبسه
٢٥٥	هامش١- سطر١	ص ٨٨٢	ص ٨٢
٢٦١	هامش ١- سطر١	ص -	ص ٢٤٦
٢٦٧	١٢	لجيش	لحث
٢٧٣	السطر الأخير	قرب له	قريب له
٢٨٨	٤	القصيده الاسلامية	العقيدة الاسلامية
٢٩٩	هامش٣-٤-٥	المرجع السابق	المصدر السابق
٣٠٥	٣	سفن	سوف
٣٠٥	هامش ١	المرجع السابق	المصدر السابق